جامعة بغـداد
كليـــــة الاداب
قسم الاجتماع

الاستقرار والتغير
في طائفة الصابئة المندائيين

دراسة انثرويولوجية لمواقع الصابئة في العراق

رسالة تقدم بها

صادق شهيد هادي الطائي

رسالة مقدمة الى مجلس كلية الاداب ~~وهيئة الدراسات العليا في جامعة بغداد~~

وهي ~~وهي~~ جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في علم الاجتماع

بأشراف الاستاذ الدكتور

خالد فرج الجابري

١٤٢١هـ **٢٠٠٥ م**

شكر وتقدير

اتقدم بجزيل البخالص شكري الى استاذي الفاضل الدكتور خالد الجابري على ما بذله من جهد في توجيهي علمياً ، وو على كرمه في تقديم المصادر لي ، واشكر له صبره و طول اناته وصبره في متابعة تقدم العمل في الرسالة . كما اشكر اساتذتي الاجلاء من الهيئة التدريسية في قسم الاجتماع لما قدموه لي من مشورة واسناد كلما طلبت ذلك.

واشكر كل اصدقائي من ابناء الطائفة الذين كانوا خير عون لي بالتزويد بالمعلومات وسواها ، كما واشكر اصدقائي وزملائي في العمل الذين ساعدوني كثيرا على انجاز هذه الاوراق .

واخص بالشكر زوجتي وابنتي لدعمهما الفعلي والمعنوي لي ،ولكل ما ما بذلتاه من جهد في قراءة وتصحيح المخطوطة التي ،ولولاهما ماكانت لترى النور هذا الجهد لتأخر عملي كثيراً.

الفهرس

~~ـ شكر وتقدير~~ ~~الباب الاول – الجانب النظري~~ ٢

– مشكلة البحث ٦

– هدف البحث ٧

– اهمية البحث ٨

~~الباب الاول –الجانب النظري~~ ٩

الفصل الاول – طبيعة النظريات الدينية وموقف الانثروبولوجيا منها ~~١٠~~٩

المبحث الاول : طبيعة النظريات الدينية ~~١٢~~١١

المبحث الثاني : موقف الانثروبولوجيا من ~~النظريات~~ الظاهرة الدينية ~~ومنظورها لدراسة الدين~~ ~~٢٢~~٢١

الفصل الثاني – الاطار المنهجي ~~٢٨~~٢٩

المبحث الاول : المنهج البنائي الوظيفي ~~٢٩٣٠~~

المبحث الثاني : ~~ال~~الموقف الوظيفية من التاريخ ~~٣٦٣٧~~

المبحث الثالث : منهج الفهم الذاتي و~~اهمية~~ البناء المعرفي ~~٤١٤٢~~

الفصل الثالث – التحديد العام لمعنى (الصابئة) ~~٤٧٤٨~~

المبحث الاول : تتبع تاريخي ~~٤٨٤٩~~

المبحث الثاني : اراء الباحثين في الصابئة ~~٥٢٥٤~~

المبحث الثالث : موقع الصابئة من الاجناس البشرية ~~٦٣٦٦~~

الباب الثاني – الجانب الميداني ~~٦٧٧٠~~

الفصل الرابع – مجالات البحث والواقع الايكولوجي والبشري ~~٦٧٧١~~

المبحث الاول : المجال ~~المكاني~~البشري والزماني ~~٦٨٧٢~~

~~١.المجال البشري~~

~~٢.المجال الزماني~~

المبحث الثاني : المواقع والايكولوجيا ~~٧١٧٥~~

١. الاهوار ٧٨

٢. المدن ~~العراقية~~ الكبرى (بغداد، ~~-~~البصرة ~~ة~~) ٨١

٣. دول العالم (المهاجر)

جدول منسّق

منسّق: المسافة البادئة: قبل: 51.5 سم، بعد: 36.0 سم، بلا تعداد نقطي أو رقمي

منسقة: تعدادات نقطية ورقمية

منسّق:الخط: ٧ نقطة، خط اللغة العربية وغيرها: ٧ نقطة

منسّق: المسافة البادئة: معلقة: 1 سم، بعد: 0 سم، تعداد رقمي + المستوى: ١ + نمط الترقيم: 1، 2، 3، ... + بدء الترقيم بـ: ١ + المحاذاة: أيسر + محاذاة عند: 0 سم + علامة جدولة بعد: 36.0 سم + مسافة بادئة: 36.0 سم

منسّق:الخط: ٧ نقطة، خط اللغة العربية وغيرها: ٧ نقطة

منسّق:الخط: ٥ نقطة، خط اللغة العربية وغيرها: ٥ نقطة

٨٥

المبحث الثالث : الواقع السكاني والملامح البشرية ٨٨

الفصل الخامس – النسق الديني ٩٠

المبحث الاول : المعتقد والمنظاور الكوني ٩١

١. الخالق ٩١

٢. الخليقة (الانسان ،الكواكب، الارض، البشر) ٩٣

المبحث الثاني: المقدسون ١٠٢

١. الملائكة ١٠٢

٢. الانبياء ١٠٦

٣. الكتب المقدسة ١٠٩

٤. الهيئة الكهنوتية ١١١

المبحث الثالث :الملابس الدينيةوالاعياد المندائية ١١٥

الفصل السادس – النسق الديني – الطقوس الدينية ١١٩

المبحث الاول : دور الكواكب، دور الماء، دور الملائكة ١٢٢

المبحث الثاني: الصوم والصلاة ١٢٧

المبحث الثالث: التعميد ١٣٤

المبحث الرابع: طقوس الزواج ١٣٨

المبحث الخامس: طقوس الموت ومصير الانسان ١٤٥

الفصل السابع– النظامسق الاجتماعي ١٤٩

المبحث الاول: طبيعة الكيان الاجتماعي ١٥٠

المبحث الثاني: نسق القرابةالزواج ونظام الاسرة ١٥٨

١. ١نظام العلاقات القرابية. نسق الزواج ١٥٨

٢. نظام الزواجالاسرة ١٦١

٣. نظام الاسرةالمبحث الثالث: نسق القرابة ١٦٣

المبحث الثالثرابع: نسق الضبط الاجتماعي ١٦٦

١. الجانب السياسي ١٦٧

٢. الضوابط الاجتماعية ١٦٧

منسّق:الخط: غامق، خط اللغة العربية وغيرها: غامق

منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: Arabic deifilpmiS، ١٤ نقطة

منسّق:الخط: دون غامق، خط اللغة العربية وغيرها: Arabic deifilpmiS، ١٤ نقطة، دون غامق

الفصل الثامن – النسق الاقتصادي ١٥٩١٦٩

المبحث الاول: النشاط الاقتصادي في البيئات التقليدية ١٦١١٧١

المبحث الثاني: المهن في البيئات التقليدية١. مصادر الحياة المعيشية ١٦١١٧٤

١. الصناعات المعدنية ١٦٣١٧٤

٢. اعمال الصناعات النجارية ١٦٤١٧٥

٣. الصياغة ١٦٦١٧٧

المبحث الثاني : الواقع الاقتصادي في المدن ١٦٩١٨٠

الفصل التاسع – التغير الاجتماعي ١٧٣١٨٤

المبحث الاول : البيئة الجديدة والتأقلمتغير مناطق السكن ١٧٦١٨٧

المبحث الثاني :الواقع الجديد لبناء القوة والقيادة الاجتماعية . ١٧٩١٩٠

١. الشيخ الجديد ١٨٠١٩١

٢. التغير في المعبد ١٨٤١٩٥

٣. تأثير التعليم والثقافة على التغير الاجتماعي ١٨٦١٩٨

المبحث الثالث : تغير موقع المرأة ١٨٨٢٠٠

المبحث الرابع : تغير موقف الطائفة في الانفتاح على المجتمع ١٩١٢٠٣

ملحق الاشكال والخرائط والصور ٢٠٧

الاستنتاجات ٢١٨١٩٩

التوصيات والمقترحات ٢٠٠٢١٩

المستخلص ٢٢٠

المصادر العربية ٢٠١٢٢٤

المصادر الاجنبية ٢٠٦٢٢٩

المستخلص باللغة الانكليزية Abstract**المستخلص باللغة العربية** ٢٣٠٢٠٧

المستخلص باللغة الانكليزية Abstract ٢١٠

مشكلة البحث

ان طائفة الصابئة المندائية هي احدى الطوائف الدينية التي عاشت على ارض العراق منذ ازمنة سحيقة في القدم .وقد شكلت –بوصفها طائفة – احدى مكونات الشعب العراقي،و قد اعترفت بها كل دساتير العراق واشارت في بعض الاحيان الى حقوقها الدينية والاجتماعية. وبالرغم من كل ما كتب عنها من ادبيات ،الا انها لم تدرس دراسة علمية انثروبولوجية.

كما وان اكثر هذه الكتابات خالية من المنظور او الرؤية الانثروبولوجية، لذا فأنها انصبت على اصول الديانة وأصل التسمية وعلاقتها بالاديان المحيطة بها، بينما نرى ان الجانب الاجتماعي بوجهيه المستقر والمتغير كان غائباً او ضعيفاً في هذه الدراسات.

لذا يمكن ان نحدد مشكلة البحث بأنها دراسة لمظاهر الاستقرار في البناء التقليدي والبناء الاجتماعي وقيمه (البناء العقائدي) ،والبحث في مظاهر التغيرالحاصل في هذين الجانبين ، منطلقين في ذلك من كوننا انثروبولوجيين.وبهذا سيكون علينا ان نتولى دراسة هذه الطائفة الموجودة في بلدنا دراسة علمية معمقة وهادفة ،مما سيعود بالنفع والفائدة على المعرفة العلمية ،وبالخير الكثيرعلى مجتمعنا العراقي المعاصر ،ومن الله التوفيق.

هدف البحث

ان هدف هذا البحث هو دراسة طائفة الصابئة المندائية دراسة انثروبولوجية موضوعية غير متحيزة – بالمقارنة مع البحوث السابقة – وهادفة الى فهم طبيعة هذه الطائفة وطبيعة التغيرات الحاصلة في بنيتها الاجتماعية والدينية ، هاتين البنيتين اللتين تشكلان محورين اساسيين في حياة الطائفة .

ان هذه الطائفة التي لايتجاوز عدد افرادها في العراق اليوم العشرين الف فرد ،لهي جديرة بدراسة علمية موضوعية تبتعد عن الاحكام القيمية المسبقة المتعنتة ، لغرض تسليط الضوء على البناء الاجتماعي والتغير الاجتماعي والاستقرار الاجتماعي في الجانب الطقوسي و على طريقة حياتها وجزء من تاريخها العريق المرتبط بعراقة الوطن .

أهمية البحث

ان أهمية البحث تتأتى من انها دراسة انثروبولوجية اكاديمية رائدة في تناولها لهذه الطائفة العريقة الموجودة في العراق ،أذ ان الدراسات السابقة كانت تقف عند حدود الوصف الانطباعي التاريخي او اللاهوتي.

ويشتمل هذا البحث على دراسة معمقة في محاولته الكشف عن طبيعة الانظمة الاجتماعية وارتباطاتها ووظائفها وأثرها في السلوك الاجتماعي ،وعوامل استقرارها وتوازنها ،ومجالات تغيرها ومدياته .

اما النقطة المهمة الاخرى فتتمثل في دراسة الجانب الطقوسي، فقد وصفت الباحثة في الشأن المندائي (الليدي دراوور) هذه الطائفة بأنها "متحجرات حية" نظراً لقدم الطقوس دون ان يحدث فيها تغير يذكر،وبالتالي فهي مثالية للدراسة الانثروبولوجية، الا ان هذا البحث يبرهن على ان هذا التوصيف لم يعد قائما.

ومن الناحية الاجتماعية فأنه–اي البحث– قد يساعد في اثراء روح التسامح والتقبل الاجتماعي وتكريس روح المواطنة القائمة على احترام وعدم تهميش الاخر .

الباب الاول

الجـانب النـظري

منسّق:الخط: ٤٨ نقطة، غامق، خط اللغة العربية وغيرها: U_S habyaT SCM normal.، ٤٨ نقطة، غامق

منسّق:الخط: ٤٨ نقطة، غامق، خط اللغة العربية وغيرها: U_S habyaT SCM normal.، ٤٨ نقطة، غامق

منسّق:الخط: ٤٨ نقطة، غامق، خط اللغة العربية وغيرها: U_S habyaT SCM normal.، ٤٨ نقطة، غامق

الفصل الاول

طبيعة النظريات الدينية وموقف الانثروبولوجيا منها

المبحث الاول: طبيعة النظريات الدينية

المبحث الثاني: موقف الانثروبولوجيا من النظريات الدينية ومنظورها لدراسة الدين

الفصل الاول
طبيعة النظريات الدينية وموقف الانثروبولوجيا منها

لقد مثّل الدين، بصفته ظاهرة مركزية في الحياة الانسانية، محوراً اساسياً انشغل به الفكر الإنساني منذ الاف السنين وفي مختلف مجالات الثقافة الانسانية وفروع المعرفة .فقد كانت دراسة الدين حاضرة في الكثير من العلوم الانسانية كالقانون والفلسفة والأخلاق واللاهوت والعلوم الاجتماعية من سوسيولوجيا وانثروبولوجيا وتاريخ ...الخ .

كما وان تناول الظواهر الدينية موجود في الدراسات الرائدة في علم الاجتماع، بل نستطيع القول انها كانت – الظواهر الدينية– محفزاً ودافعاً لهذه الدراسات .ان علم الاجتماع الديني ولد في قلب تساؤل علم الاجتماع حول الحداثة والمعاصرة وتأثيرها على الدين وتأثير الدين عليها،وقد اقترح الرواد الكبار مثل دوركايم Durkheim (١٨٥٨م–١٩١٧م)و فيبر Weber (١٨٦٤م–١٩٢٠م) تحليلاً للظواهر الدينية من منطلق علم الاجتماع ،وتركزت دراساتهم على المجتمع المعاصر والتغيرات العميقة التي طرأت على الدين من جرائه[١] .

لقد كان هَم اباء علم الاجتماع منصباً على اعادة بناء ذلك النظام الاجتماعي الذي طالما تصدع بفعل الثورة الصناعية و التغيرات السياسية ،فقد استعملوا بعضاً من نهج فلاسفة الانوار ومن نقدهم العقلاني وحاولوا القيام بمقاربة علمية للدين .

لقد حاز النقد العلمي للدين اهمية كبيرة في علم الاجتماع الديني المنبثق من صميم العلوم الاجتماعية ،ولاسيماخاصة في فرنسا . وقد كان تأثير هذا النقد متناقضاً؛ فبينما ادعى علم الاجتماع المتعلق بشؤون الدين تفسير الدين بطريقة دنيوية، نراه قد ابتعد عن مقاربة فلاسفة الانوار المجتزأة والمبتسرة في النظر الى دور الدين . وتذهب نيسبي Nisbet الى الاعتراف بنفع الدين الاجتماعي معتبرة في الوقت نفسه انه يُظهر على الاخص نقصاً في الادراك، ولقد ساهم فكر علم الاجتماع في رد الاعتبار للامور الدينية عبر ابراز اهمية الدين في الانظمة الاجتماعية[٢] .

وللاطلاع على المدارس التي تناولت الظاهرة الدينية لابد من التفصيل والاثراء ،كما سنوضح في المباحث القادمة .

---

[١] جان–بول ويليم ،الاديان في علم الاجتماع ،ترجمة بسمة بدران ،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،الطبعة الاولى ٢٠٠١م،ص٩ .

[٢] R.A. Nisbet ,The sociological Tradition ,puf ,paris ,1984 pp; 285-287

المبحث الاول
طبيعة النظريات الدينية

يتخذ البحث الاجتماعي في الظاهرة الدينية خطاً متعرجاً صعوداً وهبوطاً في درجة الاهتمام والاضافات الكمية والكيفية التي اضافها الى حقول العلوم الاجتماعية ،وغالباً ما يكون ذلك نتيجة لظروف اجتماعية وتطورات فكرية .

ففي بعض المراحلفترات اخذ مثل هذا البحث موقعاً مركزياً في العلوم الاجتماعية فيما اطلق عليه في الادبيات الاجتماعية (المرحلةفترة الذهبية لعلم الاجتماع الديني) ، وهي المرحلةفترة التي ظهرت فيها اعمال دوركايم وفيبر و ترولتش (Troeltsch)[1] .وقد تبعها انحسارفي هذا الاهتمام خلال مراحلفترات اخرى ولاسيماخاصة بين الحربين العالميتين ، ثم برز موضوع (الدين والمجتمع) مجدداً خلال حقبة الخمسينات من القرن العشرين ، وعاد الى الانحسار او التراجع مدة من الزمن ليعاود الصعود خلال المرحلةفترة الاخيرة (بدايات القرن الحالي والعقد الاخير من القرن المنصرم) ليمثل مكانة متقدمة في العلوم الانسانية .

وتعدتبر محاولات علماء الاجتماع والانثروبولوجيا في الوصول الى شرح الدين ودوره في المجتمع جزءاً من التوجه العام في الانثروبولوجيا الاجتماعية(Social Anthropolog) نتيجة التحول من افكار البناء الى افكار الفعل ،وقد جاء هذا بدوره نتيجة لتجدد الاهتمام بالتغير الاجتماعي الناتج من الحركات (الدينية–السياسية) او الحركات الدينية المؤثرة في السياسة .كما و تجدر الاشارة هنا الى ان مفاهيم القومية والوطنية والعالمية والعولمية تزامنت مع ، او طبعت او مرت من بوابات الحركات الدينية في كثير من الاحيان ،كل ذلك اثار بالتأكيد تفكيراً عميقاً حول الدين. ناهيك عن اننا نجد ان بعض جوانب الدين تلعب دوراً في الحفاظ على اشكال التراتب الاجتماعي[2] ، وهذه النقطة بالذات كانت قد شكلت منطلقا لهجوم بعض المدارس النقدية للمؤسسات الدينية مثل علم الاجتماع الماركسي .واذا اردنا ان نسلط الضوء على النظريات الدينية ،فأن سؤالا مهماً سيواجهنا وهو؛ اين خط الشروع الذي سنبدأ منه تتبعنا للنظريات التي تناولت بالدراسة الظاهرة الدينية وتفسيرها وعلاقتها بألانساق الاجتماعية الاخرى ؟

ونقترح هنا ان نبتدئ بالنظريات الحديثة اذ تكون نقطة البداية هي القرن التاسع عشر وذلك لكيما نتجنب الخوض في امور تاريخية ولاهوتية قد لاتغنى البحث بل وتجره الى التشتت .

يؤكد ليبك (Lubbock) في كتابه المسمى (اصول الحضارة) انه كانت لدى اقل الشعوب تحضراً مرحلة اولى كانت خلواً من كل ديانة على وجه الاطلاق ،لكن المتأخرين من المستكشفين

---

[1] **Charles Y. cloch ,the sociology of religion : Robert merton , eds ,Sociology Today :Problems and prospects , NewYork :Evanston ,Harper ,Torch books ,1959,pp;153-154**

[2] **حيدر ابراهيم علي ،الاسس الاجتماعية للظاهرة الدينية ،ملاحظات في علم اجتماع الدين ،بحث في ندوة (الدين والمجتمع العربي) مركز دراسات الوحدة العربية،٢٠٠٠م بيروت ص٣٧ وما بعدها .**

لم يعترفوا بالامثلة التي ضربها ليبك فهم يقولون انه ليس ثمة وجود على الاطلاق ً لأثر من اللادينية المزعومة لدى الانسانية البدائية[1] ،هذه النقطة كانت مصدر جدل ونقاش وتفكير عنيف في القرن الثامن عشر ،اذ ان سؤالاً مثل (كيف بدأ الانسان بممارسة الطقوس الدينية ؟ او كيف نشأت المعتقدات الدينية ؟) وقد ظلت محاولة تتبع تطور هذه الافكار الشغل الشاغل للعديد من المفكرين والفلاسفة وعلماء الاجتماع في القرن الثامن عشر .

ومن هنا يمكننا ان نتفرز او نبوب عدداً من المدارس او المذاهب او النظريات التي تناولت الظاهرة الدينية بصفتها جزءاً من النظام الاجتماعي ككل ، منذ القرن التاسع عشر الى يومنا هذا وكالاتي :-

١.**المدرسة الطبيعية** : يرى اصحاب هذه المدرسة ان الدين محاولة اولى قام بها العقل الانساني لتفسير الظواهر الطبيعية ولاسيما تلك الظواهر التي تثير في النفس العجب والدهشة او الخوف والرهبة[2] .

ويمكن ان نقسم هذه المدرسة الى فرعين ،اذ يرى الفرع الاول ان العامل الرئيس في اثارة الفكرة الدينية هي التأمل والنظر في مشاهد الطبيعة تأملاً يجعل الانسان يشعر بمزيج من الدهشة والاعجاب، فيخلص الى التفكير بانه محاط بقوى مستقلة عن ارادة البشر، ويخضع افراد المجتمع الى تأثيرها، ولا قدرة للافراد على تغيير او تعديل النظام الذي تفرضه هذه القوى.ومن اهم علماء هذا الفرع من المدرسة الطبيعية العالم ماكس موللر (Max Muller).

اما الفرع الثاني من المدرسة الطبيعية –الذي يقف في مقدمته العالم جيفونز Jevones – فهو يرى ان التأمل والنظر في الظواهر الطبيعية العادية لايكفي لاثارة الفكرة الدينية ،وانما الذي يثيرها هو الطبيعة العنيفة ،اذ ان هذه الحوادث تبعث على الفزع والخوف في نفس الانسان وتجعله يستفسر عن مصدرها، فينسبها الى قوة خفية هي التي تسيّر العالم، ولابد من العمل على ارضائها بتقديم الهدايا والقرابين والاضاحي .

وبشكل عام فأن مقاربة المدرسة الطبيعية لدراسة الظاهرة الدينية كانت مبنيةً على اساس المبدأ التجريبي الذي يؤكد على عدم وجود شئ في العقل الانساني ما لم يكن موجوداً في الواقع من قبل .

وقد طبق ماكس موللر(Muller)هذا المبدأ على الدين، فقرر انه لايتحقق شئ في تفكير الانسان ما لم يكن قد اتى من قبل عن طريق حواسه ،لذلك فهو يرى ان الدين يقوم على اساس التجربة والملاحظة والمشاهدة .

---

[1] علي سامي النشار ،،نشأة الدين ،النظريات التطورية والمؤلهة ،الاسكندرية ،دار نشر الثقافة ،١٩٤٩م ،ص٣٠ وما بعدها .

[2] د.احمد الخشاب ،الاجتماع الديني ،مفاهيمه النظرية وتطبيقاته العملية دار الحمامي للطباعة ،القاهرة ،ص١٠٤ وما بعدها .

كذلك اعتمد موللر على تخصصه في علم الفيلولوجيا (philology) ، فطبق المنهج اللغوي المقارن على نصوص الكتب المقدسة للديانة البراهمية الهندية التي تعرف باسم (الفيدا)، فوجد ان اسماء الالهة في مثل هذه الكتب المقدسة يمكن ان تعبر في الواقع عن قوى طبيعية، ويضرب لذلك مثلاً اسم اله يدعى (اجني) (Agni) وهو احد الهة الهند الرئيسية ،وقد اظهر تحليل المدلول اللغوي لهذا اللفظ المقدس بانه يستخدم للدلالة على النار، هذا فضلا عنبالاضافة الى الاعتبارات النفسية التي بنى عليها موللر نظريته. وهذه النظرية تتلخص في ان الظواهر الطبيعية المستقرة التي تحيط بالانسان وتثير فيه مختلف المشاعر و الاحاسيس كافية لان تثير الفكرة الدينية .وقد ربط موللر هذه الفكرة الدينية بفكرة اللامتناهي او اللامحدود ،اذ ان كل شئ في الطبيعة يرمز الى قوة لامتناهية ،فكل شئ في الطبيعة يثير في نفس الانسان الاحساس باللامتناهي ،ومن هذا الاحساس نشأ الدين. ومن ذلك– وبحسب رأي العالم ماكس موللر– يكون الدين هو اللغة او مجموعة الرموز التي يعبر بها الانسان عن هذا الاحساس الغامض الذي يأتيه عن طريق حواسه ،وبذلك يكون الشعور الديني في بدايته مؤمناً بتعدد الالهة بالتأكيد ،لان الانسان كلما واجه ظاهرة جديدة تشعره بالامتلاء بأحساس لامتناهٍ توجه الى عبادتها ،وهكذا يعدتبرها القوة الاقوى والاجدر بالعبادة وبذلك تعددت الالهة [١].

٢. المدرسة الحيوية (Animism) :

يعتقد علماء الاثنولوجيا والانثروبولوجيا ،الذين قاموا بدراسات في المجتمعات البدائية بأن هنالك تقبلاً عاماً بين هذه الاقوام للاعتقاد بحيوية المادة ،أي ان كل الاشياء ما سكن منها وما كان حياً متحركاً لها ارواح ،وان لكل انسان روح تغادر جسده مؤقتاً في اثناء الاحلام ونهائياً عند الموت[٢] .ويعد ابرز اعلام هذه المدرسة العالم الانجليزي السير ادوارد تايلور (Tylor). ففي كتابه الحضارة البدائية (primitive civilization) ،يطرح تايلور تصوره عن نشوء الدين ،اذ يذهب الى القول ان اقدم ديانة هي الاعتقاد بالارواح وعبادتها [٣] .

لقد حاول تايلور ان يشتغل على اعادة تركيب العقلية البدائية، فبين كيف انتهى الى (فكرة النفس التي تغادر البدن)، فالبدائيون لاحظوا النوم وحالات الوجد او الغيبوبة التي تصاحب الطقوس الدينية (الانجذاب الصوفي) في الرقصات الدينية في المجتمعات البدائية، وتخيلوا ان

(١) علي سامي النشار ،نشأة الدين ،مصدر سابق ص٧٠-٧١

(٢) جون ب نوز ،اهم الخصائص المميزة للدين في المجتمعات البدائية ،ترجمة غادة جاويش في موسوعة تاريخ الاديان ،تحرير فراس سواح ،منشورات دار علاء الدين ،طبعة الاولى دمشق ،٢٠٠٣م ،ص٢٦ .

(٣) روجيه باستيد ،مبادئ علم الاجتماع الديني ،ترجمة د.محمود قاسم ،القاهرة المكتبية الانجلو –مصرية ،١٩٥١ ،ص٢٢٠-٢٢١ .

منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: Arabic deifilpmiS، دون مرتفع/ منخفض

منسّق:خط الفقرة الافتراضي، الخط: دون غامق، خط اللغة العربية وغيرها: deifilpmiS Arabic، دون غامق

منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: Arabic deifilpmiS، دون مرتفع/ منخفض

منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: cibarA deifilpmiS

منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: cibarA deifilpmiS

منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: Arabic deifilpmiS، دون مرتفع/ منخفض

منسّق:خط الفقرة الافتراضي، الخط: دون غامق، خط اللغة العربية وغيرها: deifilpmiS Arabic، دون غامق

منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: Arabic deifilpmiS، دون مرتفع/ منخفض

منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: cibarA deifilpmiS

منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: Arabic deifilpmiS، (العربية وغيرها) العربية (المملكة العربية السعودية)

منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: cibarA deifilpmiS

منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: cibarA deifilpmiS

منسّق:دون مرتفع/ منخفض

منسّق:خط الفقرة الافتراضي، الخط: دون غامق، خط اللغة العربية وغيرها: Arabic lanoitidarT، دون غامق

منسّق:دون مرتفع/ منخفض

النفس هي تكوين او ماهيّة اكثر خفة بكثير من الجسم، وذلك بناءاً على ارائهم في الاحلام او الرؤى ،وقد كان الانسان البدائي يعيش وسط بيئة طبيعية زاخرة بكل ما هو حي ،فالماء يسيل والريح تصفر .....الخ .

ولما كان الانسان البدائي قد اتخذ من نشاطه الخاص أنموذجاً يقيس عليه جميع الاشياء التي كانت تحيط به ،فقد بدا له ان جميع الاشياء تتكون من جسم وروح، وبذلك وجد ان العالم مليء بعدد لانهاية له من الارواح ،وهذا هو السبب الذي جعل بعض الباحثين يطلقون على نظرية تايلور اسم النظرية الارواحية[١] .

وان فكرة تعدد الالهة كانت مبنية على اساس ان نخبة ممتازة من هذه الارواح كتب لها الرقي بعد ان كانت مختلطه بباقي الارواح التي كان البدائي يخشاها ويعبدها .

ان نظرية تايلور حول عبادة ارواح الاسلاف وتفسيرها اصل الدين المعتمد على او المستند الى تحليل التفكير البدائي حول موضوع الاحلام والمرض والموت،كانت قد لاقت نجاحاً منقطع النظير ، بل ونستطيع القول انها بقيت مسيطرة على علم الاجتماع الديني والدراسات الانثروبولوجية لمدةفترة طويلة ،وقد عُدت من النظريات الرئيسية في هذا الموضوع .

ولكن من الجدير بالذكر ان ثمة فرع ثانٍ مهم في هذه المدرسة ،وهو اتجاه العالم الانجليزي هربرت سبنسر (Spencer) .ونظرية سبنسر التي نادى بها بأسم (نظرية ارواح الموتى) ترى بان اول فكرة يمكن العثور عليها بصدد الكائنات فوق الطبيعية او الكائنات العليا هي الفكرة القائلة بوجود ارواح الموتى بعد وفاتهم بشكل فاعل ومؤثر في الحياة ،وهذه الفكرة ولدت نتيجة الصور الخيالية في الحلم ،فعندما يحلم البدائي بأشخاص توفوا قبل زمن فأنه يفسر ذلك بأن ارواحهم هي التي زارته[٢] .

ويقيم البدائيون طقوساً يتضرعون فيها الى هذه الارواح بتقديم القرابين لها ،وهكذا تنشأ عبادة الاسلاف ،وهي اولى العبادات ،ومنها نشأت عبادة الاصنام (فقد كانت الاصنام في بداية الامر بعض اجزاء الجثة التي كانت تحفظ او تحنط ويحتفظ بها كآثار يتبرك بها البدائيون)[٣] .

اما عبادة الحيوانات فقد قدم لها هربرت سنبسر تفسيراً في نظريته مفاده ان البدائي يعتقد ان روح الميت تتشكل او تتلبس بعض الحيوانات التي كان يراها على مقربة من المسكن الذي ترقد فيه الجثة في اللحظات الاولى للوفاة ،أي ان روح المتوفي خرجت من جسده ودخلت في جسد الحيوان القريب من مكان الوفاة .كذلك بالنسبة لعبادة بعض النباتات او تقديسها ،فأن

---

[١] لوسي مير ،مقدمة في الانثروبولوجيا الاجتماعية ،ترجمة د.شاكر مصطفى سليم ،دار الشؤون الثقافية ،بغداد ١٩٨٥ ص٢٣٩ الى ص٢٤٢ .

[٢] روجيه باستيد ،مبادئ علم الاجتماع الديني، مصدر سابق ،ص٢١٨

[٣] د.احمد الخشاب ،الاجتماع الديني ،مصدر سابق ،ص١١٦ .

البدائي يرى ان بعض حالات فقدان الوعي او (الجنون المؤقت) الذي يعقب تناول عصارة بعض النباتات مردها الى الارواح التي يُظن انها سجينه في هذه النباتات، و في بعض الحالات يعتبر انتقال روح الموتى الى النباتات التي تنمو او تنبت على قبور الموتى تفسيراً لتلبس روح الموتى للنباتات، ومن ذلك تأتي قدسية هذه النباتات.

٣. مدرسة ما قبل المادة الحية او المانا (Mana or pre- Animisim) :

استخدم الانثروبولوجيون عددا من الكلمات المتداولة لدى المجتمعات البدائية التي قاموا بدراستها ،ومن ثم شاع المصطلح واصبح ذا استخدام عالمي مثال ذلك التابو والطوطم. وقد تبنى الانثروبولوجيون مصطلح المانا Mana من ثقافة ميلانيزيا (وهي جزء من ارخبيل جزر المحيط الهادي) للدلالة على قوة سحرية فوق طبيعية قائمة بذاتها ،تسري في مظاهر الكون والطبيعه بمعزل عن اية صلة لها بشخصيات معينة او ارواح .وهو معتقد واسع الانتشار رغم عدم عالميته .ولايعد هذا المصطلح الميلانيزي الوحيد المتداول بين القبائل البدائية ،اذ ان ثمة ما يعادله لدى بعض قبائل الهنود الحمر وبعض قبائل شمال افريقيا وقبائل البانتو في جنوب افريقيا. [١]

وقد ولدت مدرسة المانا نتيجة انتقاد المدرسة الحيوية (Animisim) ،ومن اهم العلماء الذين يمثلونها ماريت Marett وكنج King[٢] .

ويرى علماء هذه المدرسة ان الحالة الدينية التي وصفتها المدرسة الحيوية مسبوقة بحالة لم ينتبه لها علماؤها ،وهذه الحالة تتلخص في ان الانسان البدائي لم يكن يؤمن بالنفس الفردية، بل كان يعتقد ان هناك قوة واحدة منتشرة في جميع اركان العالم وان فكرة الارواح الذاتية كانت قد نشأت عن طريق تلك القوة التي تعرف بالمانا، والتي تشكلت بصور مختلفة بأختلاف الجماعات الانسانية ؛اذ يسميها الهنود الحمر في امريكا الشمالية (Manitou) مانيتو او الروح الاكبر ،و تسميها بعض القبائل (واكندا) ،وتدل هذه الكلمات على معنى قدسي وعلى معنى الشئ النادر او الخارج عن المألوف او القوي[٣] .

وقد يعاب على هذه المدرسة بصفة عامة انها تخلط بين السحر والدين بل ان بعض اصحابها يلجأون الى القول بأن السحركان قد سبق الدين في وجوده، او بمعنى اخر ان المجتمعات الانسانية قد شغلت بالمعتقدات السحرية قبل ان تعرف الدين .

---

(١) جونز ب نوز ،اهم الخصائص المميزة للدين في المجتمعات البدائية ،مصدر سابق ،ص٢٥ .

(٢) د.احمد الخشاب ،الاجتماع الديني ،مصدر سابق ،ص ١١٧.

(٣) روجيه باستيد ،مبادئ علم الاجتماع الديني ،مصدر سابق ،ص٦٦ .

منسّق:خط اللغة العربية وغيرها:
cibarA deifilpmiS

وقد تعرضت هذه النظرية الى انتقادات كثيرة من علماء الانثروبولوجيا ،لان هؤلاء العلماء عندما حللوا فكرة (المانا) وجدوا انها لم تكن فكرة دينية خالصة بل يشوبها مآرب دنيوية[١] .

٤. المدرسة الطوطمية :

هناك الكثير من الصعوبات التي واجهت الباحثين لتعريف الطوطمية . فلقد استعملت الكلمة في بعض الاحيان كأسم فني لاتحاد مفترض يشتمل على سلوك طقسي بين انواع معينة من الحيوان وبين جماعات اجتماعية معينة. والطوطمية هي حقيقة اجتماعية تجعل اعضاء جماعة ما يرتبطون بنوع من الحيوان يمتنعون عن اكله او قتله ،وهذه قاعدة طقسية، ويصبح من باب تحميل الكلمات اكثر مما تحتمل ان نسميها (عبادة) للحيوان .وقد لاحظ دوركايم في دراسته للسكان الاصليين في استراليا ،ان الطوطمية مرتبطة بالزواج الخارجي حتى انه جعل ذلك قاعدة، لكنها لم تصمد للنقد بعد ذلك ،وكذلك بالنسبة للعالم (فريزر) اذ انه كتب اربع مجلدات ضخمة في هذا الموضوع[٢] .

ويعتبر العلماء والباحثون ان هناك احساساً وسلوكاً لدى البدائيين يفسر الطوطم بأنه الجد الاعلى للقبيلة او المجموعة القرابية او المجموعة الاجتماعية ،سواء اكأن ذلك الجد بايولوجيا امر افتراضياً. ومن اوضح النظريات التي طرحت هذه الفكرة هي نظرية فرويد في كتابه (الطوطم والتابو) ،(وقد ترجم الى العربية بعنوان (الطوطم والحرام) Totem and Taboo))،وقد نشرعام ١٩١٣ وهي السنة التي تلت سنة نشر (دوركايم) كتابه (الاشكال الاولية للحياة الدينية) .

لقد رأى فرويد في طقوس (الاستراليين الاصليين) تعبيراً عن عقدة اوديب (الرغبة اللاشعورية للانسان الذكر ان يقتل اباه ويتزوج بأمه) ،وكما تصور فرويد الحياة الاجتماعية فان زعيم المجموعة (الاب) يحتفظ لنفسه بنساء المجموعة كافه حتى ليتوجب على كل رجال المجموعة وهم (اولاده) ان يبحثوا عن زوجات لانفسهم من خارج المجموعة القرابية[٣]

وكانت النتيجة ان ثار الابناء فقتلوا اباهم واكلوه، ولكنهم– وقد اخذ منهم الشعور بالذنب كل مأخذ– لم يستفيدوا من النصر الذي حققوه ففرضوا على انفسهم قاعدة التزاوج من خارج المجموعة القرابية ،وهذه هي الحادثة التي يحتفل بها كل عام بأكل طقسي (للحيوان الطوطم)[٤] وهو طقس غير موجود في اية بقعة من بقاع العالم خارج (استراليا) .

---

[١] د. احمد الخشاب ،الاجتماع الديني ،مصدر سابق ،ص١١٧.

[٢] لوسي مير ،مقدمة في الانثروبولوجيا الاجتماعية ،مصدر سابق ،ص٢٤٤.

[٣] لوسي مير ،مقدمة في الانثروبولوجيا الاجتماعية ،مصدر سابق، ص٢٤٤-٢٤٥ .

[٤] سيغموند فرويد ،الطوطم والحرام ،ترجمة جورج طرابيشي ،دار الطليعة ،بيروت ١٩٨٣ ،ص١٣٠ وما بعدها .

واشار دوركايم الى ان الطوطم هو شعار الجماعة او رمزها التي تسمي نفسها بأسمه.وقد حطم (كلود ليفي–ستروس) النظرية حول العلاقة بين الطوطمية والزواج الخارجي بأن اوضح انه: لو بقيت الجماعات النسبية واضحة المعالم وقابلة للتمييز لمدة طويلة حتى تستاهل ان تحمل اسماءً وان تستعمل شعارات ،فيجب ان تكون لديها قواعد للزواج من النوع الذي يمكنها من ذلك الوضوح والتمييز وهنا ،حيثما تجد الطوطمية فعليك ان تتوقع وجود الزواج الخارجي وهي حالة غير موجودة[1] .

وقد اوجز فرويد مبادئ الطوطمية في كتابة الطوطم والتابو في مجموعة نقاط هي :–

١. لا يجوز اكل بعض الحيوانات او قتلها ،ويربي البشر افراداً من هذه الانواع الحيوانية ويحيطونها بالرعاية.
٢. ان الحيوان الذي يموت في حادث ما يكون موضوعاً للحداد يوازي التكريم الذي يحاط به فرد من القبيلة .
٣. قد لا يطال الاكل الا بعض اجزاء الحيوان بينما اجزاء اخرى تعدتبر محرمة .
٤. عندما تدعو الضرورة الى قتل الحيوان الطوطم ،فأن المجموعة الاجتماعية تسعى للاعتذار بكافة بالسبل كافة وتحاول تخفيف انتهاك الحرام ،أي القتل .
٥. حينما يضحى بالحيوان طقسياً يكون هناك بكاء و نواح في احتفال رسمي .
٦. في بعض المناسبات الاحتفالية وفي الطقوس الدينية ،يرتدي افراد القبيلة جلودا او اجزاء من الحيوان الطوطم .
٧. عندما يكون الطوطم حيواناً خطراً ومخيفاً فمن المعتقد انه لايمس بالاذى اعضاء القبيلة التي تحمل اسمه .
٨. قد ينبئ الحيوان الطوطم اتباعه بالمستقبل ويتولى ارشادهم كما يعتقدون .

وقد ركز دوركايم في دراسته لسكان استراليا الاصليين– كما رأينا– على الطواطم الحيوانية لانها موجودة في المجتمع الذي درسه ،بينما اشار بعض العلماء مثل (كلود ليفي–ستروس) الى امكانية وجود طوطمية حيوانية او نباتية او حتى جمادية مثل الصخور في اماكن متقاربة او في المجتمع الواحد، كما هو الحال في مجتمعات الهنود الحمر في الامريكتين[2] .

ثم انتهت جهود علماء الانثروبولوجيا الى اثبات ان الطوطمية نظام ديني عام مرت به الانسانية في مراحل نشأتها الاولى، وقد حاول اثبات ذلك الكثير من العلماء مثل ماكلينان

---

[1] . لوسي مير .مصدر سابق ص٢٤٦.فرويد ،الطوطم والحرام ،مصدر سابق ،ص١٣٣ .

[2] لوسي مير ،مقدمة في الانثروبولوجيا الاجتماعية ،مصدر سابق ،ص٢٤٦ .

(Maclennan) وروبرتسون سمث (Robertson Smith) وجيمس فريزر (Jims Frazer)[١]

.

٥. المدرسة الاجتماعية :

يعتبر قسم من الباحثين أن هذه المدرسة ما هي الا تطوير وتعديل وتجميع للنظريات السابقة، ومع ذلك فأن لهذه المدرسة أهمية خاصة لما قدمته في مجال فهم ودراسة الظاهرة الدينية. ويعد دتير العالم الفرنسي أميل دوركايم أهم علماء هذه المدرسة ،فلقد جعل دوركايم نظرية المانا اساساً للبحث في السلوك الديني ولكنه بدأ بدراسة الديانة الطوطمية الاسترالية[٢] .

لقد عرف دوركايم الديانة الطوطمية الاسترالية بانها عبادة افراد العشيرة للنبات او الحيوان الذي يعتقدونبرون انه جد بعيد لهم .ولكنه–اي دوركايم – اشار الى نقطة مهمة هي ان عبادة او تقديس هذه النباتات او الحيوانات او الجمادات ليست عبادة وانما هي اعتبارهذه الكائنات رموزا واشارات للعشيرة . ومن هذه النقطة تحديداً تنفذ العبادة الى النقطة الجوهرية وهي القوة غير الشخصية التي تمثل هذه الرموز مقراً لها ،وحينئذ اذا كان الطوطم قوة غيبية وشعاراً للمجتمع في آن واحد فمن الممكن ان يكون المعبود والمجتمع شيئاً واحداً ،وبذلك تكون العشيرة قد تجسدت في شخصية محددة وبدت للخيال على هيئة بعض الانواع النباتية او الحيوانية المحسوسة[٣] .

وقد خلص دوركايم الى المقاربة النهائية في ان المجتمع والمعبود متشابهان في اهم نقطة، وهي ان كلاهما يقهر ويلزم ،وكذلك انهما قوة تعتمد عليها قوتنا ،وهما مستودع لضرب من الطاقة لاينضب معينها.

ومن هنا وعلى ضوء نظرية دوركايم الاجتماعية و تفسيرها يمكننا ان نشير الى السؤال الرئيسي؛ وهو لماذا بقي الدين مع اختلاف الحضارات والثقافات ؟ وسيكون الجواب هو ان الدين لايعبر عن اشياء طارئة او بسيطة او متحولة انما يعبر عن شئ حقيقي هو الوجود الاجتماعي[٤] .

---

[١] اميل دوركايم ،الطوطمية كدين بدائي ،ترجمة ثائر ديب ،في كتاب موسوعة تاريخ الاديان ،الجزء الاول مصدر سابق ص٣٥-١٤١ .

[٢] د.جودفري لينهارت ،الدين ،فصل من كتاب هاري د.شابيرو (محرر) الانسان والحضارة والمجتمع ،ترجمة عبد الكريم محفوض ،منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي دمشق ،١٩٧٨ ،ص٥٨٤ وما بعدها .

[٣] وقد اطلق لينهارت على هذه المدرسة اسم الفلسفية .

[٤] روجيه باستيد ،مبادئ علم الاجتماع الديني ،مصدر سابق ،ص٢٣٢ .

ان فكرة او نظرية المانا في نظر دوركايم ليست سابقة لفكرة الارواح الفردية التي عبرت عنها النظرية الارواحية .وبحساب منطقي يقول دوركايم انه من المستحيل ان يوجد المجتمع دون وجود الافراد ،كذلك لايمكن ان توجد المانا دون وجود ارواح الافراد ،وهذا منطقياً وليس زمنياً[١] .

وخلاصة القول ، ان المدرسة الاجتماعية وعلى راسها دوركايم ترى انه لايمكن ان يكون الحلم او تأمل الطبيعة سبباً في نشأة الظاهرة الدينية ،لانهما–اي الحلم وتأمل الطبيعة – ظاهرتان تجريبيتان مشتركتان لدى جميع الناس ،في حين ان العاطفة الدينية لاتخضع للتجربة، بل اطلق بعض العلماء مثل بريل او مارسيل موس على الظاهرة الدينية في المجتمعات البدائية اسم (الظاهرة الصوفية) أي ان الاستنتاج لم يكن يتم عبر الطريق المنطقي والتحقيق التجريبي وانما يتم عن طريق تداعي الافكار الخيالية والرمزية المكتسبة بتراكم الخبرات[٢] ، كان كل ذلك يتم بطريقة يمكن ان نسميها شعرية ،كما ان الانسان البدائي بحسب هذه المدرسة لم يكن يمتلك فكراً تحليلياً بل تركيبياً في مقاصده .

٦. المدرسة التكاملية (التوفيقية) :

تقرر هذه المدرسة ان الظاهرة الدينية لها مصادر ثلاث في آن واحد وفي كل مجتمع بدائي وهي؛

المصدر الاول : فكرة المادة الحية (Animatisms) وهي الاعتقاد بأن الاشياء التي تعبد هي اشياء حية .وترتبط هذه الفكرة بحركة الاشياء وتحولها دون افتراض وجود روح فيها، فمبدأ الروح الحيوية (Animism) يأتي في مرحلة ارقى من مرحلة المادة الحية .

المصدر الثاني : ان اساس الفكرة الدينية هي (المانا) (Mana) او القوة غير الشخصية. وترتبط هذه الفكرة بفكرة التابو (Taboo) او الامور المحرمة والمقدسة[٣] .

المصدر الثالث : فكرة الالهة الخالقة (Creative) اذ يعتبر البعض من العلماء ان فكرة الارواح ليست فكرة دينية محض ،بل انها فكرة فلسفية اكثر منها دينية .و تقوم على محاولة تعليل وتفسير التغيرات الطبيعية والنشاط الاجتماعي بصفة عامة ،بينما فكرة الخلق والخالق عندما تصاحب فكرة الارواح فأنها تنتج فكراً دينياً واضح المعالم[٤] .

---

[١] د. احمد الخشاب ،الاجتماع الديني ،مصدر سابق ،ص١٣٤.

[٢] ر.جودفري لينهارت ،الدين /مصدر سابق ،ص٥٨٢-٥٨٣.

[٣] د.احمد الخشاب ،الاجتماع الديني ،مصدر سابق ،ص١٣٤.

[٤] روجيه باستيد ،مبادئ علم الاجتماع الديني ،مصدر سابق ص٢٣٢ .

كذلك نظر علماء الاجتماع والانثروبولوجيا الى (المانا) اذ وجدوا في مفهوم (المانا) طابعاً دينياً خالصاً لان هذا المفهوم يشكل عنصراً مهما في تقديم الاضاحي والقرابين وطقوس الدعاء والصلاة .

ومن المصادر الثلاث السابقة تطورت فكرة الألوهية ونشأت فكرة الآلهة المتخصصة مثل اله السماء واله الارض ..الخ ومنها نشأت فكرة الاله الاكبر ومن فكرة المانا نشأت وحدة الوجود.

إن هذه المدرسة لاتقدم نظرية بالمعنى الدقيق ،وإنما هي محاولة لجمع عناصر النظريات السابقة ،ويمكن أن يوجه لها الانتقادات نفسها التي يمكن أن توجه إلى النظريات السابقة .

المبحث الثاني
موقف الانثروبولوجيا من الظاهرة الدينية

١ .مواقف ودراسات الرواد :-

لقد شكلت الظاهرة الدينية محوراً اساسياً في الدراسات الرائدة في العلوم الاجتماعية مثل علم الاجتماع والانثروبولوجيا ، وذلك لان الرواد كانوا مدفوعين بدافع البحث عن بدائل للانهيارات في المؤسسات الدينية بسبب الثورة الصناعية والثورة السياسية التي حصلت منذ منتصف القرن الثامن عشر ،وكأنهم كانوا يبحثون عن علم اخلاق بديل للاخلاق التي كانت تفرضها المنظومات الدينية .

ان المادة التي استخدمها العلماء الرواد في مجال الانثروبولوجيا ودراسة الظواهر الدينية ،هي تقارير استخدمها هؤلاء العلماء من اجل تثبيت نظرياتهم . وان هذه التقارير لم تكن مليئة بالمغالطات فوحسب، بل لقد كانت انتقائية تماماً وهذا هو صلب الموضوع . فالرحالة والمغامرون والضباط الاستعماريون كانوا يبحثون عن كل ما هو غريب وجذاب وملفت للمجتمع الغربي ليركزوا عليه ملاحظتهم ومذكراتهم ،وهكذا كان للسحر والطقوس الدينية البدائية والغيبيات الحصة الاكبر في هذه الكتابات، بل نستطيع القول انها شكلت تسع اعشار دراسة المجتمعات البدائية[١] اما الانسان البدائي الذي يصطاد ويجني الثمار ويقتلع الجذور ويقوم بأعمال الزراعة ويعتني بمواشيه ويبني بيتاً ويصنع ادوات واسلحة، وينصرف اخيراً الى اهتماماته الدينية، فلم يكن يذكر في تلك التقارير بهذا الوضوح .

ان سيطرة الفكر التطوري على حقبة فترة القرن التاسع عشر من الدراسات الانثروبولوجية وما مثلته المدرسة التي يطلق عليها (الداروينية الاجتماعية)، جعلت اهتمام العلماء ينصب على انساق اجتماعية معينة مثل نسق الزواج او النسق الديني ،محاولة دراسته بطريقة القص واللصق ،اذ يتم جمع الشواهد من اكثر من مجتمع من المجتمعات البدائية وبطريقة انتقائية وكيفية للوصول الى اثبات الطروحات التي يتبناها العالم. واوضح مثال على ذلك كتابات العالم الانكليزي (جيمس فريزر)[٢] .

كما وان اعتماد الرواد على (التاريخ الظني) او الافتراضي اوقعهم في كثير من الاخطاء ،لانهم كانوا يحاولون رسم خط التطور التصاعدي للمجتمعات الانسانية من اوطأ درجات سلم التطور الذي اعتبروا اولى خطواته هي المجتمعات البدائية المعاصرة لهم، وتعاملوا معها على انها نوع من المتحجرات الاجتماعية، معتمدين على طريقة قياس اثبت خطلها، وهي ان المجتمعات المتخلفة تقنياً لابد وان تكون نظمها الاجتماعية بدائية مثل تقنياتها، بينما اثبت

(١)ايفانز بريجارد ،نظريات الدين البدائي ،ترجمة حسن قبيسي ،دار الحداثة بيروت ط١ ١٩٨٦ ص١٥٢.

٢ احمد ابو زيد ،البناء الاجتماعي ،الجزء الاول المفاهيم الطبقة الخامسة ١٩٧٦ القاهرة ،ص٢١٦ وما بعدها

منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: Arabic deifilpmiS، دون مرتفع/ منخفض

منسّق:خط الفقرة الافتراضي، الخط: دون غامق، خط اللغة العربية وغيرها: deifilpmiS Arabic، دون غامق

منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: Arabic deifilpmiS، دون مرتفع/ منخفض

منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: cibarA deifilpmiS

منسّق:خط الفقرة الافتراضي، الخط: دون غامق، خط اللغة العربية وغيرها: deifilpmiS Arabic، دون غامق

منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: cibarA deifilpmiS

العلماء اللاحقون ان كثيراً من نظم وانساق المجتمع البدائي كانت متطورة وعملية، فالفن البدائي مثلاً متطور اذا ما تعامل معه الناقد بموضوعية، وكذلك نظم الادارة والحريات الفردية التي يعيشها الفرد في ضمن بدنته الاجتماعية[١] .

٢. المواقف والدراسات الحديثة :

تعددت الرؤى والمدارس في العلوم الاجتماعية ،ومنها ما تميز فعلا من مدارس وعلماء كانت لهم اسهامات متميزة في تناول الظاهرة الدينية .واهم هذه المدارس :

١- المدرسة الماركسية :

على الرغم من المآخذ التي أُشرت على التناول الماركسي لموضوع الدين، الا انها طرحت ثلاث اشكاليات مهمة في بحث الظاهرة الدينية؛ وهي اشكالية الافكار، واشكالية استخدام الدين كوسيلة سياسية، واشكالية الطبقات الاجتماعية وعلاقتها بالدين مثل الايمان البرجوازي المختلف عن ايمان الكادحين .

ان اشكالية الافكار تسمح بطرح مسألة ادراك تأثير النظرة الدينية للانسان والعالم او انكارها، واشكالية استخدام الدين كوسيلة سياسية تترافق مع مسألة استخدام الانظمة الرمزية في علاقات السيطرة الاجتماعية وتشريعات السلطة ،اما اشكالية الطبقات الاجتماعية فتدعو الى دراسة الاختلاف في الممارسات والوسائل الدينية بحسب وفقاً الاوساط الاجتماعية[٢] .

ان الماركسية نظرية جامعة، وقد اتخذ اتباع ماركس وانجلز توجهات عدة في تناول الظاهرة الدينية .الا ان انتونيو غرامشي(Antonio Gramsci)(١٨٩١-١٩٣٧) قدم تحليلاً اعمق من تحليل ماركس وانجلز ،على الرغم من اخلاصه في خطوطه العريضة للرسم البياني الماركسي.

فهو لا يكتفي بدراسة الوظيفة الاجتماعية التي شهدتها الكنيسة الكاثوليكية في الحقب المختلفة فحسب ،بل ويذهب ايضا الى تحليل الكنيسة على انها نسق الدولة الايديولوجي .

لقد صدم غرامشي لمتانة النسق الايديولوجي الذي شكلته الكنيسة الكاثوليكية لدورها في اطار العلاقة بين المثقفين والجماهير[٣] .

---

[١] اشلي مونتياغو ،البدائية ،ترجمة د.محمد عصفور عالم المعرفة الكويتية ١٩٨٢ ،ص٢٥٠-٢٥٢

[٢] جان –بول وليم ،الاديان في علم الاجتماع ،مصدر سابق ،ص١٨

[٣] د. فيصل دراج ،الثقافة الشعبية في سياسة غرامشي ،بحث في كتاب غرامشي وقضايا المجتمع المدني ،مركز البحوث العربية ،ندوة القاهرة ،١٩٩٠ ،ص٢٠٤ .

وتمثل الماركسية بالنسبة لغرامشي اصلاحاً فكرياً ومعنوياً حقيقياً يتأتى من الاصلاحات الدينية ويتعداها ليصل الى اقتراح تبني اساليب الدعاية والترويج التي اتبعتها الكنيسة الكاثولكية وتبني استخدامها لجذب الجماهير الى الماركسية .

وتبقى المعالجة الماركسية محدودة، اذ يؤكد ~~ال~~بعض الباحثين ان مؤسسي الماركسية اخطأوا في توقع نهاية الدين الوشيكة ،اذ ان قواعد الشعور الديني -ذات جذور اجتماعية عميقة ، وان بقاء النسق الديني مؤثراً في البناء الاجتماعي لهو امرمفروغ منه .

٢- المدرسة الفرنسية (علم الاجتماع المقارن) :

وهي من المدارس المهمة التي قدمت دراسات عدت~~اعتبرت~~ من الكلاسيكيات في تناول الظاهرة الدينية . ويقف في مقدمة علماء هذه المدرسة مؤسسها وصاحب الفكر الاساسي فيها العالم الفرنسي اميل دوركايم، كما ضمت مارسيل موس(Marcel Mauss)(١٨٧٢-١٩٥٠) وهو ابن اخت دوركايم.وقد ساهم موس مساهمة واضحة في بلورة فكر خاله في دراسات لاحقة. كما وساهم هنري هوبير(Henri Hubert)(١٨٧٢-١٩٢٧) وغاستون ريشار (١٨٦٠-١٩٤٥)[١] في اغناء هذه المدرسة .

وكما ذكرنا سابقا في عرض نظريات الرواد، فقد حاول دوركايم الاحاطة بدراسة الظواهر الدينية بطريقة علمية عبر اقتراح تعريف للدين بعد ان انتقد التعريف العام للدين الذي كان موجوداً في زمنه،ذلك الذي يتلخص في الاعتقاد بالاله او القوى فوق الطبيعية. ولكنه على العكس من ذلك يعرف الدين بأنه نسق موحد من المعتقدات والممارسات التي تتصل بشئ مقدس ؛أي كل ما هو محرم. وهذه المعتقدات والممارسات تتحد في نسق اخلاقي واحد فريد يسمى الكنيسة ويضم كل الذين يرتبطون به[٢] وجوهر هذا التعريف هو قسمة الاشياء والظواهر الى مجموعتين مختلفتين هما : المقدس (Sacred) والمدنس (Profane) .ويشمل المقدس المعتقدات الدينية والطقوس والمعبودات او أي شئ عرف اجتماعياً على انه يتطلب معالجة دينية خاصة،ناهيك عن اشتمال المقدس على التصورات الجمعية التي تعبر عن الحقائق المجتمعية . كما وان الاشياء المقدسة لايمكن ان تتحدد بصورة قاطعة في كل زمان ومكان .

ترى المدرسة الفرنسية ان اهمية المقدس في تمييزه عن المدنس. ويظهر ذلك في الكثيرمن الصور مثل الفصل بين اماكن اداء الواجبات الدينية واماكن النشاط المدنس العادي،

---

[١] جان –بول ويليم ،الاديان في علم الاجتماع ،مصدر سابق ،ص٣٠ .

[٢] د.محمد علي محمد ،تاريخ علم الاجتماع ،الرواد والاتجاهات المعاصرة ،دار المعرفة الجامعية،القاهرة،١٩٨٦ ص٢١٦ .

وفي تحريم استخدام اماكن معينية لشؤون الحياة اليومية، وفي فصل الزمن المخصص للمقدس عن ذلك المحدد للنشاط العادي[١] .

كما وقام مارسيل موس بالانضمام الى نظرية المقدس العامة التي تبلورت في اطار المدرسة الفرنسية ، غير انه جعلها نسبية بنفي ما يتمتع به مفهوم المقدس من بُعد يتجاوز الثقافة . فمفهوم المقدس قد لا يلائم دراسة الديانات غير السامية –ولاسيماخاصة الصينية منها– التي تفهم بصعوبة من خلال التمييز المتفرع ثنائياً بين المقدس والمدنس[٢] . وقد فضل موس على ذلك مفهوم قوى الطبيعة الذي بدا وكأنه اكثر شمولية .

كما قدم موس بشكل خاص دراسة إيمائية حول الصلاة (١٩٠٩) ظلت غير مكتملة، انطلق فيها من تعريف الشعائر على انها (افعال تقليدية فعالة تتعلق باشياء تدعى مقدسة)، وحدد الصلاة على انها شعيرة دينية شفهية تتعلق مباشرة بالمقدسات ،وقد وضع مع هوبير دراسة حول طبيعة ووظيفة التضحية (١٨٩٦) شكلت بدورها مصدر وحي لاعمال كثيرة حول علم السلالة ،وبلورت مفهوم المقدس في قلب المدرسة الفرنسية .كما وعرف هوبير وموس التضحية على انها عملية تقتضي التواصل بين عالم المقدس وعالم المدنس بواسطة ضحية، وشددا بالتالي– كما فعل روبرتسون سمث (Robertson Smith) –على ازدواجية المقدس الذي يختص بالطاهر والنجس ويتطلب شعائر دخول وشعائر خروج[٣] .

٣–ماكس فيبر :

يعتقد كثير من علماء واساتذة العلوم الاجتماعية ان الاسهام الذي قدمه فيبر (Weber) (١٨٦٤–١٩٢٠) في مقالاته التي جمعت منذ عام ١٩٠٤ حتى لحظه وفاته تحت عنوان :علم الاجتماع الديني كان قد مثل اهم اسهاماته في علم الاجتماع ،بل يذهب تاوني (Tawney) الى حد القول بأن اعمال فيبر– ولاسيماخاصة دراسته عن الاخلاق البروتستانتية وروح الراسمالية– اثارت اهتمام الباحثيين في ميادين الاقتصاد والتاريخ والاجتماع ،ذلك لان التساؤلات التي طرحها تشكل اهتماماً فائق الاهمية للباحثين في هذه الميادين[٤] .

ففي كتابه (الاخلاق البروتستانتية وروح الراسمالية) يوضح فيبر ان هناك اتفاقاً كبيراً بين غايات كل من السلوك الديني والعلماني، اذ يمكن القول ان نشأة التوجيه الاخلاقي البروتستانتي

---

[١] محمد علي محمد،تاريخ علم الاجتماع ،مصدر سابق ،ص٢١٨

[٢] جان–بول ويليم ،الاديان في علم الاجتماع ،مصدر سابق ص٣١

[٣] المصدر نفسه ،ص٣٤

[٤] د. محمد علي محمد ،تاريخ علم الاجتماع ،الرواد والاتجاهات المعاصرة ،مصدر سابق ،ص٣٢٤

كانت شرطاً ضرورياً ان لم يكن كافياً لظهور الرأسمالية الحديثة[1] وبالرغم من ان فيبر قد ايد استنتاجاته ببحوث مستفيضة ،الا انه لم يقتنع بذلك، وقرر دراسة مواقف مشابهة مع اختلاف المتغير المستقل وهو الدين ،ثم صاغ بعد ذلك سؤالاً مؤداه : ماذا يحدث اذا كانت الظروف العامة ملائمة تماماً لظهور الرأسمالية الحديثة ،بأستثناء الاخلاق الدينية كما كان الحال في عصر الإصلاح في أوربا ؟ وقد تطلبت الاجابة على هذا السؤال اتباع طريقة الأختلاف، لذلك اشتغل فيبر على دراسات تفصيلية عن الصين والهند ،وتوصل الى ان ارتباط الظروف الاجتماعية غير الدينية والظروف الاقتصادية كان ارتباطاً ملائماً لظروف الرأسمالية في الصين .الا ان النظام الاخلاقي للكونفوشيوسية لم يكن ملائماً لها . اما في الهند فبينما كانت الظروف العامة ولاسيمابخاصة نظام الطوائف غير ملائمة كما هو الحال في الصين ، الا انها–اي الضروف– كانت تمثل اساساً كافياً لظهور الرأسمالية،وذلك اذا ما استثنينا المذهب الكارمي التقليدي (Traditional Karma) الذي يؤمن بتناسخ الارواح ،وهي فكرة لاتتسق ولا تساير التطور الاقتصادي الذي تم في العالم الغربي .واستناداً الى هذه الدراسات وغيرها، اكد فيبر ان هناك ظروفاً اقتصادية معينة لاتشجع على ظهور الرأسمالية ،لذلك يتعين توافر ظرف ضروري اخر يتعلق بالعالم الداخلي للانسان، وبعبارة اخرى ينبغي توفر قوة دافعة اخرى تتمثل في القبول السيكولوجي للقيم والافكار التي تلائم التغير[2] .

لقد كانت لفيبر مشاركة مهمة في دراسة انواع السلطة في الظاهرة الدينية ،فلكونها انطلاقاً من تحديده لاشكال تشريع السلطة المختلفة في الحياة الاجتماعية يكون تشريع السلطة بحسب فيبر عبر العقلانية والقانون اولاً وعبر التقاليد ثانياً والكاريزما ثالثاً .

ويؤكد فيبر ان الجانب العقلاني– القانوني للسلطة عائد الى السلطة الادارية للمؤسسة الدينية، وهي سلطة غير شخصية ترتكز على الايمان بصلاحية النظم او الانساق الدينية للوظائف الحياتية للانسان، اما السلطة المبنية تقليدياً فترتكز على الايمان بصلاحية الاعراف والتقاليد المتماشية مع روح الدين حتى وان لم تكن من صلب الدين مثل الاعراف والتقاليد، بل وحتى سلطة بعض الأساطير او الميثولوجيا الدينية. اما سلطة الكاريزما فهي نموذج للسلطة الشخصية لان شريعتها تعتمد على هالة فرد معين .وقد بسّط فيبر هذه الانواع من السلطة في شخصيات تعتبر الممثل الأوضح لها .اذ يمثل الكاهن النوع الاول من السلطة بينما يمثل

---

[1] ماكس فيبر ،الاخلاق البروتستانتية وروح الراسمالية ترجمةمحمد علي مقلد ،مركز الانماء العربي،بيروت ص١٧٣.

[2] نيقولا تيماشيف ،نظرية علم الاجتماع ،طبيعتها وتطورها ،ترجمة محمد عودة وزملاؤه دار المعارف ،القاهرة الطبعة الثامنه، ١٩٨٣ ،ص٢٥٨–ص٢٥٩

الساحر النوع الثاني ويمثل النبي النوع الثالث من السلطة .كما درس فيبر التحول من الحالة الكارزمّية الى الحالة المؤسساتية أي الكهنوتية عبر الزمن[١] .

واخيراً يجب ان نبين ان اضافات ماكس فيبر الى علم الاجتماع الديني ودراسة الظاهرة الدينية بصفتها جزء من نظام اجتماعي تؤثر وتتأثر فيه هي النقطة المهمة. ورغم ان بعض النقاد يشير الى ان دراسات ماكس فيبر جاءت رداً على الاطروحة الماركسية ،الا ان اهمية دراساته باقية مؤثرة الى اليوم في دراسة الظاهرة الدينية .

١- التيارات والدراسات الحديثة :

ان ضواهر مثل؛ حركات دينية جديدة ،تطرفات دينية متعددة الاشكال ،حركات توفيقية وعلاقات وثيقة بين الاديان ،هويات عرقية وسياسية في بلاد متعددة ،انواع مدنية من التدين ،حدود متحركة بين الدين والعلاج ،تطورات نحو طرق ايمان لينة وعملية ...الخ، كل ذلك يشهد بطريقة او بأخرى على استمرار الاهمية الاجتماعية للدين حتى في مجتمعات تعرف بمدنيتها .

لقد قام الكثير من علماء الاجتماع ولاسيماخاصة البريطانيون : ايلين باركر وجيمس أ. بيكفورد وبريان ويلسون بتركيز انتباههم على المجموعات الدينية الجديدة التي اخذت بالظهور في قلب المجتمعات الغربية خاصة تلك التي تستند الى تقاليد شرقية[٢] .

كما وتطورت في الثمانينات من القرن العشرين اشكال مختلفة من التشدد الديني ؛مثل الاصولية الكاثوليكية ،والجوهرية البروتستانتية او ما يسمى اليمين المسيحي المتشدد ،والاصولية اليهودية والأصولية الاسلامية، بل وحتى الأصولية البوذية ،مما دفع علماء الاجتماع الى دراسة مثل هذه الظواهر من وصفها الى تحليلها وقراءة طروحاتها وتجلياتها وافرازاتها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية. وكانت هذه الدراسات تتم في مراكز متخصصة للابحاث او في الجامعات او بشكل دراسات فردية يقوم بها باحثون واساتذة في اقسام العلوم الاجتماعية .وتعد دراسات المجتمعات التي قامت على اسس دينية من اهم الدراسات في هذا الخصوص مثل الدراسات عن دولة (اسرائيل) او دولة (طالبان) في افغانستان ،كما وان الكثير من الدراسات انصبت على هذا الموضوع بعد الضربات التي وجهت الى واشنطن ونيويورك في ١١/ايلول، والتي قام بها اصوليون اسلاميون متشددون يعادون ذوبان الهوية الاسلامية لمجتمعاتهم بسبب موجة العولمة ذات السمات الامريكية، ورد فعل الولايات المتحدة فيما سمي بالحرب العالمية على

(١) جان-بول ويليم ،الاديان في علم الاجتماع ،مصدر سابق ،ص٤٤

(٢) ~~جان بول ويليم ،الاديان في علم الاجتماع ،~~مصدر نفسهسابق ،ص٩٢

منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: Arabic deifilpmiS، دون مرتفع/ منخفض

منسّق:خط الفقرة الافتراضي، الخط: دون غامق، خط اللغة العربية وغيرها: deifilpmiS Arabic، دون غامق

منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: Arabic deifilpmiS، دون مرتفع/ منخفض

منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: cibarA deifilpmiS

منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: Arabic deifilpmiS، دون مرتفع/ منخفض

منسّق:خط الفقرة الافتراضي، الخط: دون غامق، خط اللغة العربية وغيرها: deifilpmiS Arabic، دون غامق

منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: Arabic deifilpmiS، دون مرتفع/ منخفض

منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: cibarA deifilpmiS

منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: cibarA deifilpmiS

منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: cibarA deifilpmiS

الارهاب، مما دفع بالكثير من الباحثيين ومراكز الدراسات للقيام ببحوث ودراسات في هذا المجال .

وتشير بعض الدراسات الى ان حركات التشدد الدينية لاتأخذ كلها منحى المحافظة والدفاع عن القيم المهددة، بل ان هنالك اشكالاً اخرى قد توصف بالتقدمية، اذ تصل الدين بالاعتراض الاجتماعي السياسي. ومن الامثلة الاكثر تعبيراً عن ذلك حركة الجماعات الاساسية او (ثيولوجيات التحرير) في امريكا اللاتينية، وهي حركة نشطت كثيراً في عقدي السبعينات والثمانينات من القرن العشرين في امريكا الوسطى، وكذلك الحركات الاسلامية مثل حماس والجهاد الاسلامي في فلسطين . وتمثل هذه الحركات اعادة قراءة للدين وفقاً للخيار التفضيلي للفقراء ولاهداف تحرر الجماهير الشعبية اجتماعياً وسياسياً ،وهي حركات اجتماعية حقيقية شكلتها جماعات دينية،وان بدت ذات طابع شعبيي اكليروسيي فهي تشكل ايضاً حركة شعبية تسمح لفئات اجتماعية خاضعة ان تصبح فاعلة[1] .

ان روابط السياسة والدين ممتدة لزمن طويل ولطالما ارتدت السلطة شرعية مقدسة .كما وان استقلالية السياسة من أي وصاية دينية مثلما نرى في الغرب الان جاء نتيجة لاحداث تاريخية طويلة ولم يكن لتحرر السياسة من الدين ليحصل بين عشية وضحاها .

من كل ذلك نستطيع ان ندرك اهمية دراسات الظاهرة الدينية ومديات توسعها في دراسات العلوم الاجتماعية اليوم .

[1] **جان-بول ويليم ،الاديان في علم الاجتماع ،مصدر سابق ،ص١٠٨ وما بعدها**

الفصل الثاني

الاطار المنهجي

المبحث الاول :المنهج البنائي الوظيفي

المبحث الثاني :موقف الوظيفية من التاريخ

المبحث الثالث :منهج الفهم الذاتي والبناء المعرفي

الفصل الثاني
الاطار المنهجي

المبحث الاول: المنهج البنائي الوظيفي

تعدتبر البنائية الوظيفية (Structural Functionalism) من اكثر اتجاهات الفكر الاجتماعي المعاصر شيوعاً .وتمتد البنائية الوظيفية لعقود طويلة من الزمن ،ونستطيع ان نلمس جذورها في اعمال الرواد في علمي الاجتماع والاثروبولوجيا، ولا نبالغ في القول اذا وصفناهااعتبرنا انها كمفاهيم ارتبطت بهذين العلمين منذ بداية ظهورها حتى وقتنا الحاضر. وقد تجسدت البنائية الوظيفية في معظم اعمال علماء الانثروبولوجيا والاجتماع، واتخذت صورة التحليل المنهجي المنظم للوقائع الاجتماعية والنظم ،ولكنها مالبثت بعد ذلك ان تحولت الى فكر دخل في صراعات مع المدارس الفكرية الاجتماعية الاخرى مثل التفاعلية الرمزية ونظرية الصراع..الخ ،ومن هنا جاءت اغلب الانتقادات والمآخذ التي وجهت لها .

ويؤكد المنهج البنائي الوظيفي علىان افعالنا وتصرفاتنا ليست عشوائية ،وانما هي خاضعة لتنظيم بنائي محدد .وتؤدي ادواراً بحته في الحياة الاجتماعية على نحو يعكس تأثير البيئة الاجتماعية ،ويستهدف استمرار المجتمع الانساني محافظاً على توازنه. ونستطيع من خلال تتبع اعمال الرواد المؤسسيين ان نكشف بوضوح عن جذور الاتجاه البنائي الوظيفي ،فقد ظهر ذلك جليا في اعمال اوكست كونت (الانسان والنظام العام) وهربرت سبنسر (المماثلة العضوية) واميل دوركايم (قواعد المنهج) ،وباريتو (التوازن الاجتماعي).

ولعل اهم ما يميز هذا المنهج انه حقق الالتقاء بين الانثروبولوجيين والسوسيولوجين [١] وقد نشر رادكليف براون مؤلفه (البناء والوظيفة في المجتمعات البدائية Structureand) (Function in primitive Society) ليكون علامة مميزة في تاريخ الانثروبولوجيا، و نشر تالكوت بارسونز مؤلفة: النسق الاجتماعي (The Sociol System) وقد صاغ فيه التصور البنائي الوظيفي المتكامل لاعمال دوركايم وفيبر وباريتو.

ويتساءل نيقولا تيماشيف: (ما هي الوظيفية؟) ،ثم يجيب على ذلك بقوله ان هذا التساؤل تصعب الاجابة عليه، وذلك مرده في رأيه الى ان مصطلحي (وظيفية) و(وظيفي) في علم الاجتماع والانثروبولوجيا يشتملان على معان مختلفة ومتباعدة،[٢] ففي بعض الاحيان يستخدم

---

(١) د. محمد علي مجمد ،تاريخ علم الاجتماع ،الرواد والاتجاهات المعاصرة ،دار المعرفة الجامعية الاسكندرية ،مصر ،١٩٨٦، ص٤٤٣ وما بعدها .

(٢) نيقولا تيماشيف ،نظرية علم الاجتماع :طبيعتها وتطورها ،ترجمة د.محمود عودة وزملاؤه ، القاهرة دار المعارف ١٩٧٣،ص٣٢٠-٣٢١ .

منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: Arabic deifilpmiS، دون مرتفع/ منخفض
منسّق:خط الفقرة الافتراضي، الخط: دون غامق، خط اللغة العربية وغيرها: deifilpmiS Arabic، دون غامق
منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: Arabic deifilpmiS، دون مرتفع/ منخفض
منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: cibarA deifilpmiS
منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: Arabic deifilpmiS، دون مرتفع/ منخفض
منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: cibarA deifilpmiS
منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: Arabic deifilpmiS، دون مرتفع/ منخفض
منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: cibarA deifilpmiS
منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: Arabic deifilpmiS، دون مرتفع/ منخفض
منسّق:خط الفقرة الافتراضي، الخط: دون غامق، خط اللغة العربية وغيرها: deifilpmiS Arabic، دون غامق
منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: Arabic deifilpmiS، دون مرتفع/ منخفض
منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: cibarA deifilpmiS

مصطلح الوظيفية للاشارة الى الاسهام الذي يقدمه الجزء من اجل استمرار الكل، وهذا الكل قد يكون متمثلا في المجتمع او الثقافة ،ولعل هذا المعنى هو الذي شاع في كتابات الانثروبولوجيين مثل رادكليف بروان ومالينوفسكي ورالف لينتون بل وحتى دوركايم.

لقد ظهر المنهج البنائي الوظيفي في الوقت الذي سادت فيه نظريات الانتشار الثقافي في كل من امريكا واوربا .وكان هذا الظهور يمثل ردة فعل عنيفة ازاء النزعة التطورية، و قد اتصف –اي المنهج البنائي الوظيفي– باللاتطورية وبالتالي باللا تاريخية ،اذ ركز على دراسة البناء الاجتماعي والثقافة في اماكن ومجتمعات مختلفة، وكانت هذه الدراسة تتسم بعزل النتائج لكل مجتمع على حدة ،أي دون البحث او السعي وراء قانون تطوري عام وشامل لكل الجنس البشري منذ بداية الانسانية وحتى الوقت الحاضر كما كان الحال مع الاتجاه التطوري. وبالتالي فاننا نستطيع القول بان الاتجاه البنائي الوظيفي كان في الاغلب الاعم لاتأريخياً ،اذ ركز على دراسة الثقافات كل على حدة في واقعها وزمنها، فالوظيفية اذن ليست دراسة تزامنية (Synchronic) ،وانما هي دراسة آنية (diachronic)،ولذلك فقد اختلفت عن الدراسات التاريخية التي اعتمد عليها كل من التطوريين والانتشاريين على حد سواء .

ان رفض اغلب العلماء الوظيفيين للمنهج التاريخي يضمن بحسب رأيهم الطريقة العلمية لدراسة الثقافات الانسانية. اذ ان العلم الاجتماعي– في نظرهم– لايهتم بتاريخ الظاهرة التي يبحثها قدر تركيزه على الكشف عن العلاقات القائمة بالفعل بين عناصر تلك الظاهرة ككل وعلاقتها بغيرها من الظواهر الاخرى ،مما يؤدي في نهاية الامر الى الوصول الى القوانين التي تحكم الظاهرة موضع الدراسة من ناحية تكوينها وادائها لوظيفتها [1] .

لقد تبلور المنهج البنائي–الوظيفي في مجال الانثروبولوجيا عن طريق الافكار والكتابات التي طرحها كل من العالمين البريطانيين برونسلاو مالينوفسكي ورادكليف بروان وتجدر الاشارة الى ان كلا منهما مدين بالكثير من افكاره واتجاهاته النظرية الى المفاهيم التي قدمها العالم الفرنسي اميل دوركايم ،الذي يعتبر في حقيقة الامر حلقة الربط وهمزة الوصل بين الفكر الذي كان سائداً في القرن التاسع عشر وبين الاتجاهات الجديدة للفكر الاجتماعي التي ظهرت في بداية القرن العشرين ،فقد اهتم دوركايم بدراسة الطريقة التي تعمل بها المجتمعات الانسانية ووظائف نظمها الاجتماعية، وبذلك بدت طروحاته غاية في الاختلاف عما كان سائداً في القرن التاسع عشر من ناحية الدراسة التاريخية لتطور المجتمعات الانسانية والسمات الثقافية .

منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: Arabic deifilpmiS، دون مرتفع/ منخفض

منسّق:خط الفقرة الافتراضي، الخط: دون غامق، خط اللغة العربية وغيرها: deifilpmiS Arabic، دون غامق

منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: Arabic deifilpmiS، دون مرتفع/ منخفض

منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: cibarA deifilpmiS

(١) د.حسين فهيم ،قصة الاثروبولوجيا ،فصول في تاريخ علم الانسان ،الكويت ،المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب،١٩٨٦،ص١٦٥ .

ومما تجدر الاشارة اليه ان الاتجاه الوظيفي البنائي يعبر في مجمله عن منهج دراسي تم اشتقاقه عند استخدام المماثلة بين المجتمعات الانسانية والكائن الحي ،وان هذا المنهج لم يعد مقتصراً على الانثروبولوجيين،وانما تناوله علماء الاجتماع بالفحص والتطبيق والتعديل على يد تالكوت بارسونز وجورج ميرتون كما وارتبط بالعلم الطبيعي ولاسيماخاصة علوم الحياة والكيمياء والميكانيكا[١] لقد كانت انثروبولوجيا القرن التاسع عشر منكبة بشكل ملحوظ على تتبع انتشار او هجرة السمات الثقافية عبر المجتمعات، وقد عارض كل من مالينوفسكي ورادكليف براون بصلابة مفهوم (القص واللصق) للثقافة[٢] ،على اساس ان الممارسة الثقافية لم يكن بالامكان فهمها الا بالنظروالتدقيق فيها .

لقد جادل رادكليف براون في اول كتبه (سكان جزيرة الاندمان) " The Andaman Islanders " (نشر عام ١٩٢٢) بأن العادات الاحتفالية لسكان جزيرة الاندمان تشكل نظاماً مترابطاً على نحو وثيق ... واننا لانستطيع ان نفهم معناها اذا نظرنا لكل منها على حده ،ولكننا يجب ان ندرس النظام باسره لكي نصل الى تفسير، ويخلص رادكليف براون من ذلك الى الحاجة الى منهج جديد يمكن عن طريقه دراسة كل المؤسسات في مجتمع ما او نمط اجتماعي دراسة شاملة حتى نكشف عن علاقتها الوثيقة كاجزاء في نظام عضوي[٣] .

ويتفق مالينوفسكي مع رادكليف براون على ان التجزئة والفصل في التعامل مع السمات الثقافية لهي امرعقيم ،لان دلالة الثقافة تتشكل من العلاقة بين مكوناتها .

لم يكن مالينوفسكي ولا رادكليف براون قانعين بتحليل الاعتماد المتبادل بين الاجزاء في داخل مجتمعات معينة ،فقد اعتقد كلاهما ان هدف الانثروبولوجيا الاجتماعية هو الوصول الى تعميمات تصدق على كل المجتمعات .اما الدراسات الانثروبولوجية التي اكتفت بتوضيح تماسك الممارسات الثقافية في مجتمع محدد (كما في عمل روث بندكت التي نظرت الى كل مجتمع على انه نمط فريد من الاعتماد المتبادل)[٤] فانها –اي الدراسات –تشكل معوقاً امام تلك التعميمات الثقافية، ومن اجل تقديم قوانين عالمية اتجه مالينوفسكي الى علم النفس ،بينما نظر رادكليف براون على غرار دوركايم الى علم الاجتماع .

---

(١) د.عبد الباسط عبد المعطي ،اتجاهات نظريه في علم الاجتماع ،الكويت ،المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب ،١٩٨١م،ص١٥٠وص١٨٤ .

(2) Radcilffe –Brown ,A.R , "on the concept of Function in Social Science" in structure and Function in primitive Society ,Glencoe , lll : Free press ,1952 ,p168 &p186 .

(3) Radcilffe –Brown ,A.R , The Andaman Islanders Glenco ,lll ,:Free press, 1948 ,p.324.

(4) Benedict,Ruth ,the chrysanthemum and the sword (Boston , Houghton Mifflin ,1946 ,

من الاشارة الى ذلك في كتاب نظرية الثقافة ،مجموعة من الكتاب ،عالم المعرفة ،الكويت ١٩٩٨،ص٢٩١ .

منسّق:الخط: غامق، خط اللغة العربية وغيرها: Arabic deifilpmiS، غامق، دون مرتفع/ منخفض

منسّق:خط الفقرة الافتراضي، الخط: غامق، خط اللغة العربية وغيرها: deifilpmiS Arabic، غامق

منسّق:الخط: غامق، خط اللغة العربية وغيرها: Arabic deifilpmiS، غامق، دون مرتفع/ منخفض

منسّق:الخط: غامق، خط اللغة العربية وغيرها: Arabic deifilpmiS، غامق

منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: cibarA deifilpmiS

منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: cibarA deifilpmiS

منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: Arabic deifilpmiS، (العربية وغيرها) العربية (المملكة العربية السعودية)

منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: cibarA deifilpmiS

دافع مالينوفسكي الذي صاغ –او على الاقل روج لـ–مصطلح "الوظيفية" ولاسيماخصوصاً في عمله الاخير ،عن السمة النفسية–العضوية للوظيفية التي لم يدافع عنها الكثيرون في

الانثروبولوجيا الاجتماعية[١] . اذ انه كان قد ذكر سبع حاجات اساسية يجب اشباعها لاستمرار الكائن البشري : تأمين الطاقة الحيوية ،التناسل ،راحات الجسد ،الامان، الحركة ،النمو ،الصحة .وقد حاول مالينوفسكي اثبات ان كل الثقافات ،بصرف النظر عن تنوعها في الشكل ،تقوم بوظيفة اشباع حاجات عضوية ونفسية عامة للافراد .فالثقافة اذن هي اداة او وسيلة يشبع الافراد عن طريقها تلك البواعث مثل الجوع ،الجنس ،الامان ...الخ ،وذلك ما عناه مالينوفسكي عندما اعلن ان الثقافة يجب ان تفهم على انها وسيلة لغاية ،أي بالمعنى الالي او الوظيفي[٢] . وبرغم ان الوظيفية التي تمحورت–بحسب رأيه– حول الفرد لم تكن مثمرة، فان السؤال الذي قاد مالينوفسكي لهذه الصياغة كان سؤالا مهما ،لانه كان ثائراً ضد الافتراض الذي قرنه بالمدرسة الفرنسية لدوركايم،ذلك الافتراض الذي يفيد بان الفرد يطيع اوامر جماعته وتقاليدها وقوانينها ورأيها العام في نوع من العبودية والسحرية والسلبية .اما في توقعه لمزيد من النقد للوظيفية بسبب تقديمها صورة لانسان (مفرط التنشئة) "Oversocialized man" ،فأن مالينوفسكي أكد بدوره على قدرة الانسان على المبادرة واعادة ترتيب بيئته[٣] وبذلك لم يكن الافراد آلات اوتوماتيكية مبرمجة بواسطة المجتمع ،بل هم بالاحرى منخرطون بشكل نشط في قواعد المناورة والوصول الى حالة الاشباع .

ومن جهة اخرى كان رادكليف براون يرى ان الانثروبولوجيا الاجتماعية ،باكتشافها لكيفة محافظة العادات الاجتماعية على النظام الاجتماعي ،ربما استطاعت بناء قوانين عامة. فلكي تتم المحافظة على النظام الاجتماعي ،يتوجب تطابقه مع شروط معينة ،فأذا ما استطعنا تحديد احد تلك الشروط العامة تحديداً كافياً ،بمعنى الشرط الذي يجب ان تتطابق معه كل المجتمعات البشرية ،فسيكون لدينا حينئذ قانون سوسيولوجي .وفي مقالة (التوراث الابوي والامي) "Patrilineal and Matrilineal Succession" يصوغ رادكليف براون قانوناً على هذا النسق : يفيد ان اي حياة اجتماعية بشرية تتطلب هيكلة العلاقات الاجتماعية بشكل يتحدد فيه

---

[١] **Malinowski ,Bronislaw ,Ascientific Theory of Culture , Chapel Hill ,University of North caro lina press,1944 ,p.91**

[٢] **Malinowski, Bronislaw, libd , p.34**

[٣] **Malinowski ,Bronislaw , crime and costim in savage society , London Routtledge and Kegan paul ,1962 ,p.3-4**

حقوق وواجبات معينة بطريقة يمكن من خلالها حل الصراعات حول الحوق والواجبات دون تدميرالبنية نفسها

لقد كان التحليل الاكثر اقناعاً من القوانين الوظيفية التي طرحت في مقال (التوارث الابوي والامي) هو التحليل الوظيفي الذي قدمه رادكليف براون في مقاله المشهور (منتهى علاقات المزاح) "On Joking Relationships" . ففي هذا العمل يقترب رادكليف براون كثيراً من التخلص من القيد الذي يفرضه عليه بحثه عن قوانين عالمية ،فهدفه هو التعرف على نوعية الموقف البنائي الذي ربما نتوقع ان نجد فيه علاقات مرحة واضحة السمات .وقد وجد ان المرح يميل الى الظهورفي تلك العلاقات الاجتماعية التي تكون فيها الحقوق والواجبات اقل تحديداً ،ويستخلص ان للمرح وظيفة تلطيف الصراع في مناطق " التفرق الاجتماعي"[1] .

لقد كان ضرورياً ان تواجه النظرية البنائية–الوظيفية تلك القضايا التي شكلت نطاقاً صعباً بالنسبة للاتجاهات التي سبقتها ويمكن ان نوجز ذلك في ما يلي :-

١- في الجانب النظري كان على البنائية الوظيفية ان تتخلى عن فكرة اتخاذ الوجود الانساني بكامله وحدة للدراسة ،وان تقصر دراستها على الوحدات ذات الوجود المتباين في هذا العالم، ونعني بذلك المجتمعات او انساق تلك المجتمعات وتجمعاتها ،هذا فضلا عنبالاضافة الى التخلي عن فكرة التتبع لاصل هذه النظم والاهتمام بالدور او الوظيفة التي تؤديها الوحدة الاجتماعية في البناء الذي يحتويها .

٢- انقسمت وجهات النظر بين العلماء الوظيفيين –البنائيين فيما يخص موضوع الاستعانة بالتاريخ .اذ رفضه البعض وتشدد في ذلك كما هو الحال بالنسبة لمالينوفسكي،بينما تقبله البعض الاخر مثل ايفانز–برجارد (ولاسيماعلى الاخص في دراسة المجتمعات ذات الارث الحضاري المدون مثل دراسته عن الحركة السنوسية في ليبيا). وقد وقف بين الفريقين اتجاه اخر مثله رادكليف –براون ،اذ كان رافضاً في بداية دراسته الاستعانة بالتاريخ وقد عزى ذلك الى ان المجتمعات التي كانت تدرس هي مجتمعات بدائية ذات ثقافة تنتقل شفاهاً ،ولا تملك ارثا ثقافيا مكتوبا، بينما نراه وقد اعتمد على التاريخ في دراسته المتأخرة عن (انظمة الزواج والقرابة الافريقية) " African Systems of Kinship and mariage" ، ولابد من الاشارة هنا الى نقطة مهمة وهي ان المنهج البنائي –الوظيفي رفض اللجوء الى التاريخ الظني[2] .

---

[1]Radcliffe –Brown , A.R. , "On Joking Relation ships" , in strudure and Function , p. 90-104

[2]Radcliffe –Brown, A.R & Daryell Ford , "African Systems of Kinship and marige" Oxford University press ,London ,1960 ,p.13 .

اما اذا كانت للتاريخ وثائقه المتوفرة،فان اللجوء اليه سيساعد كثيرا في تحديد بداية للتغيرات واسبابها واحجامها ،كما انه سيوفر لنا معرفة بطبيعة البناء قبل حدوث التغيرات، ومن ثم سوف يسهل التعرف على اسبابها الممكنة واثارها على البناء الاجتماعي للانساق .

بيد ان الاستخدام البنائي –الوظيفي للتاريخ يختلف عن التناول التطوري له .فهو لايهتم بتتبع اصل وتطور النظام او السمة الثقافية او النسق الاجتماعي ،بقدر ما يهتم بمعرفة طبيعة تكوين البناء الاجتماعي في مرحلة معينة ،لكي يجعلها موضعاً يقيس على ضوئه حجم التغيرات التي حدثت ،ونتيجة كل ذلك فان المنهج البنائي –الوظيفي تخلى عن التتبع التطوري او الانتشاري للانساق او السمات الثقافية او حتى للمجتمع الانساني من خلال التاريخ، بل لقد استبدل ذلك بالدراسة المقارنه للنماذج المجتمعية التاريخية المختلفة .

٣- على المستوى التصوري، يؤكد المنهج البنائي –الوظيفي على ضرورة الادراك النسقي للواقع ،أي الادراك الكلي للواقع ،وذلك كرد فعل للتناول الجزئي الذي مارسته الاتجاهات التطورية والانتشارية ،بيد ان هناك امرينعتبارين حكما الاتجاه الوظيفي فيما يتعلق بالادراك الكلي للواقع وهما :

أ. ان هذه النسقية ليست مغرقة في اليوتوبيائية (المثالية) ،فهذا الاتجاه لم يتناول المجتمع الانساني الشامل وحدة لدراسته كما فعلت الاتجاهات السابقة، وانما تحددت هذه الكلية بالاطار الكلي الذي يحتوي مباشرة المجتمع موضع الدراسة والذي يعد مجال ادائه الوظيفي هو وحدة الدراسة .

ب. ان هذه النسقية خضعت لتطوير يؤكد عملية الموقف (البنائي–الوظيفي) بالنسبة لقضية التغير .

فحينما تعاملت المدرسة الوظيفية مع واقع المجتمعات البدائية ،وجدنا تركيزاً على نسقية متكاملة مرتكزة على اساس التجانس والاتساق والتوازن الكامل بين اجزاء البناء الاجتماعي، وصعوبة في فهم تفاعلات التغير ،او ان قدر التغير الذي تبيحه هذه النسقية ضئيل وجزئي ،يقوم على التكييف دون ان يغير من الشكل البنائي القائم .ولكن حينما اشتغل المنهج (البنائي–الوظيفي) على طبيعة التفاعل الذي تشهده المجتمعات النامية والصناعية المتقدمة ،وهو تفاعل يرتبط بعمليات التغير والصراع ،فقد وجدنا تطوراً في طبيعة هذه الكلية النسقية وخصوصاً في ابحاث العالم (روبرت ميرتون) الذي يلغي هذه النسقية التي يستند تكاملها على اساس تجانس وتكامل الوحدات الاجتماعية ويؤكد على نسقية معاصرة تستخرج تكاملها من التكامل والتجانس

على مستوى الوحدة الصغرى[1] .بمعنى انه يمكن ان يكون للوحدة اداءً وظيفياً معوقاً بالنسبة لبعض الوحدات وميسراً للبعض الاخر .

ان ذلك يوفر لنا تصوراً نسقياً من غير الضروري ان يتجه فيه اسهام النسق او السمة الثقافية نحو تاكيد التكامل والتوازن ،بقدر ما يبيح امكانية اتجاه هذا الاسهام نحو تحقيق حالة من عدم التكامل وعدم التوازن بالنسبة للنسق ،ويعود ذلك الى التعويق الوظيفي الذي تسببه. ولعل هذا التطوير في مضمون الاداء الوظيفي للوحدة وعلاقته بكلية البناء الاجتماعي هو تجريد لواقع المجتمعات النامية والصناعية والمتقدمة ،ويمتاز بالتجزؤ والفردية والتخصص وقابلية ان يكون في حالة تغير مستمر.

ويتضح من كل ما سبق مدى الامكانية النظرية والمنهجية التي يمتلكها الاتجاه (البنائي– الوظيفي)والتي تجعله اكثر كفاءة في التعامل مع موضوع مثل موضوع بحثنا حول طائفة الصابئة المندائيين (الثبات والتغير في طائفة الصابئة المندائيين) ،اذ ان هذا المنهج له القدرة على مسايرة حركة الواقع وما يستجد فيه من متغيرات وهو اطار موضوعي وعلمي مناسب لموضوع بحثنا .

[1] **Merton ,R.K , Social -Theory and Social Structure , The Free press of Gleonce , 1962 , p.30-32**

منسّق:متوسط

المبحث الثاني: موقف الوظيفية من التاريخ

ان الصيغة العامة التي كانت تميز التفكير الانثروبولوجي في القرن التاسع عشر كانت الصيغة التاريخية ،وذلك اذا اخذنا (التاريخ) بالمعنى الواسع حتى ليشمل التاريخ التخميني او الظني .ويكفي ان نعرف ان تايلور نفسه كان يعتبر الانثروبولوجيا علماً تاريخياً في المحل الاول ،وكان لذلك يهتم بتتبع ونمو الثقافة وتطورها من عصور ما قبل التاريخ حتى الازمنه الحديثة [١] ولقد كان هذا التوجه في الدراسات الانثروبولوجية من اهم الاسباب التي دعت العالم ميتلند (Matland) الى ان يقول رأيه المشهور الذي ما لايزال بعض العلماء يستشهدون به والذي يفيد انه؛ سوف يتعين على الانثروبولوجيا في القريب العاجل ان تختار بين ان تصبح (تاريخاً) او لاتصبح شيئاً على الاطلاق. وهو قول لم يتحقق تماماً بسبب الاتجاه البنائي الذي ينفر على العموم نفوراً شديداً من التاريخ ،الا في بعض الحالات الخاصة التي تتعلق بدراسة المجتمعات التقليدية ذات الحضارات الراقية القديمة ،كما هو الحال في دراسة ايفانز بريجارد للحركة السنوسية في برقة (ليبيا) "The Sanusi of Cyrenica" .

ومع ذلك فان راي ميتلند يصدق الى حد كبير على الانثروبولوجيا الثقافية .اذ ان الانثروبولوجيا الاجتماعية ،وبالذات في بريطانيا ،جاءت نتيجة لاتجاه اخر نحو نظرة علمية للانساق الاجتماعية، ومحاولة لدراسة البناء الاجتماعي بالطرق العلمية البحتة مثل علوم الحياة او الكيمياء ،وذلك بسبب توجه الانثروبولوجيين الانكليز الرواد مثل مالينوفسكي الذي كان صارماً في تحديد قواعد العمل الانثروبولوجي في مجال الدراسات الحقلية ،وكان متشدداً في الابتعاد عن الاهتمام بتاريخ الانساق الاجتماعية المدروسة.فقد اعتبر ذلك امرا ثانويا غير ذي قيمة ، وغالبا ما كان يقول:مثلما تكون دراسة الانسجة العضوية اهم من دراسة تاريخ هذه الانسجة، فان دراسة الانساق الاجتماعية بطرق علمية اهم من محاولة معرفة تاريخ هذه الانساق .الا ان هناك خياراً اخر في المدرسة البريطانية مثله خير مثال العالم ايفانز بريجارد .ففي مجموعة محاضراته التي كونت كتاب الانثروبولوجيا الاجتماعية وفي معرض حديثه عن الانثروبولوجيا والتاريخ يشير

منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: Arabic deifilpmiS، دون مرتفع/ منخفض

منسّق:خط الفقرة الافتراضي، الخط: دون غامق، خط اللغة العربية وغيرها: deifilpmiS Arabic، دون غامق

منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: Arabic deifilpmiS، دون مرتفع/ منخفض

منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: cibarA deifilpmiS

منسّق:يمين

منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: cibarA deifilpmiS

(١) احمد ابو زيد ،البناء الاجتماعي ،مدخل لدراسة المجتمع جـ ١ ،المفهومات ،الهيئة العامة للكتاب الاسكندرية ،مصر ،ط٥ ١٩٧٦ ،ص٢١٣

ايفانز بريجارد اولا الى ان طروحاته المختلفة عن اراء اساتذته (مالينوفسكي ،راد كليف براون) لاتعني المروق على تعاليمهم . [٢]

و يشير كذلك الى ان مناقشته لموضوع اهمية التاريخ في الدراسات الانثروبولوجية لاتعني مناقشة الفروض الاثنولوجية التطورية او الانتشارية لانه يعتقد ان هذا الموضوع يعتبر منتهياً ،ولكنه يرى ان تاريخ النظم الاجتماعية جزء مهم من دراسة هذه النظم حين يكون ثمة معلومات تاريخية مؤكدة ومفصلة .وقد اشار ايفانز بريجارد الى نقطة مهمة وهي ان مشكلة استعمال المنهج التاريخي بدأت بالظهور مع بداية اهتمام الانثروبولوجيين بدراسة مجتمعات تنتمي الى ثقافة لا تاريخية .اذ تم التحول من دراسة المجتمعات البسيطة الصغيرة الاولية التي لا تمتلك تاريخاً مكتوباً على الاغلب- كما هو الحال في المجتمعات البدائية التي كان اهتمام الانثروبولوجيين الرواد منصباً على دراستها- الى دراسة المجتمعات الريفية او المحلية في المجتمعات المعقدة نسبياً. ثم تحولت الدراسات الانثروبولوجية حتى لتصل الى المدن الصناعية والى المدن الكبرى ،ونشأ فرع جديد من فروع الانثروبولوجيا الحديثة هو الانثروبولوجيا الحضرية .ويقول ايفانز بريجارد ان على الانثروبولوجيين الان ان يخضعوا للواقع وان يهتموا بدراسة تاريخ النسق او السمة الثقافية وكذلك المجتمع المحلي او الظاهرة الاجتماعية ،لان فهم تاريخ هذه الحالات سيساعد بالتاكيد على بناء تصورات وفهم اكثر وضوحاً ورسوخاً لهذه الانساق والسمات .[١]

ان اتجاه العلماء الذين لايقرون الوظيفيين على موقفهم من التاريخ يرون انه على الرغم من ضرورة القيام بدراسات خاصة عن المجتمعات في حالتها الراهنة والقيام بدراسة اخرى متمايزة عن تطورها في الماضي واستخدام طرق ووسائل مختلفة في كلا النوعين من الدراسات ،فأن ذلك لايعني بحال امكانية فهم الحياة الاجتماعية عن طريق معرفة ماضيها وانما يعني ان هذه المعرفة تهيئ فهماً ارقى واعمق لتلك الحياة مما نحصل عليه لو ان ماضيها كان مجهولاً للباحث.

ويجب ان نشير الى نقطة مهمة اخرى وهي حدوث تحول في الدراسات الاجتماعية انصب على دراسة التغير الاجتماعي واثاره واسبابه وكيفية حدوثه.

(٢) ايفانز-بريجارد ،الانثروبولوجيا الاجتماعية ،ترجمة د. احمد ابو زيد ،منشأة المعارف الاسكندرية ،مصر ١٩٦٠ ،ص٩٤ وما بعدها .

(1 E.E.Evans –Pritchard,Essays in social Anthropology,chaptrr 3,Faler&Faber,London,1962

منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: Arabic deifilpmiS، دون مرتفع/ منخفض

منسّق:خط الفقرة الافتراضي، الخط: دون غامق، خط اللغة العربية وغيرها: deifilpmiS Arabic، دون غامق

منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: Arabic deifilpmiS، دون مرتفع/ منخفض

منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: cibarA deifilpmiS

منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: cibarA deifilpmiS

منسّق:الخط: غامق، خط اللغة العربية وغيرها: Arabic deifilpmiS، غامق

منسّق:خط الفقرة الافتراضي، الخط: غامق، خط اللغة العربية وغيرها: deifilpmiS Arabic، غامق

منسّق:الخط: غامق، خط اللغة العربية وغيرها: Arabic deifilpmiS، غامق

منسّق:الخط: غامق، خط اللغة العربية وغيرها: Arabic deifilpmiS، غامق

منسّق:الخط: غامق، خط اللغة العربية وغيرها: Arabic deifilpmiS، غامق

لقد رفض البنائيون الوظيفيون مراحل التغير الثابتة والملزمة لكل مجتمع انساني او ما اطلق عليه قانون الحقب الذي كان سائداً في القرن التاسع عشر . فنرى مثلاً فرانس بواس – الذي يعدتبر ابو الانثروبولوجيا في الولايات المتحدة– يعارض بشدة الفكرة السائدة عن وجود صيغة واحدة ثابتة للتطور (كما كان مطروحاً في بدايات القرن العشرين)، وان ذلك لم يمنعه من ان يؤمن بدراسة التغير في نطاق كل ثقافة او مجتمع على حدة، كما لم يمنعه من الاقرار بحدوث التقدم في بعض ميادين الثقافة كالتقدم الذي حدث في ميدان التكنولوجيا[١].ومن هنا كان بواس يرى ضرورة الاكتفاء في الابحاث الانثروبولوجية بدراسة ثقافات معينة بالذات ، مع دراسة انتشار سماتها وملامحها في مناطق ثقافية محددة وليس في العالم ككل .ومن ذلك نستطيع ان نقول ان استخدام المنهج التاريخي لم يكن في نظر بواس يعني البحث عن تاريخ ثقافة الجنس البشري كله، وانما هو دراسة تاريخ ثقافة مجتمع محدد بعينه . كما ان الانثروبولوجيا ذاتها لم تكن تعني عنده دراسة تطور الثقافة البشرية ومراحل ذلك التطور بقدر ما كانت تعني دراسة ثقافات معينة يؤلف كل منها وحدة وظيفية متكاملة ومتماسكة،وهذا لا يعني ان بواس اسقط من حسابه كلياً مسألة الاهتمام بالتاريخ الفلسفي للحضارة الانسانية ،انما رأى ان على علماء الانثروبولوجيا ان يهتموا اولاً بدراسة ديناميات الثقافة وعمليات التغير التي تحدث بالفعل في ثقافات محددة ومعينة دراسة تفصيلية مركزة ،وأن ينتقلوا بعد ذلك الى تحليل عمليات التغير الثقافي في هذه الثقافات تحليلاً مقارناً لتحديد النماذج الثقافية الاساسية التي ينطوي عليها تاريخ الثقافة الانسانية ككل[٢].

وللعالم الامريكي "كروبر" (Kroeber) رأي اخر ، اذ يذهب بالقول انه على الرغم من كل ما قاله (بواس) عن التاريخ فانه كان يهتم في واقع الامر بالعمليات العلمية (Scientific Processes)وبالوظائف (functions) اكثر مما كان يهتم بمعرفة تاريخ الثقافة.وقد بنى كروبر هذا الرأي على اساس فهمه الخاص للتاريخ وامكان تطبيق المنهج التاريخي في الدراسات الانثروبولوجية وفي كل مجالات العلم الاخرى .ولاشك ان هذا الموقف متأثر بأفكار الفيلسوف الاجتماعي فيلهلم ديلشي[٣] ،الذي كان يميز تمييزاً واضحاً بين نوعين من العلوم؛ وهي العلوم التي تهتم بالبحث عن القوانين الطبيعية الكلية (monotheistic) والعلوم التي تهتم بما هو فردي وتتبع في ذلك منهجاً وصفياً خالصاً (idiographic) .

وقد ادى ذلك بكروبر الى التمييز بين نوعين من المناهج هما منهج العلوم الطبيعية والمنهج التاريخي،وادى به الىا فهم التاريخ بطريقة تختلف اختلافاً جوهرياً عن معناه الشائع بين

(١) احمد ابو زيد ،البناء الاجتماعي ، مصدر سابق ص٢١٥.

(2) Boas,F., "The Methods of Ethnology in Race , language and culture N.Y ,1948 P.281.

(٣) احمد ابو زيد،البناء الاجتماعي ،المفهومات، مصدر سابق ص٢١٧ وما بعدها.

منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: Arabic deifilpmiS، دون مرتفع/ منخفض
منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: Arabic deifilpmiS، دون مرتفع/ منخفض
منسّق:يمين
منسّق:خط الفقرة الافتراضي، الخط: دون غامق، خط اللغة العربية وغيرها: deifilpmiS Arabic، دون غامق
منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: cibarA deifilpmiS
منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: cibarA deifilpmiS
منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: Arabic deifilpmiS، دون مرتفع/ منخفض
منسّق:يمين
منسّق:خط الفقرة الافتراضي، الخط: دون غامق، خط اللغة العربية وغيرها: deifilpmiS Arabic، دون غامق
منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: Arabic deifilpmiS، دون مرتفع/ منخفض
منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: cibarA deifilpmiS
منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: cibarA deifilpmiS

الناس: وهو دراسة تتابع الظواهر والاحداث في الزمن، فقد كان كروبر يرى ان هذه نظرة خاطئة وفهم غير دقيق للتاريخ،لأن مايميز التاريخ في نظره هو محاولة اعطاء وصف للدراسة وليس معالجة للتتابع الزمني.كما ان المنهج العلمي هو محاولة تحليل العمليات المختلفة في حدود والفاظ كمية.وعلى هذا الاساس كان كروبر يعتقد بامكان استخدام المنهج التاريخي في دراسة الاحداث والوقائع الحالية، وكذلك في دراسة الظواهر التي تحدث في زمن محدد،وهو ما يعرف عموماً باسم الدراسات المتزامنة (synchronic).و بناء على ذلك فان الدراسة التاريخية يجب ان تاخذ في نظر الاعتبار عنصري المكان والزمان،وعلى هذا الاساس يعدتبر كروبر الدراسات الاثنوغرافية دراسات تاريخية على الرغم من انها لا تتابع سير الاحداث في الزمن او انها تتناول ازمانا كثيرة،او هي –بحسب تعبير كروبر– دراسة لازمنية للتاريخ. وقد يبدو هذا التعبير غريباً لكن الواقع هو ان بواس نفسه وجد ان من العسير عليه فهمه[١].وتلعب هذه الفكرة دوراً مهماً في تفكير كروبر وفي تفكير معظم العلماء الامريكين المحدثين الذين يرون ان منهج الانثروبولوجيا الثقافية منهج تاريخي.

وللعالم الفرنسي كلود ليفي–ستروس رأي قريب من رأي ايفانز بريجارد. ففي كتابه (الانثروبولوجيا البنائية) يناقش ليفي–ستروس اراء مالينوفسكي المتشددة ازاء المنهج التاريخي موضحا انه ؛عندما نقتصر على اللحظة الحاضرة من حياة مجتمع ما نكون ضحية وهم،لان كل شي،تاريخ،فما قيل في الامس تاريخ وما قيل قبل دقيقة تاريخ،ولكننا نحكم على انفسنا بعدم معرفة هذا الحاضر ،لان التطور التاريخي وحده يتيح لنا فرز عناصر الحاضر وتقديرها في علاقاتها المتبادلة.وان قليلاً من التاريخ افضل من لاشيء من التاريخ[٢].كذلك يشير ليفي–ستروس في مكان اخر الى ان الاثنولوجي لايهتم بكلية الوظيفة غير المؤكدة التي لا يمكن اثباتها من بدون دراسة متأنية لجميع عادات هذا النظام وتطورها التاريخي.وعلى الرغم من ان العادات شديدة التغيرالا أنه من الصحيح بمكان ان نقول بان العلم الذي تكمن اهدافه الاولى في تحليل الفروق وتفسيرها يوفر على نفسه جميع المسائل عندما لا ياخذ بعد ذلك بعين الاعتبار سوى التشابهات، لكن هذا العلم يفقد بذلك كل وسيلة لتمييز العام الذي يطمح اليه عن المبتذل الذي يكتفي به[٣]،وبذلك يرينا ليفي– ستروس،عقم تطبيق مناهج العلوم الطبيعية لوحدها ،او بمعزل عن الفهم التاريخي، اذ انها لا توصلنا الى تعميمات تحدد فهماً وافيًا للانساق الاجتماعية او السمات الثقافية ،اذ قد توقعنا في تخبط وعدم فهم. و يشير كذلك الى الدراسات المقارنة بين مجموعة منوغرافات لمجتمعات مختلفة ومحاولة اقامة مقاربة مقارنة لها ووضع تأطير عام

(١) ايفانز بريجاربد،الانثروبولوجيا الاجتماعية، ترجمة احمد ابو زيد، مصدر سابق ،ص٩٦.
(٢) كلود ليفي– ستروس، الانثروبولوجيا البنيوية، ترجمة د.مصطفى صالح،وزارة الثقافة والارشاد القومي–دمشق ١٩٧٧،ص٢٩.
(٣) كلود ليفي –ستروس ، المصدر نفسه ،ص٣١.

منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: Arabic deifilpmiS، دون مرتفع/ منخفض
منسّق:خط الفقرة الافتراضي، الخط: دون غامق، خط اللغة العربية وغيرها: deifilpmiS Arabic، دون غامق
منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: Arabic deifilpmiS، دون مرتفع/ منخفض
منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: cibarA deifilpmiS
منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: cibarA deifilpmiS
منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: cibarA deifilpmiS
منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: Arabic deifilpmiS، دون مرتفع/ منخفض
منسّق:خط الفقرة الافتراضي، الخط: دون غامق، خط اللغة العربية وغيرها: deifilpmiS Arabic، دون غامق
منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: Arabic deifilpmiS، دون مرتفع/ منخفض
منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: cibarA deifilpmiS
منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: cibarA deifilpmiS
منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: Arabic deifilpmiS، دون مرتفع/ منخفض
منسّق:خط الفقرة الافتراضي، الخط: دون غامق، خط اللغة العربية وغيرها: deifilpmiS Arabic، دون غامق
منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: Arabic deifilpmiS، دون مرتفع/ منخفض
منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: cibarA deifilpmiS
منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: cibarA deifilpmiS

كقانون لها دون الفهم العميق لها و لمضمونها التاريخي التفصيلي او لعملها كسمات ثقافية.ان ذلك قد يوقعنا– كباحثين– في الابتذال والتبسيط والعودة الى القص واللصق الذي كان سائداً في المرحلةفترة التطورية والانتشاريةه والذي رفضته البنائية الوظيفية رفضاً قاطعاً.

ويؤكد ليفي –ستروس ان الانثروبولوجي والمؤرخ ينتهجان المنهج نفسه الا ان الاول يخطو في مشروعه الى الامام محاولاً الوصول الى تعميمات شاملة تساعد على الفهم المستقل بينما يسير الثاني الى الوراء محاولا تسليط الضوء على احداث خاصة من خلال قراءة الوثائق والمقارنة والوصول الى قوانين عامة اوصلت الانسان الى ما هو عليه اليوم.

ويرد ليفي – ستروس مجيبا على اعتراض انصار مالينوفسكي ورادكليف براون والمدرسة الانكليزية التي ترفض استخدام المنهج التاريخي في المجتمعات البدائية لعدم وجود تاريخ مكتوب او وثائق، مؤكدا ان في معظم المجتمعات البدائية وبسبب غياب الوثائق المكتوبةاجبرت الاثنولوجيا على تطوير مناهج وتقنيات خاصة بدراسة بعض النشاطات التي تبقى واعية وعياً ناقصاً على جميع المستويات التي تظهر فيها.ان هذا التقييد يمكن التغلب عليه غالباً بدراسة التقاليد الشفهية الغنية جداً،ولذا لا يمكن اعتبار غياب التاريخ المكتوب حاجزاً صارماً ضد استخدام المنهج التاريخي.

كذلك تهتم الاثنولوجيا بالشعوب التي تعرف الكتابة،كالمكسيك القديمة والعالم العربي والشرق الاقصى،وقد تيسرت كتابة تاريخ شعوب لم تعرف الكتابة قط مثل (الزولو).ويجب على الاثنولوجي ان يهتم اهتماماً خاصاً بما هو غير مكتوب،لان ما يهتم به يختلف عن كل ما يفكر الناس عادة في تثبيته على الورق وان هذا الامر لهو اهم لديه من كون الشعوب التي يدرسها عاجزة عن الكتابة[1].

وهذا يعني في طروحات ليفي– ستروس ان بامكاننا ان نقرأ تاريخ شعوب لها تاريخها لكن المحكي منه يغني ويثري الطروحات التاريخية ويمنح الباحث فرصة التعرف على كيفية فهم المجتمع لنفسه ،اذ يجب على الباحث ان لا يسقط افكاره الجاهزة بشأن البنى الاجتماعية والسمات الثقافية على المجتمع المدروس،وانما يجب ان يدع النسق الاجتماعي والسمة الثقافية تتحدث عن نفسها وتاريخها وماهيتها بنفسها.

وبما ان موضوع بحثنا هو طائفة دينية عريقة وقديمة يزيد عمرها على (٢٠٠٠) سنة فنحن نجد البحث التاريخي يغني ويساعد على فهم واقع هذه الطائفة.وطالما أن المؤشرات التاريخية ستوضح امورا قد لايمكن تفسيرها بمجرد الملاحظة المباشرة لمعطيات الواقع لهذا المجتمع فاننا نجد ان دراسة تاريخ الطائفة امر اساسي لتحديد مديات الثبات والتغير فيها.

منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: Arabic deifilpmiS، دون مرتفع/ منخفض

منسّق:خط الفقرة الافتراضي، الخط: دون غامق، خط اللغة العربية وغيرها: deifilpmiS Arabic، دون غامق

منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: Arabic deifilpmiS، دون مرتفع/ منخفض

منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: cibarA deifilpmiS

(١) كلود ليفي– ستروس ، الانثروبولوجيا البنيوية ، مصدر سابق ،ص٤٥.

المبحث الثالث :منهج الفهم الذاتي والبناء المعرفي

لقد لاقى التحليل البنائي–الوظيفي السائد في الكتابات التقليدية نقداً كبيراً.وقد أشار اليه د.احمد ابو زيد بقوله؛ ان من العبث الاكتفاء بملاحظة سلوك الافراد وتتبع علاقاتهم الظاهرة او الواقعية في المجتمع لاستخلاص صور بنائية راسخة وثابتة عن هذه العلاقات ومظاهر السلوك والنظم ،لان مثل هذا النوع من التحليل هو في افضل حالاته مجرد انعكاس لما يتصوره الباحث نفسه عن المجتمع،او لما يدركه ذلك الباحث اصلاً في المجتمع من علاقات او مصالح ونظم وقيم.ولن يكون ذلك صورة حقيقية لما يدركه الناس انفسهم عن واقعهم الاجتماعي او لما يتصورونه عن هذه العلاقات والاوضاع والنظم والقيم[١].وعلى هذا الاساس، فقد برز الاتجاه المعرفي الذي يبحث فيما يتصوره الناس وفي طريقة تفكيرهم واسلوب ادراكهم للاشياء والمبادئ التي تكمن وراء هذا التفكير والتصوروالادراك، وكذلك الوسيلة التي يصلون بها الى ذلك،ولانهم – قبل كل شيء– اصحاب هذا المجتمع فمن العدل ان نتعرف على ارائهم فيه.

وهكذا فقد اعطى هذا الاتجاه تصوراً لدراسة الانساق الاجتماعية والسمات الثقافية كوباعتبارانها تؤلف –بما تحتويه من افكار وانماط سلوكية– خارطة معرفية وادراكية .ومع ان هذه الخارطة الادراكية لاي شعب من الشعوب تحتفظ بملامح ومقومات اساسية ثابتة، فانها لا تخلو من بعض الاختلافات في التفاصيل والوثائق من جيل لاخر، بل ومن مجموعة اجتماعية لاخرى في المدةفترة الزمنية الواحدة . وهذا يعني ان لكل مجتمع تصوراته الخاصة عن العالم او الكون تختلف عن تصورات غيره من المجتمعات. وقد تبلور هذا الاتجاه منذ نهاية الخمسينات من القرن العشرين في مدرستين رئيستين احدهما في فرنسا وعرفت بالبنيوية "structuralism" والثانية في الولايات المتحدة وتعرف باسم الاثنوغرافيا الجديدة "New Ethnography" او كما يشار اليها احياناً بعلم الشعوب او العلم الاثنولوجي "Ethno science" .وقد اهتمت كلتا المدرستين بصفة عامة بدراسة الصلة القائمة بين اللغة والثقافة لتدعيم اتجاهها الادراكي والمعرفي في فهم المجتمعات قيد الدراسة،ومع ان اهتمام الاثنولوجيين باللغة امر قديم ونجده واضحاً في الكتابات الاثنولوجية الكلاسكية، الا ان الاتجاه المعرفي اعطى لغة المجتمع ابعاداً جديدة ومهمة في الدراسات الاثنولوجية.

ويهدف منهج الفهم الذاتي (Ethnoscience) الى الاجابة عن بعض التساؤلات؛ مثل ما هي الظواهر المادية التي يهتم بها افراد ثقافة ما ؟او ما هي طريقتهم في تنظيم هذه الظواهر؟ويلاحظ ان الافراد في الثقافات المتباينة لا يختلفون في تنظيم الظواهر المادية فحسب،وانما يختلفون ايضاً في طريقة تنظيمهم لهذه الظواهر[٢].

---

(١) د.احمد ابو زيد ،ماذا يحدث في علوم الانسان والمجتمع، مجلة عالم الفكر،الكويت،المجلد الثامن العدد الاول،١٩٧٧،ص٢٤٨.

(2)Tyler, stephen (eds), Cognitive anthropology, Rinehart & Winston, N.Y, 1969, P.7

منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: Arabic deifilpmiS، دون مرتفع/ منخفض

منسّق:خط الفقرة الافتراضي، الخط: دون غامق، خط اللغة العربية وغيرها: deifilpmiS Arabic، دون غامق

منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: Arabic deifilpmiS، دون مرتفع/ منخفض

منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: cibarA deifilpmiS

ويهتم اصحاب المدخل المعرفي بالطرق التي تستخدمها الجماعات داخل البناء الثقافي في المواقف المختلفة.فقد يقوم تصنيف الاقارب في احدى الثقافات على المراكز الاجتماعية للافراد عندما يتحدثون عن اقاربهم وعن العلاقات بينهم وعن المضمون الاجتماعي للحديث عنهم، ويرجع ذلك الى العوامل المعرفية عند هؤلاء الافراد التي تؤدي بدورها الى استخدام بعض الرموز للتمييز بين الاقارب في المواقف الاجتماعية.

ويرجع هذا التباين الى ان الثقافات ليست في حقيقتها ظاهرة واحدة.ولا يمكن ان نضع هذه الثقافات كلها على -وفق مجموعة واحدة من المبادئ التنظيمية،بل ان لكل فئة من هذه الظواهر تنظيماتها البديلة والكثيرة ، ويعتمد التحقق او اختيار احد التنظيمات البديلة او اقصاء البعض الاخرعلى عوامل مختلفة، فقد يكون عند بعض الافراد في ثقافة ما معلومات اكثر او اقل عن بعض الظواهر او بدائل محددة تكون مقبولة فقط في البيئات الخاصة.

وبذلك يكون هذا المنهج مفتوحاً، ويدرس العلاقات القائمة بين اجزاء كل بناء انساني اعتماداً على عدة قواعد اساسية:

اولاً : تحليل كل بناء الى جزيئاته التي يتكون منها،وذلك للكشف عن العلاقات الموضوعية التي تربطها بعضها ببعض،ثم اعادة تركيبها في بناء كلي جديد يكون ارقى من البناء السابق واكثر تقدماً منه.

ثانيا : تحديد اتجاه تحليل وتركيب كل بناء ، وهذا يتمثل في الصفة الانسانية التي يجب ان تكون هي الاساس في دراسة أي بناء ، مهما كان الاعتقاد في انه بعيد عن الانسان وذلك لان منهج الفهم الذاتي والبنائية في جوهرهما نزعة انسانية تهدف الى تطوير الابنية الانسانية المختلفة والارتقاء بالعلاقات الوظيفية التي تربط جزئياتها فيما بينها .

ثالثا : اكتشاف الماهيات الكامنة خلف كل بناء ، هذه الماهيات التي تتمثل في العلاقات الموضوعية وهي ليست ماهيات عقلية مجردة ، وانما هي نفسها هذه العلاقات وليست شيئا اخر اعلى منها[1] .

ان منهج الفهم الذاتي بشطره الفرنسي او ما اطلق عليه البنيوية –وابرز من يمثلها كلود ليفي – ستروس– يقوم بالتعرف على الاختلافات بين المجموعات المنظمة ،وهذه الاختلافات قد لاتعني تباينا مطلقا، بل تدل على العلاقة المشتركة التي تحدد على وفقها هذه المجموعات .

منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: Arabic deifilpmiS، دون مرتفع/ منخفض

منسّق:خط الفقرة الافتراضي، الخط: دون غامق، خط اللغة العربية وغيرها: deifilpmiS Arabic، دون غامق

منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: Arabic deifilpmiS، دون مرتفع/ منخفض

منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: cibarA deifilpmiS

(١) عادل مختار الهواري ، عبد الباسط عبد المعطي ، في النظرية المعاصرة لعلم الاجتماع ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٨٦ ، ص ٢٢٠ .

ويقتضي المنهج بعد ذلك ترتيب تلك الاختلافات حتى ليبدو مجموع المجموعات ناتجا عن تبديل وتركيب تلك المجوعات فيما بينها ، يقول ليفي – ستروس ، اننا نعتقد انه لكي يصبح اطلاق لفظ (بنية) على نموذج ما ، عليها ان تحقق الشروط الاتية :

١. يجب ان تتمتع البنية بطابع المنظومة . فهي تتالف من عناصر يستتبع تغيراحدها تغير العناصر الاخرى .
٢. كل أنموذج ينتمي الى مجموعة من التحولات التي يطابق كل منها أنموذجا من اصل واحد، بحيث ان مجموعة التحولات يشكل مجموعة من النماذج .
٣. ان الخصائص المبينة اعلاه تسمح بتوقع طريقة رد فعل النموذج عند تغيير احد عناصره.
٤. يجب بناء النموذج بحيث يستطيع عمله تسويغ جميع الوقائع الملاحظة[١] . فهل يؤدي المنهج البنيوي اذن الى مجرد الصياغة الصورية ؟ يرى ليفي – ستروس ان المنهج البنيوي – على العكس من ذلك – يرفض التمييز بين الصورة والمحتوى ، فالصورة تمتد بعلاقاتها الى بمحتوى خارج عنها ، ولكن البنية لا محتوى لها ، لابد في المنهج البنيوي ان تتعدد التنظيمات ، فلا معنى لحديث عند بنية تخص كل مجموعة على حدة ، او عن بنية أنموذجية تكون صورة لكل المجموعات ، اذن فالبنية هي المحتوى عندما ندركه داخل تنظيم منطقي من حيث خاصية من خصائص الواقع ، وفالبنية هي جزء من الواقع ، بيد الكن المستوى فيها غير ظاهر ويجب الكشف عنه فيما وراء المعطى المباشر . ونحن لا ندرك البنية في مستوى العلاقات المباشرة بين الظواهر بل ننشؤها انشاء . يقول ليفي – ستروس في تعريفه منهج ومسائل البحث البنيوي : ان المبدأ الاساسي هو ان مفهوم البنية لا يستند الى الواقع التجريبي ، بل انه يستند الى النماذج الموضوعة بمقتضى هذا الواقع ، وهكذا يظهر الاختلاف بين مفهومين متجاورين جداً بحيث وقع الالتباس بينهما غالبا، والمقصود هنا هو مفهوم (البنية الاجتماعية) ومفهوم العلاقات الاجتماعية ، اذ ان العلاقات الاجتماعية هي المادة الاولى المستعملة في صياغة نماذج توضح البنية الاجتماعية ، اذن لا يمكن باية حال ارجاع هذه البنية الى مجمل العلاقات الاجتماعية التي تسنى ملاحظاتها في مجتمع معين[٢] .

صحيح ان المستوى السطحي من الواقع يكوّن المادة الاولية التي تستعمل لصياغة نماذج تكشف عن البنية المجتمعية ذاتها ، فالنموذج هو تبسيط للواقع نسعى به الى احداث تغيرات في الواقع ، تغيرات من شانها ان تسمح لنا بتبين البنية ، وان الخط البياني الذي

(١) كلود ليفي – ستروس ، الانثروبولوجيا البنيوية ، ترجمة د.مصطفى صالح ، وزارة الثقافة والارشاد دمشق، ١٩٧٧ ، ٣٢٨ .
(٢) نفس المصدر ، ص ٢٢٧ .

منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: Arabic deifilpmiS، دون مرتفع/ منخفض
منسّق:خط الفقرة الافتراضي، الخط: دون غامق، خط اللغة العربية وغيرها: deifilpmiS Arabic، دون غامق
منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: Arabic deifilpmiS، دون مرتفع/ منخفض
منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: cibarA deifilpmiS
منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: cibarA deifilpmiS
منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: cibarA deifilpmiS
منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: cibarA deifilpmiS
منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: Arabic deifilpmiS، دون مرتفع/ منخفض
منسّق:خط الفقرة الافتراضي، الخط: دون غامق، خط اللغة العربية وغيرها: deifilpmiS Arabic، دون غامق
منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: Arabic deifilpmiS، دون مرتفع/ منخفض
منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: cibarA deifilpmiS
منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: cibarA deifilpmiS

نمثل به النموذج يحيل الى التحليل والمنهج ، وهو التمثيل او التحديد لانساق الواقع . وان المبدا الاساسي هو: ان مفهوم البنية الاجتماعية لا يرجع الى الواقع الاختياري بل الى النماذج التي نبنيها انطلاقا من هذا الواقع ، كما ان البحوث البنيوية لا تمثل أية قيمة لو لم تكن البيانات قابلة لان يعبر عنها عن طريق نماذج يمكن مقارنة خصائصها الصورية، وذلك بغض النظر عن العناصر المكونة لها . ان مهمة الباحث البنيوية هو ان يدرك الوحدة بين مستويات الواقع التي تتمتع بقيمة اساسية في الاعتبار الذي يعتبره هو ، وبعبارة اخرى ادراك الوحدة بين المستويات التي يمكن تمثيلها عن طريق نماذج مهما كان طابع هذه النماذج .

ونستخلص مما سبق- على وفقا لطروحات ليفي – ستروس ونظرته الى البنائية- ان البنائية التي يطرحها هي منهج وليست فلسفة او نظرية . ويحدد ليفي – ستروس بصفة عامة هدف الاثنولوجيا بانها الكشف عن العمليات العقلية والادراكية للافراد داخل المجتمعات الانسانية، بغية الوصول الى تفسير بشان تعدد الثقافات واختلافها، ويذهب بالقول الى ان هذه العمليات تنشا وتتبلور داخل العقل الانساني ،اذ يتعلمها الفرد منذ الصغر عن طريق اللغة وتكوّن بدورها ما اطلق عليه (البنية المعرفية) التي على اساسها تتشكل الثقافات، فالبناءات الشكلية للتركيب اللغوي في عمومها، بغض النظر عن كل الدلالات اللغوية الخاصة، يمكن ان تتخذ كنموذج يقتدي به الباحثون في مختلف مجالات العلوم الانسانية والاجتماعية، ويمكن ان تتحقق معها الدقة العملية عند دراسة الانساق الاجتماعية[١] .

لقد جاء مفهوم البناء عند ليفي – ستروس مخالفا لمعناه عند رادكليف– براون الذي تصور البناء في اطار العلاقات الاجتماعية القائمة بين الجماعات والنظم داخل المجتمع عبر دراسة المجتمع عن طريق البحث والتحليل في ماهية هذه العلاقات،وذلك للكشف عن القواعد والقوانين المجردة التي تحكمها.اما ليفي – ستروس فقد راى ان على الباحث ان يبدا باستخلاص القواعد والقوانين التي تحكم توجه الافراد وتضبط سلوكياتهم من خلال دراسة العمليات العقلية والادراكية لدى الافراد بشأن ثقافتهم،ويتم الكشف بعد ذلك عن طبيعة العلاقات الاجتماعية القائمة داخل المجتمع في اطار (البناء المعرفي) .وبذلك يكون ليفي – ستروس قد عكس منهج رادكليف–براون ، اذ يبدا بالكشف اولا عن قوالب المعرفة والتصورات العقلية للافراد، ثم ينتقل الى تفسير الواقع العملي للثقافة في اطار تلك المفاهيم العقلية وتصورات الافراد عن ذواتهم[٢] .

(١) فؤاد زكريا ، الجذور الفلسفية للبنائية ، حوليات كلية الادب ، جامعة الكويت العدد الاول ، ١٩٨٠ ، ص٩.

(2). Fridle jone & Pfeiffer jone .Anthropology .Harper & row publishers :New York , 1977 P.183

منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: Arabic deifilpmiS، دون مرتفع/ منخفض

منسّق:خط الفقرة الافتراضي، الخط: دون غامق، خط اللغة العربية وغيرها: deifilpmiS Arabic، دون غامق

منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: Arabic deifilpmiS، دون مرتفع/ منخفض

منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: cibarA deifilpmiS

منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: cibarA deifilpmiS

لقد اجرى ليفي – ستروس دراسته على اساس الافتراض القائل بان لدى العقل الانساني طريقة تسمح له بان يصنف الاشياء في الالفاظ او المعاني المتقابلة ،الامر الذي جعل الانسان يميز بين نفسه وغيره او بين الحيوان والانسان اوبين الطبيعة ومصنوعات الانسان. وهذه القدرة على التميز تمثل في نظر ليفي– ستروس جوهر الاختلاف بين الانسان والحيوان، كما انها تسهل من قيام الانسان بالتفاهم والتخاطب عن طريق استخدام مجموعة من التجريدات والرموز التي ساهمت في بلورة تشكيل نمط الثقافة السائد، وتمييزها عن غيرها من الثقافات الانسانية[١]،ومهما كان طابع او طبيعة الثقافة فأن اللغة في نظر ليفي– ستروس تمثل العمود الفقري فيها ،وبذلك نستطيع ان نرى ان محاولته تلك في الافادة من المنهج البنيوي تقوم بشكل جوهري على الاسس النظرية والمنهجية التي تطورت في البحث اللغوي .وقد اشار ليفي – ستروس الى الروافد التي استقى منها منهجه في التحليل ؛ مثل دراسات اللغوي دي سوسير (Desaussure) صاحب المنطلق الاساسي للنظرية المعاصرة في اللغة،واللغويان الروسي تروبتسكوي (Troubetzkoy) والبولندي الامريكي جاكوبسن (R.Jakobson) الرائدان في البحث الفونولوجي الذي انطلق من نظرية دي سوسير في اللغة ،وكذلك الاراء النظرية للباحث الامريكي فرانس بواس حول طبيعة اللغة[٢] . لقد شكلت هذه الدراسات معينا وافراً لكلود ليفي –ستروس في بلورة منهجه في الانثروبولوجيا البنيوية.

اما المدرسة الثانية او الفرع الثاني من منهج الفهم الذاتي فهو ما عرف في الولايات المتحدة الامريكية بالاثنوغرافيا الجديدة (New Ethnography) . اذ تزامن مع نشوء المدرسة البنائية الفرنسية قيام مجموعة من الاثنولوجيين الامريكيين بمحاولة لتاكيد علمية وموضوعية دراسة الثقافات الانسانية ،وذلك عن طريق تقديم وصف وتحليل للثقافة في اطار المفاهيم والتصورات التي يمتلكها الافراد ويعبرون عنها في لغتهم.او بمعنى اخر،لكي تتحقق الموضوعية في الدراسات الاثنوغرافية لابد ان يحجم الباحث عن اقحام مفاهيمه واتجاهاته التحليلية وان يترك ذلك لاصحاب تلك الثقافة انفسهم ،وقد عرف اصحاب هذا المنهج في دراسة الثقافة الانسانية بأسم علماء دراسة الشعوب (Ethnoscientists) ،واصبح هدفهم الرئيسي الكشف عن تصورات شعب معين لنمط الحياة في مجتمعه،وايضاح الاسس العقلية (البناء المعرفي)والاصول الثقافية التي يستند اليها–ذلك الشعب – في تنظيم العلاقات الاجتماعية ووضع قواعد السلوك ونظم القيم لديه.

---

[1] **Ibid , P185**

(٢) محمود فهمي حجازي ،اصول البنيوية في علم اللغة والدراسات الاثنولوجية ، عالم الفكر ، الكويت ،عدد يونيو،١٩٧٢،ص١٥٦.

منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: Arabic deifilpmiS، دون مرتفع/ منخفض

منسّق:خط الفقرة الافتراضي، الخط: دون غامق، خط اللغة العربية وغيرها: deifilpmiS Arabic، دون غامق

منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: Arabic deifilpmiS، دون مرتفع/ منخفض

منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: cibarA deifilpmiS

منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: cibarA deifilpmiS

وفي اطار هذا المنظور التحليلي، اوضحت عدة دراسات اثنولوجية كيف ان الشعوب تختلف فيما بينها فيما يتعلق بالمعايير والاسس التي يصنف على اساسها الافراد مفاهيمهم واتجاهاتهم ازاء التصنيفات المختلفة للاشياء، كالالوان مثلا او الطعام او النبات او الحيوان وغيرها[1] .

يعدتبر منهج الفهم الذاتي والبناء المعرفي منهجا اساسياً في دراسة الثبات والتغير في طائفة الصابئة المندائيين، فالكثير من الكتاب والباحثين –من ابناء الطائفة او سواهم –كتبوا عن هذه الطائفة،بيد ان كتاباتهم غالبا ما كانت غير دقيقة او غير موفقة ،ويعود ذلك الى الطبيعة الغنوصية للطائفة المنغلقة على نفسها لاسباب دينية وتاريخية سناتي على شرحها لاحقا .فمن خلال منهج الفهم الذاتي والبناء المعرفي وعبر جعل الافراد المندائيين يعبرون عن سماتهم الثقافية اعتقد اننا وصلنا الى نتائج مختلفة عن الابحاث السابقة بشأن هذه الطائفة .

منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: Arabic deifilpmiS، دون مرتفع/ منخفض

منسّق:خط الفقرة الافتراضي، الخط: دون غامق، خط اللغة العربية وغيرها: deifilpmiS Arabic، دون غامق

منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: Arabic deifilpmiS، دون مرتفع/ منخفض

منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: cibarA deifilpmiS

(١) د. حسين فهيم ، قصة الانتروبولوجيا فصول في تاريخ علم الانسان ، عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٨٦ ، ص٢٢٣ .

الفصل الثالث

التحديد العام لمعنى "الصابئة"

المبحث الاول: تتبع تاريخي

المبحث الثاني: اراء الباحثين في الصابئة

المبحث الثالث: موقع الصابئة من الاجناس البشرية

الفصل الثالث
تحديد معنى الصابئة

المبحث الاول: تتبع تاريخي

ان اطلاق تسمية "الصابئة" على مجموعة دينية مُعرّفة في العراق يثير الكثير من الالتباسات. وقد اشارت الدراسات المندائية الى ان اقدم ورود لكلمة (صابئة) في اللغة العربية جاء موثقاً في القرآن الكريم في عدد من الآيات؛ وهي سورة المائدة الآية (٦٩)، وسورة الحج الآية(١٧) ،وسورة البقرة الآية (٦٢).وقد اقترن ذكر: (الصابئون) بتعداد الديانات المعروفة في الجزيرة العربية وهي اليهودية والمسيحية، وفي سورة الحج اضيف لهذه الديانات الزرادشتية التي يسميها العرب (المجوسية) التي كانت سائدة في ايران والعراق.

وتشير بعض الدراسات التاريخية الى ان العرب كانوا على معرفة بهذه الديانات، وذلك لمجموعة اسباب يقف على رأسها كون قريش والقبائل العربية عملت كوصلة ثقافية بين الشمال العربي (الشام والعراق) وجنوبه (اليمن) عبرالرحلات التجارية (رحلة الشتاء والصيف) التي اتى ذكرها في القرآن الكريم في الاشارة الى احلاف قريش (الايلاف) .فقد كانت هذه الرحلات مصدراً للكثير من المعلومات لعرب الحجاز عن طبيعة الحياة الدينية والاجتماعية والفكرية لشمال وجنوب جزيرة العرب. ومن المعروف ان هذه المناطق كانت ثرية بالحركات الدينية والفكرية، وهي مهبط الوحي للعديد من الانبياء والرسل الكرام. وبالتالي فان عرب الجزيرة ومن خلال الرحلات التجارية تعرفوا على النتاج الثقافي لهذه المناطق وتاثروا به،كما واثروا فيه في بعض الجوانب .

كما اشارت المصادر الى دور الصحابي الجليل (سلمان الفارسي) (رض) اذ كان ذا ماضٍ ديني غامض ومتعدد الانتماءات حتى عدهاعتبره بعض الباحثين شخصية اسطورية[١]. ولكن، وفي نفس الوقت نفسه ،اكد البعض الاخر انه شخصية حقيقية، بل وحاولوا اثبات كون ديانته السابقة للاسلام كانت المندائية ،وليس المجوسية ثم النصرانية كما هو شائع[٢].

(١) لوي ماسينيون، سلمان الفارسي والبواكير الروحية للاسلام في ايران، نشرات جماعة الدراسات الايرانية رقم (٧)، باريس ١٩٣٤م، ترجمة عبد الرحمن بدوي في كتابه شخصيات قلقة في الاسلام، دار النهضة، القاهرة ١٩٦٤،ص٧–ص٣١.

(٢) د. رشيد الخيون، الاديان والمذاهب في العراق، منشورات دار الجمل، المانيا ٢٠٠٣م،ص٢٩، وكذلك ينقل الخيون عن اسباب النزول للواحدي النيسا بوري ان الاية (١٧) من سورة الحج نزلت في قوم سليمان الفارسي (رض).

منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: Arabic deifilpmiS، دون مرتفع/ منخفض
منسّق:خط الفقرة الافتراضي، الخط: دون غامق، خط اللغة العربية وغيرها: deifilpmiS Arabic، دون غامق
منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: Arabic deifilpmiS، دون مرتفع/ منخفض
منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: cibarA deifilpmiS
منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: cibarA deifilpmiS
منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: Arabic deifilpmiS، دون مرتفع/ منخفض
منسّق:خط الفقرة الافتراضي، الخط: دون غامق، خط اللغة العربية وغيرها: deifilpmiS Arabic، دون غامق
منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: Arabic deifilpmiS، دون مرتفع/ منخفض
منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: cibarA deifilpmiS
منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: cibarA deifilpmiS

وعندما نتفحص كلمة (صابئة)او (صَبـَّة) بالعامية العراقية، لا نجد لها مدلولاً تاريخياً دقيقاً يدل على الطائفة الدينية الموجودة في العراق وايران، او بتعبير اوضح ان (المندائيين) لا يطلقون هذه الكلمة (صابئة) على انفسهم ،وهي بالنسبة لهم اقرب ما تكون الى الخطأ الشائع الذي يستخدمه الاخرون لتسميتهم ، وهم يعرّفون انفسهم بانهم (مندائيون)، وسنأتي على ذكر الفرق بين الكلمتين لاحقاً.

وبالعودة الى المصادر المندائية نجد فيها كلمة (صبا) واشتقاقاتها، وهي من المفردات المندائية الآرامية، احدى لهجات المجموعة السامية التي كتبت بها المخطوطات الدينية للطائفة[١].

وكلمة (صبا) غير المهموزة واشتقاقاتها،تعني التعميد او التطهّر بالماء كشعيرة دينية اساسية من شعائر المندائيين، وهم يطلقون على هذه الشعيرة في استعمالاتهم اليومية كلمة "صباغة"، وبذلك تكون "صبا" هي صبغ، وتشير السيدة دراوور الى معنى رمزي لكلمة "صباغة"، وهي ان المتعمد يدخل الى (الماء الحي) اسودَ مرتكباً للذنوب ويخرج منه ابيض متطهراً من ذنوبه[٢]، ومعنى "صبا" :صبغ ،أي غُمس في الماء من اجل ان يتطهر ويدخل في دين المندائيين، أي تعمد، ومن اشتقاقاتها "صبيت" أي صبغتُ وهي تعني تعمدتُ ،اذ يقول المندائي عندما يتطهر بالماء: "صبيت بمصبوتا اد بهرام ربا" أي اصطبغت او تعمدت بمعمودية الملاك بهرام الرباني. وكذلك نقرأ في الكتابات الدينية المندائية مصدر الكلمة بالشكل "مصبوتا" بمعنى صباغة او تعميد، و "مصطبا" بمعنى الشخص المصطبغ او المتعمد على الطريقة المندائية[٣].

واذا اردنا ان نتتبع تاريخيًا و اركيولوجياً وجود او ظهور هذه الطائفة وهذه التسمية، فلابد لنا من الاشارة الى مجموعة من الصعوبات التي تكتنف هذا البحث. واول هذه الصعوبات هي قلة او انعدام الابحاث والتنقيبات لمنطقة تواجد الطائفة، اي منطقة الاهوار في دلتا دجلة والفرات جنوب العراق، والسبب في ذلك عائد الى طبيعة المنطقة وتحولاتها المستمرة بسبب الفيضانات والاضافات الغرينية وتغير مسار الانهار وتغير مواقع القرى تبعا لذلك، اما الصعوبة التاريخية فتكمن في طبيعة الديانة السرية وانغلاقها، واعتبار الطقوس والحياة الدينية والكتب المقدسة اسرارا لا يجوز اباحتها للآخرين، اما خوفا من الاضطهاد او خوفا من خروج هذه الاسرار المقدسة لمن لا يقدّر قيمتها .كل ذلك ادى- بحسب اعتقاد بعض الباحثين- الى مراحلفترات طويلة من انتقال الإرث والادب الديني المندائي بصورة شفوية او عن طريق نسخ الكتب المقدسة بشكل محدود[٤].

---

[١] ناجية مراني (مندائية)، مفاهيم صابئية (تاريخ، دين، لغة) بغداد ١٩٨١، مطبعة شركة التايمس،ص٥٢-ص٥٣.

[٢] الليدي داروور، الصابئة المندائيون ، ترجمة نعيم بدوي وغضبان رومي ،طبعة ثانية ١٩٨٧ ،بغداد ص١٦٧.

[3] Maguch, Rudolf, Hand book of classical & modern Mandiac, Walter-de Gruter &Co., Barlin, 1965, P.P.230-231.

[٤] عزيز سباهي (مندائي)، اصول الصابئة (المندائين) ومعتقداتهم الدينية، دار المدى دمشق،١٩٩٦،ص١٧-ص٢١.

عندما تناول علماء العرب في القرون الاولى المبكرة من الاسلام كلمة (صابئون، صابئيين) في اثناء عملهم في تفسير القرآن وفي الفقه والمعاجم اللغوية، كان هناك شبه اجماع على ان جذر الكلمة هو (صبأ) وتعني الخروج من الدين الى دين اخر. وكان التأكيد في الدراسات الفقهية الاسلامية المبكرة ذا اهمية قانونية وذلك لتعلق الامر بدافعي الجزية من اتباع الاديان الكتابية الاخرى او من اتفق على تسميتهم (اهل الذمة).

وكذلك نلاحظ في معاجم اللغة ان معنى (صبأ)هو (تغيّر، تحوّل، انقلب، عاد). وقد اطلق العرب هذا الفعل على النجوم عندما تظهر اول الليل، وعلى الجمال حين ترجع، ولكن الاستعمال الاكثر شيوعاً كان للإشارة الى الشخص الذي ترك دينه[١]، فعلى سبيل المثال، كل من ترك دينه في بداية البعثة النبوية واصبح مسلماً قيل عنه (صبأ فلان)، وتعني بدّل دينه، وكذلك اطلقت قريش على النبي محمد (ص) في بداية بعثته (الصابئ) والتي تعني (الذي بدّل دينه). كما لاحظ بعض العلماء المسلمين في الحقبةفترة الاسلامية المبكرة انه ثمة علاقة بين مصطلح (صابئ) الذي اطلق على النبي ومحتوى تعاليمه، فلقد اكد (عبد الرحمن بن زياد) انه:اطلق المشركون على النبي وجماعته لقب (الصابئون)، مقارنة لهم بالصابئة الذين يعيشون في جزيرة الموصل والذين يذكرون (لا اله الا رب واحد)[٢].

وكما اسلفنا ،فقد شرح المعجميون العرب معنى (صابئ) او (صابي) في معاجمهم على انها اشتقاق من الفعل (صبأ) المهموز الذي يعني (تحوّل او ارتدّ عن دينه الاصلي)، لكن اغلب الباحثين الغربيين لا يقبلون بهذا الاشتقاق، وتتفق معضم ارائهم على ان اصل الكلمة غيرعربي وقد دخلت الى اللغة العربية، وهذا امر اختلفوا فيه ايضاً.

ففي عام ١٦٤٩م اقترح بوكوك (Pocock) ان كلمة (صابئ) هي اشتقاق من الكلمة العبرية (سابا) (Saba) والتي تعني (جيش او جند).وقد ايّد الباحث في الدراسات المندائية الاستاذ ميشيل ترديو (Tardieu) وجهة النظر تلك في النصف الثاني من القرن العشرين[٣].

اما العالم بيل (Bell) فيميل الى الاعتقاد بان هذه الكلمة لاتستخدم او تطلق الا على صابئة "جنوب العراق" حصرا ، بالرغم من انه لاحظ صعوبة في تقبل هذه النظرية بسبب تشوش صوت حرف الصاد الواضح تماماً في اللغة العربية.

---

[١] محمد بن ابي بكر الرازي، مختار الصحاح، دار الرسالة، الكويت١٩٨٣،ص٣٥٤.

[٢] س. كوندوز، معرفة الحياة (دراسة حول اصل الصابئة المندائيين)، ترجمة د. سعدي السعدي، مركز الحرف العربي السويد١٩٩٦،ص٣٣.

[٣] المصدر نفسه، ص٣٠.

اما غريميه (Grimme)، فقد وجه اهتمامه الى جنوب جزيرة العرب للبحث عن الاصل الفيلولوجي للكلمة، ووجد في كلمة (سبه) (Sbh) الاثيوبية ضالته، ومعناها الثانوي هو (ضريبة او جزية)، وقد اوّلها وفسرها لتعني توزيع الصدقات،الا ان هذا الرأي يعد من الاراء الضعيفة.

اما اقوى الاراء فهو رأي بعض العلماء الغربيين مثل ويلهاوزن جولسون (chwolsohn) و دراوور القائل؛ ان هذا الفعل مرتبط بالفعل السرياني "صب" "Sb" الذي يعني (ينغمس، يغطس، ينصبغ، يتعمد). ويعتقد بعض الباحثين ان هذه الكلمة لم تنتقل الى العربية مباشرة من السريانية، انما انتقلت من الفعل المندائي "صب" "Sb" الذي يعني ايضا (تعمّد، غمس، غطس) ،وقد تبنى هذا الرأي عدد من الاساتذة مثل توري (Tory) وجيفري (Jeffery). ويرجح بعض الباحثين العرب المعاصرين ان الكلمة المندائية كانت تسمع من المندائيين بشكل دائم،اذ انهم يستعملون الفعل (صبا) الارامي في طقس التعميد الرئيسي ،وهذا الطقس يسمى "مصبته"، وكذلك يقولون في صيغة الاذان "انش صابي بمصبتة شلمي" أي (كل من تعمد بالمعمودية يسلم)[1]، كما يقولون في التعميد "الصباغة"؛ "صبينا ابمصبتة ادبهرام ربه" أي (تعمدت بعماد بهرام الرباني)[2]،ولديهم الكثير من العبارات التي تذكر كلمة "المصبتة" كثيرا في طقوسهم، ويعتقد ان يكون الاقوام المجاورون لهم– وكثير منهم اراميون او يجيدون اللغة الارامية– قد اطلقوا عليهم اسم:(الصابئون) أي المغتسلة بالآرامية.

والان اذا سألنا سؤالاً هو: من هم (الصابئون) الذين ورد ذكرهم في اقدم توثيق في اللغة العربية وهو القرآن؟ نقول: ان هناك الكثير من التفاوت في اراء العلماء والباحثين حول هذه النقطة، لكن النظرية الاكثر شيوعاً هي التي اقترحها (والك) في القرن الثامن عشر، و (جولسون) في القرن التاسع عشر، وايدها العديد من الاساتذة في القرن العشرين ؛امثال (كريلنغ) و (الليدي دراوور) و (بوك).وتفيد هذه النظرية بأن مصطلح: (الصابئون) الوارد ذكره في القرآن الكريم يشير الى مندائيي ايران والعراق ،وذلك استناداً الى ادلة تاريخية ذكرها العلماء العرب في القرون الوسطى واعتماداً على ابحاث لغوية مقارنة حديثة وغيرها.[3]

---

[1] س .كوندوز،معرفة الحياة ، مصدر سابق،ص٣٤ وما بعدها.

[2] الليدي دراوور، الصابئة المندائيون، ترجمة نعيم بدوي وغضبان الرومي (مندائيان)، طبعة ثانية، ١٩٨٧، بغداد، من مقدمة المترجمين،ص٩.

[3] س. كوندزز، المصدر نفسه ، ص٣٧.

المبحث الثاني : اراء الباحثين في الصابئة

اذا اردنا تتبع اراء الباحثين الذين تناولوا موضوع الصابئة في دراساتهم وجب علينا ان نقسم هذا التتبع الى قسمين كبيرين هما :

اولاً: العلماء والباحثون العرب .

ثانياً: العلماء والباحثون الغربيون .

وسنتناول القسمين بالتوضيح وكما يلي :

اولاً: العلماء والباحثون العرب :

وهنا نضطر الى تقسيم البحث او التتبع الى قسمين فرعيين؛ فثمة كتابات تناولت بالشرح والتوضيح موضوع الديانة المندائية في القرون الوسطى ابان الحضارة العربية الاسلامية ، وثمة دراسات وابحاث عربية حديثة تناولت الموضوع منذ عصر النهضة في القرن التاسع عشر، سنأتي على ذكرها .

١. **العلماء العرب في القرون الوسطى** : عندما نستعرض الكتابات التأريخية الاسلامية في موضوع الصابئة المندائية يجب ان نتوقف عند نقطة تأريخية فاصلة عداعتبرها بعض الباحثيين نقطة تحول في نوع وطبيعة الكتابات قبلها وبعدها ،وهذه النقطة هي وفاة الخليفة العباسي المأمون (٨٣٢م-٨٣٣م)[١] .

فالكتابات المبكرة قبل وفاة المأمون ،كانت بشكل عام مختصرة وتشير الى الموضوع في جمل قليلة ،وكانت منصبة على توضيح مصطلح (صابئون) الوارد الذكر في الايات القرآنية لاغراض فقهية او قانونية ،ووضع اجوبة حول السؤال القائل: هل يعدتبر (الصابئون) من اهل الذمة ؟ وهل يجوز اخذ الجزية منهم كونباعتبارهم موحدين مثل النصارى واليهود ام لا ؟ اما الكتابات المتأخرة عن ذلك – أي بعد النصف الثاني من القرن التاسع الميلادي –فقد اعتمدت كثيراً على الاراء المبكرة ، الا ان هناك كتابات فيها تفصيل لابأس به مثل كتابات المسعودي والبيروني و ابن النديم ،وسنأتي على تفصيل كل ذلك فيما يلي :-

أ.الصابئة بحسب المصادر الاسلامية المبكرة ،قبل عام (٨٣٢م-٨٣٣م):

لم ينتبه العلماء الغربيون المهتمون بالصابئة الى المدارس الاسلامية المبكرة ،بالرغم من انها تعدتبر بالغة الاهمية في تمييز (من هم صابئة القرآن)،وفي تحليل التأملات حول الصابئة. وربما ان مرد ذلك الى ان ذكر الصابئة كان متفرقاً او قليلاً، اذ انهم كانوا يذكرون في ضمن

---

[١] س. كوندوز ، معرفة الحياة ،مصدر سابق ،ص٣٠

موضوع ما مثل الجزية او اكل لحوم ذبائح اهل الذمة، فيأتي ذكر الصابئة بجملة او جملتين لكنها مهمة جداً ،اولا نظرا لقرب المدرسة الاسلامية المبكرة من القرآن ومصطلحاته والفهم الجيد له ،وثانياً لان المدارس الاسلامية اللاحقة في الفقة والحديث وعلوم القرآن كانت قد استندت الى الكتابات المبكرة كمراجع لاغنى عنها .

ويمكن ان نوجز ما توصلت اليه المصادر الاسلامية المبكرة في ما يلي :

ان المناطق التي يتواجد فيها الصابئة تمركزت حول الموصل بحسب (عبد الرحمن بن زيد) وارض السواد بحسب (عطا بن رباح وابن جريج) وفي واسط بحسب (ابو الزناد) .

منسّق: المسافة البادئة: السطر الأول: 0 سم

اما بخصوص تعريف ديانة الصابئة: فهي ديانة بين اليهودية والمجوسية بحسب (الحسن البصري وابن جريج) ،وهي ديانة وسط بين اليهودية والنصرانية بحسب بعض الائمة مثل (الامام الاعظم ابو حنيفة النعمان) ، و(قتادة) و(الامام الاوزاعي) و(الامام مالك ابن انس) و(الامام احمد ابن حنبل) ،اما حبر الاسلام (عبد الله ابن عباس) "رض" فيرى انهميعتبرها فرقة من النصرانية ، ولكن هناك رأي لـ(عبد الرحمن ابن زيد) يقولعتبر ان لهم ديناً مستقلاً، وهم ليسوا بطائفة او نحلة من أي دين سابق[1]

اما فيما يتعلق بمعتقداتهم وطقوسهم الخاصة ،فقد اشار (وهب بن منبه) و(عبد الرحمن بن زيد) الى انهم يعتقدون بإله واحد . واضاف (الخليل ابن احمد الفراهيدي) بأنهم يعتقدون انهم من اتباع النبي نوح (ع) ،ولكنه اضاف بأنهم يؤلهون الملائكة. وهذا الرأي يتطابق مع رأي (الحسن البصري) و(ابن جريج) ،اما (ابو الزناد) فقد ذكر انهم يؤمنون بالانبياء السابقين ويصلون خمس مرات في اليوم وصلاتهم باتجاه الجنوب ويصومون (٣٠) يوماً في السنة[2] .

والخلاصة المهمة لقراءة المدرسة الاسلامية المبكرة– التي تكونت على الاغلب من علماء عاشوا في العراق ،مما يعني قربهم من الارض التي يعيش فيها المندائيون– تفيد ان الصابئة دين بين المجوسية واليهودية والمسيحية ،او انهم فرقة لها علاقة بواحدة من هذه الديانات، او انهم اصحاب دين مستقل يحمل عناصر مختلفة من تلك الاديان الثلاث .

اما فيما يخص موقعهم بالنسبة للقانون الاسلامي في المدرسة الاسلامية المبكرة؛فعندما فتحت ارض العراق في زمن الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب (رض) اندرج غير المسلمين في العراق مثل المجوس والصابئة ضمن نظام دافعي الجزية .ولكن انقساماً فقهياً حدث فيما يتعلق بالصابئة في هذه المرحلةفترة المبكرة ،و قد كان يدور حول السؤال :هل ان الصابئة هم من اهل الكتاب ؟ قال (الامام الاعظم ابو حنيفة النعمان) وبعض الفقهاء في العصر الاموي

---

[1] س .كوندوز ،مصدر سابق ،ص٣٩

[2] المصدر نفسه، ص٤٠

مثل (ابو العلياء) و(السعدي): بان الصابئة من اهل الكتاب لانهم يقرأون الزبور ،لذلك يجوز مناكحتهم واكل طعامهم ،بينما ذهب الرأي الاخر –الذي وقف على رأس الفقهاء فيه تلميذ ابو حنيفة القاضي(ابو يوسف) و(محمد بن حسن)وغيرهم–الى القول بأنهم ليسوا من اهل الكتاب بسبب عبادتهم للملائكة .لذلك فأن موقعهم مشابه لموقع المجوس في القانون الاسلامي وهو عدم جواز مناكحتهم و مؤآكلتهم[١] .

ب.الصابئة بحسب المدارس الاسلامية اللاحقة (أي بعد وفاة الخليفة المأمون):

ونتناول هنا اراء المفسّرين والفقهاء والمؤرخين والجغرافيين والفلاسفة من المفكرين العرب المسلمين؛ مثل(احمد بن الطيب) صاحب كتاب "رسالتي في وصف مذاهب الصابئيين" .وهذا الكتاب هو رسالة مفقودة ،الا ان اهميتها في ريادتها، اذ نقل عنها الكثير من المتأخرين ؛مثل (المسعودي) و(ابن النديم) في كتابه "الفهرست". وكذلك ذكر الصابئة كل من (القرطبي) و(ابن خلدون) و(القفطي) و(ابن خلكان) و(ياقوت الحموي) و(ابن ابي اصيبعة) و(الكندي) و(الشهرستاني) و(ابو بكر الرازي) و(ابو الريحان البيروني) وغيرهم .وفي البدء لابد من الاشارة الى ان اغلب هؤلاء المؤلفين اعتمد على الرواية الشفوية كمصدر اساس، وهو منهج عام سار عليه كثير من المفكرين المسلمين ليس في هذا الشأن وحده[٢] ،وانما في معالجتهم للكثير من القضايا .وقد قيل الكثير في هذه الطريقة التي اشتقت من الممارسة العامة في الكتابة .

ان الرواية الشفوية على ما فيها من صدق في كثير من الاحيان وعلى ما فيها من ضرورة، الا ان فيها نقاط ضعف قاتلة ،متمثلة في مصداقية واهلية الرواة ،والتحقق من المروي، وهو الشئ الذي لم يكن يحصل مع المؤلفين المسلمين ،حتى غدت بعض كتاباتهم سرداً لمجموعة من الاساطير والتهويمات دون تمحيص. وهذا متأت من عدم معرفتهم باللغة المندائية مما لا يؤهلهم للاطلاع على الادب الديني المندائي بأنفسهم اوالتدقيق فيما يروون .كما وان الصابئة انفسهم ،وكما اسلفنا القول ،يظنون على الغرباء بكتبهم الدينية وكشف طقوسهم .

ففي كتاب "القانون المسعودي"،يقول البيروني –وفي روايته الكثير من الموضوعية والدقة العلمية بالمقارنة بالاخرين– : (الصابئون في كتاب الله تعالى مقترنوا الذكر بالطوايف

---

[١] س. كوندوز ، معرفة الحياة ،مصدر سابق ،ص٤٤

[٢] عزيز سباهي (مندائي) ،اصول الصابئة (المندائيين) ومعتقداتهم الدينية ،منشورات المدى ،دمشق ،الطبعة الاولى ١٩٩٦ ،ص٢٦ .

التي قدمنا ذكرهم ،فأما الكاينون بسواد العراق حوالي قرى واسط، فما حصلت من اسلوبهم على شئ البته ،واما المتلقبون بلقبهم من بقايا اليونانيين الكاينين بحرّان فهم من الصيانه لشرائعهم بحيث لا يكاد مخالفوهم يقفون عليها)[1] .

كما اعتمد بعض المؤلفين الاسلاميين في كتاباتهم عن الصابئة على المصادر المسيحية. فأذا ما عرفنا ان الصراعات التي كانت دائرة بين المذاهب المسيحية كانت على أشدّها، والتنافس على الحضوة في دوائر الترجمة والعلوم في البلاط العباسي كانت مستعرة في تلك الحقبة فترة، عرفنا حجم التشويه او عدم الدقة في احاديث هؤلاء المنقول عنهم .وهنا لابد من ذكر رواية كان لها الاثر الكبير في الدراسات المندائية ؛وهي رواية (ابو يوسف ايشع القطيعي النصراني) كما اوردها ابن النديم ،اذ يقول : " قال ابو يوسف ايشع القطيعي النصراني في كتابه في الكشف عن مذاهب الحرنانيين المعروفين في عصرنا بالصابه ،ان المأمون اجتاز في اخر ايامه بديار مضر ،يريد بلاد الروم للغزو ،فتلقاه الناس يدعون له ،وفيهم جماعة من الحرنانيين، وكان زيهم اذ ذاك لبس الاقبية، وشعورهم طويلة بوفرات كوفرة قرة جد سنان بن ثابت ،فأنكر المأمون زيهم وقال لهم من انتم من الذمة ؟ فقالوا نحن الحرنانية ،فقال لهم انصارى انتم ؟ قالو لا ، قال فيهود انتم ؟ قالوا لا ،قال فمجوس انتم ؟ قالوا لا ،قال لهم افلكم كتاب او نبي ؟ فمجمجوا في القول ،فقال لهم فانتم اذن الزنادقة عبدة الاوثان ،واصحاب الرأس في ايام الرشيد والدي، وانتم حلال دماؤكم لا ذمة لكم ،فقالوا نحن نؤدي الجزية ،فقال انما تؤخذ الجزية ممن خالف الاسلام من اهل الاديان الذين ذكرهم الله عز وجل في كتابه ،ولهم كتاب وصالحه المسلمون على ذلك ،فانتم ليس من هؤلاء ولا هؤلاء، فأختاروا الان احد امرين : اما ان تنتحلوا دين الاسلام او ديناً من الاديان التي ذكرها الله في كتابه ،والا قتلتكم عن اخركم ،فأني قد انظرتكم الى ان ارجع من سفرتي هذه، فأن دخلتم في الاسلام او في دين من هذه الاديان التي ذكرها الله في كتابه ،والا امرت بقتلكم واستئصال شأفتكم ،ورحل المأمون يريد بلاد الروم ،فغيروا زيهم وحلقوا شعورهم وتركوا لبس الاقبية، وتنصر كثير منهم ولبسوا زنانير، واسلم منهم طائفة وبقي منهم شرذمة بحالهم ،وجعلوا يحتالون ويضطربون حتى انتسب لهم شيخ من اهل حران فقيه ،فقال لهم وجدت لكم شيئاً تنجون به وتسلمون من القتل ،فحملوا اليه مالاً عظيماً من بيت مالهم ،احدثوه منذ ايام الرشيد الى هذه الغاية ،وانا اشرح لك ايدك الله السبب في ذلك ،فقال لهم ،اذا رجع المأمون من سفرة فقولوا له نحن الصابئون ،فهذا اسم دين قد ذكره الله جل اسمه في القرآن فانتحلوا تنجون به ،وقضى ان المأمون توفي في سفرته تلك بالبذنون،وانتحلوا هذا الاسم منذ ذلك الوقت ،لانه لم يكن بحران ونواحيها قوم يسمون بالصابه، فلما اتصل بهم وفاة المأمون ارتد اكثر

[1] البيروني ،ابو الريحان محمد بن احمد (المتوفي ٤٤٠هـ) ،القانون المسعودي ،جـ١ طبعة حيدر اباد ،الهند ،١٩٥٤م ، ص٣٦٧

من تنصر منهم ورجع الى الحرنانية ،وطولوا شعورهم حسبما كانوا عليه قبل مرور المأمون بهم على انهم صابئون"[١].

لقد لعبت رواية القطيعي دوراً كبيراً في تشويش الدراسات المندائية سابقاً وفي الوقت الحاضر، لذلك يجب ان نشير الى ان احداً غير القطيعي لم يشر الى هذه الواقعة المزعومة، أي انه ينفرد بالحديث عنها .في حين ان حياة المأمون ونشاطه كانت موضع عناية خاصة من جانب الرواة والمؤرخين نظراً للمنزلة العالية التي حظي بها هذا الخليفة العالم، فهو–اي القطيعي– يختار للواقعة التي يرويها زمناً يسبق وفاة المأمون مباشرة، لكي لا يبقى للقصة من ذيول يتابعها المأمون بنفسه من بعد .لقد كان المأمون –كما هو معروف– رجلاً واسع الاطلاع،وقد نظمت في زمنه مكتبة الحكمة المعروفة ،وقد رعى شخصياً حركة الترجمة من اليونانية الى العربية في ميادين الفلسفة والطب والفلك والعلوم الرياضية والطبيعية الاخرى. وقد لعب مثقفو حران دوراً مهماً في حركة الترجمة هذه، فليس من المعقول ألاّ يعرف المأمون شيئاً عنهم[٢] .وعلى خلاف ما يزعم القطيعي ،ففي ديار مضر، ومنها حران والرقة وغيرها، كان هناك من يدعى بالصابئة حتى قبل خلافة المأمون بل و(ابن النديم) ذاته ، الذي نقل لنا رواية القطيعي يورد في فهرسته في موضع اخر: "ان اجداد ثابت بن قرة قد توارثوا رئاسة الصابئة منذ ايام عبد الملك بن مروان[٣] " .

ونستطيع القول في المرحلة المتأخرة، او بعد وفاة المأمون ،ان (المسعودي) يعد ~~عتبر~~ اول العلماء الذين وضعوا دراسة منهجية حول الصابئة .وقد اعتمد في بعض كتاباته، كما اشرنا سابقاً، على رسالة وضعها (ابن الطيب) تلميذ فيلسوف العرب الاول (الكندي) .لقد اعطى (ابن الطيب) غزارة من المعلومات عن الحرانيين، فوصف نظامهم اللاهوتي ومعتقداتهم الكواكبية ونظام العالم واسطورة الخلق بالنسبة لهم،وكذلك طقوسهم الدينية مثل الصلاة والصوم والقرابين ،ووصف اعيادهم . كما وروى ان الكندي معلمه كان قد قال له انه فحص كتاباً كان يعتبر المرجع لهؤلاء الناس وهو رسائل هرمس (Hermes) حول وحدة الاله، وكان هرمس قد كتبها الى والده[٤] . وقد ذكر (ابو اسحاق الاصطخري) الجغرافي حران كمدينة للصابئة في بداية القرن العاشر الميلادي، وقال ان فيها سبعة عشر (١٧) مكاناً للعبادة (معبد) ،ولاحظ وجود تل عظيم يعود الى النبي ابراهيم يقدسه الصابئون ويصلون عليه[٥] .

---

[١] ابن النديم ،الفهرست ،دار المعرفة ،بيروت ،١٩٧٨م ص٤٤٥/٤٤٦

[٢] عزيز سباهي ،مصدر سابق ،ص٣١

[٣] ابن النديم ،الفهرست ،ص٤٥٤

[٤] س. كوندوز ،مصدر سابق ،ص٤٥

[٥] س. كوندوز،معرفة الحياة ، مصدر سابق، ص٤٦

ونستطيع ان نستخلص من كل ذلك ان المصادر الاسلامية المبكرة قبل (٨٣٢م-٨٣٣م) وهو تاريخ وفاة الخليفة العباسي المأمون ،قد وصفت (الصابئة) الذين ذكرهم القرآن بصفتهم أهل كتاب اسوة باليهود والنصارى .وقد ذكرت هذه المصادر ان الصابئة نظام عبادة توحيدي، وانه أخذ من عناصر اليهودية والمسيحية والمجوسية،وهم يعيشون في العراق. واعتباراً من الربع الاخير من القرن التاسع ظهر اهل حران تحت اسم صابئة حران، بالرغم من انهم ذكروا في المصادر الاسلامية المبكرة تحت اسم الحرانيين. وعلى سبيل المثال، عرض(ابو يوسف) قاضي القضاة في زمن الرشيد؛ ان شعب حران هم نباتيون وهم مهاجرون او من بقايا اليونانيين[1] .وقد وصف معظم علماء المسلمين القروسطيين بعد المأمون اهل حران الذين يعبدون الكواكب والاصنام التي تمثلها، على انهم صابئة، وفي الوقت نفسه كانوا قد ذكروا فرقة صابئية اخرى عرفت باسماء مختلفة ؛مثل المغتسلة والواسطيون والكيماريون، واشاروا الى ان موطنهم هو العراق، وهم يسكنون على وجه الخصوص في واسط والبصرة والبطائح وهي مناطق الاهوار في الجنوب البابلي .

ولابد من ذكر ملاحظة عن كتابات مفكري القرون الوسطى المسلمين،وهي انهم اطلقوا تسمية الصابئة على كل عبدة الاصنام والكواكب من الصين الى اليونان،ومن وسط اسيا الى المصريين .

لقد اشرنا في متن الموضوع الى منهج النقل الشفهي والخلط الذي كان شائعاً في كتابات علماء المسلمين في تلك الحقبةفترة ،ولم نلاحظ استخدام الروي عن اشخاص كانوا صابئة ودخلوا الاسلام ،ولم تردنا دراسة موضوعية عن الصابئة الا في حالات نادرة مثل وصف (المسعودي) لصابئة حرّان في كتاب "التنبيه والاشراف" .

٢. **الكتّاب والباحثون العرب المعاصرون**: منذ القرن التاسع عشر تناول الكثير من الكتاب والمفكرين والاساتذة العرب موضوع الصابئة .ولكن غالبا ما كانت هذه الدراسات وصفية ومتأثرة بطريقة البحث الاستشراقي، ولم تتوفر دراسات معمقة عن موضوع الصابئة رغم وجود بعض المحاولات الجادة .كما ولم تكن الاشارات في نهاية القرن التاسع عشر سوى نتف متناثرة في مقالات. ومع بدايات القرن العشرين بدأت تظهر دراسات اكثر عمقا. وكان الرائد فيها كتاب (مندائي) لعبد الحميد افندي عبادة، وقد اعده الباحثونتبر اول كتاب يصدر بالعربية عن الطائفة ، وهو حصيلة حوار مباشر بين الباحث وبين الشيخ كنزبرا (دخيل بن عيدان بن داموك) رئيس الطائفة المندائية في العراق الساكن في مدينة الناصرية

[1] المصدر نفسه ،ص٦٨

آنذاك في عام (١٩٢٥)[١] . وقد اعاد تحقيقه وقدم له الباحث العراقي د.رشيد الخيون وصدر في طبعة حديثة عام ٢٠٠٣م عن دار الحكمة في لندن .

لقد سبقت كتاب (مندائي او الصائبة الاقدمين) بلا شك مقالات الأب الموسوعي انستاس ماري الكرملي في مجلة المشرق، عندما كان مراسلاً لهذه المجلة في مطلع القرن العشرين ، الا انها لم تجمع في كتاب حتى الان .

ولكن، وكما يشير د. رشيد الخيون في مقدمة الكتاب الذي حققه و أعاد طبعه ، لابد وان يكون عبد الحميد عبادة قد اطلع على مقالات الاب الكرملي، لانه اخذ منها نصوصاً كاملة من بحث "الصابئة" لنقولا السيوفي، الذي كتبه بالفرنسية ونشرته مجلة البيان بالعربية عام (١٨٩٧م). ثم صدر كتاب عبد الرزاق الحسني "الصائبة قديما وحديثا " عام (١٩٣١) وقدم له احمد زكي باشا،وكذلك يشير د.الخيون إلى ان الحسني (اختطف الكثير من مقالة نقولا السيوفي ونصوص عبد الحميد عبادة دون الاشارة ، الا في مكان لا علاقة له بالنصوص الرئيسية المقتبسة[٢]).وبقي كتاب الحسني مصدراً وحيداً للمعلومات عن الطائفة رغم ان فيه الكثير من الاخطاء والمغالطات ، حتى ان الشيخ دخيل بن عيدان رئيس الطائفة في الثلاثينيات رفع دعوى نظرت في القضاء العراقي ضد المؤلف عبد الرزاق الحسني، وقد ردَّ فيها على اتهامات الحسني بأنهم–اي الصابئة – غير موحدين ويعبدون او يقدسون النجوم . لقد قرأ الشيخ دخيل في كتاب المندائيين المقدس "كنزا رباً " رداً على الحسني في المحكمة، وترجمت الكلمات المقدسة لتثبت اخطاء الحسني ، وحكمت المحكمة بتعديل الطبعة القادمة وباعتذار المؤلف رسمياً من الطائفة ممثلة برئيسها[٣] .

ومع ذلك بقي كتاب الحسني على ماهو عليه حتى الخمسينات من القرن العشرين،حينما بدأت كتب اخرى بالعربية بالظهور مثل كتاب عباس محمود العقاد (ابو الانبياء) الذي صدر عام ١٩٥٣، وأشار فيه الى ان الصائبة هم ملة ابراهيم.وقد اعتمد في طروحاته على مصادر اسلامية قروسطية بالاضافة الى ما اطلع عليه من دراسات حديثة مثل كتاب الحسني الذي طبع في القاهرة .ومن الجدير بالذكر ان مرحلة الستينات كانت زاخرة بالانفتاح والابداع لدى ابناء الطائفة انفسهم ، اذ اشتغل باحثان مندائيان على ترجمة كتاب الباحثة الانكليزية الليدي دراوور، التي عاشت كزوجة لإداري انكليزي في مدينة العمارة، فكانت قريبة من لغتهم وطقوسهم ،وانتجت أهم الدراسات عن المندائية ،وقد تعاون معها رئيس الطائفة في الثلاثينات الشيخ دخيل الشيخ

---

[١] عبد الحميد افندي عبادة ، مندائي او الصائبة الاقدمين ، تقديم وتحقيق د.رشيد الخيون ، دار الحكمة ، لندن ، طبعة اولى ٢٠٠٣ ،ص٣ من مقدمة المحقق .

[٢] المصدر نفسه ، ص٥.

[٣] المصدر نفسه ، ص٢٦.

عيدان ، الذي يعدتبر بحق اهم من ارسى الوجود الحديث للطائفة في العراق الحديث. (لقد حدثني استاذي المشرف الدكتور خالد الجابري انه قابل الليدي دراوور في بيتها في انكلترا، عندما كان طالبا يعد اطروحته للدكتوراة عن اليزيدية وقال لي :بعد ان اخبرتها سكرتيرتها ان طالبا من العراق يريد مقابلتها ،خرجت من داخل قاعة الاستقبال وهي تدبك بقدمها رافعة يدها الى الاعلى ومرددة "هوسة" من هوسات اهل الجنوب ،وهو دليل على عمق معرفتها بهم وشغفها بثقافتهم).

لقد اشتغل الاستاذ نعيم بدوي والاستاذ غضبان رومي على ترجمة الكتاب الاهم عن الطائفة– كتاب الليدي دراوور (الصابئة المندائيون) –ثم ترجما الجزء الثاني منه تحت عنوان (اساطير وحكايات شعبية صابئية). كما برز دور الاستاذ غضبان رومي في مؤلف مستقل حاول فيه ان يتجاوز هفوات الليدي دراوور واخطاءئها، فاصدر كتابه (الصابئة ، بحث اجتماعي ديني تاريخي عن الصابئة) عام ١٩٨٣ في بغداد. وقد سبق غضبان رومي من ابناء الطائفة في التأليف الاستاذة ناجية مراني في كتابها (مفاهيم صابئية مندائية)، والاستاذ عبد الفتاح الزهيري في كتابه (الموجز في تاريخ الصابئة المندائيين ، العرب البائدة). ويمكننا ان نلاحظ منذ نهاية الستينات –أي منذ صدور كتاب (الصائبة المندائيون) في عام ١٩٦٩ –ان اهم الدراسات عن الطائفة صار يكتبها ابناؤها، بعد ان آمنوا بضرورة الانفتاح والتفاعل مع المجتمع بالنظر للتغيرات التي حدثت في العراق بعد تاسيس الدولة العراقية وبداية التغيرات والحراك الاجتماعي في المجتمع.اذ ترجم الدكتور صبيح مدلول السهيري كتاب(النشوء والخلق في النصوص المندائية) للمستشرق الباحث في الشؤون المندائية كورت رودولف ، في عام ١٩٩٣ ، كما قام الدكتور سعدي السعدي – المهاجر خارج العراق– في عام ١٩٩٦ في السويد بترجمة كتاب عالم المندائيات س.كوندوز(معرفة الحياة) الى العربية ،وفي العام نفسه كتب السياسي الماركسي العراقي عزيز سباهي كتابه المهم (اصول الصابئة المندائيين ومعتقداتهم) وقد صدر في دمشق في ذلك العام. اما في الدراسات المختصة او العلمية فقد اصدر الدكتور خزعل الماجدي عام ١٩٩٧ كتيبه (جذور الديانة المندائية) وهي محاولة لإرجاع الديانة المندائية الى اصول سومرية رافدينية، وهو اشتغال سبق ان قام عدد من الباحثين الغربيين بمحاولات مهمة فيه ، كما وصدر كتاب الدكتور رشيد الخيون (اديان ومذاهب العراق) في المانيا عام ٢٠٠٣ .

ومن الجدير بالذكر ان جزءاً كبيراً من الادب الديني المندائي تمت ترجمته الى العربية، ابتداءً بالكتاب المقدس " كنزا ربا " وهو صحف ادم . وقد قام الاستاذ امين فعيل حطاب بجهد طيب في ترجمة عدد من النصوص الدينية المندائية من لغتها الاصلية الى العربية مباشرة مثل " القلستا " وهي ترانيم الزواج المندائية ،و "الانياني"وهو كتاب الادعية والصلوات المندائية ،وكتاب "دراشة اد يهيا" وهو مواعظ وتعاليم يحيى بن زكريا (ع)، فضلا عن بالاضافة الى ترجمة الرحلة الاسطورية للمندائيين المسماة "حرّان كويثة (حران الداخلية).

ويصدر اليوم في العراق والعالم اكثر من مطبوع دوري يقف في مقدمتها مجلة(آفاق مندائية) الرصينة بموضوعاتها والمتنوعة في طروحاتها ، بالاضافة الى مجلة "هيمنوثا" الدورية– رغم تلكؤها لفترات–ومجلة الصابئي التي يصدرها ابناء الطائفة في محافظة ذي قار. كما ان هناك اكثر من خمسة مواقع مهمة على الانترنيت باللغة العربية توفر المعلومات والتواصل مع ابناء الطائفة .

ثانيا : العلماء والباحثون الغربيون :

لقد تعرف الغرب على الصابئة من خلال المبشرين الذين قدموا الى البصرة في القرن السادس عشر. وكان مبشرو اورموز الجيسويتي –وهم من المبشرين البرتغاليين –قد قدموا الى الخليج العربي في تلك المرحلةفترة ، فكانت اول اشارة لالتقائهم بالصابئة في التقرير الذي صدر عام ١٥٥٥ م[١] .لقد اعتقد المبشرون ان هؤلاء القوم–الصابئة– ينتمون الى فرقة يوحنا المعمدان المسيحية ،ومنذ ذلك الحين بقي المندائيون حتى وقت قريب يقدمون انفسهم للاجانب على انهم مرتبطون او موالون ليوحنا المعمدان الذي له دورمهم في الادب الديني المندائي[٢] . ان تقرير المبشرين البرتغالين يشيرالى ان هذه الطائفة هي طائفة مسيحية لكنها غير تامة المسيحية ،فقد ألمح هذا التقرير الى ان القديس يوحنا كان قد بشرعلى هذه الارض ، وفي هذا خلط واضح بين القديس يوحنا ويوحنا المعمدان الذي يمجده الصابئة كاحد قديسيهم.بيد ان رسالة تالية من (غوا) المستعمرة البرتغالية في الهند صححت هذا الخلط، اذ جاء فيها " ان هنالك عدد كبير من المسيحيين الذين يتبعون يوحنا المعمدان "[٣] . ثم تلتها رسالة اخرى في عام ١٦١٥ مشيرة إليهم كطائفة مستقلة .وفي عام ١٦٢٢ أشار الرحالة الإيطالي (Diluglio) (ديلو غليو) الى ان هذه الطائفة تعرف بـ"المنداي" أو "صابي"، ودعاهم اغناطيوس –وهو من المبشرين الكاثوليك– باتباع يوحنا المعمدان و بالـ" مندائيا". وقد ظل هذا الخلط في التسميات و الأوصاف قائماً حتى النصف الثاني من القرن الثامن عشر، اذ كان الباحثون يخلطون بينهم وبين السبأيين في جنوب اليمن للتقارب بين لفظتي (الصابئيين) و(السبأيين) حينما يكتبان بالحروف اللاتينية،كما واثارت التسميات العامية التي تطلق عليهم مثل الصُبَّة والصَبّة والصابئة والداي والمنداي والمندايي بعض الارتباك في دوائر البحث .

---

[١] عزيز سباهي ، مصدر سابق ،ص٣٣ .

[٢] س. كوندوز ، مصدر سابق ،ص٣٣ .

[٣]* هذه المعلومات استقاها عزيز سباهي من مصادر مختلفة اهمها

*savend Age pallis, Essay on Mandaen, Bibliograohy 1560 – 1930 , Phil press Amsterdam , 1974.

*Edwin,yamauchi, The present status of Mandaean studies , Journal of Near Estern studies.

وقد امتد هذا الخلط ليشمل تلك التسميات التي ترد في كتبهم: "الناصروثا" و"الناصورائيي" فقد عزى البعض ذلك بارجاعهم الى مدينة الناصرة. وخلط البعض الاخر بينهم وبين النصيريين – وهي فرقة من غلاة الشيعة في بلاد الشام . رغم ان الناصورائي في اللغة المندائية تعني شيئا آخر تماما، فمعناها هو الكاهن الذي يمتلك المعرفة الحقيقية بالدين او الضليع بمعارفه الدينية .

ومنذ ذلك الحين–اي منذ القرن السابع عشر – تزايدت الاشارات الى الصابئة ،ومع تزايدها بدأ الباحثون يولون دراسة معتقدات هذه الطائفة اهتماماً اكبر. ففي ذلك القرن تحديدا وصل اوربا (٥٢) تقريراً عنهم. وفي القرن التالي ارتفع العدد الى (٧٤) تقريراً.وقد حفزت الأخطاء التي وقع فيها الرحالة بشانهم الباحثين على ترجمة كتبهم .ففي عام (١٦٦٠) نشر الماروني (ايخيلينس)مقتبسات من بعض كتبهم ترجمها بمساعدة صابئي كان قد اعتنق المسيحية وسكن روما[١] .ثم تتابعت التراجم ،ولكن غالبا ما كانت تعوزها الدقة، وابرزها ترجمة قام بها الباحث السويدي (م. نورمبيرغ) للـ "كنزا ربّا" الكتاب المقدس الرئيسي للطائفة عام (١٨١٦). وفي عام (١٨٦٧) نشر (بيترمان) ترجمة جديدة للـ" كنزا ربا "،بيد ان الترجمتين معا لم تخلوا من الاخطاء .

ثم توالت التراجم ، فترجم (ايتنغ) كتاب ترانيم الزواج المندائية " قلستا ". و نشر عالم اللغات السامية (نولدكة) كتابا عن قواعد اللغة المندائية في عام (١٨٧٥) .وجاءت الخطوة الحاسمة في ارساء الاسس العلمية الرصينة في دراسة المندائية على يد (ولهلم براندت) (Brandt)في مؤلفهِ الدين المندائي (١٨٨٩)م، و على يد ليدزبارسكي (Lidzbarski) في ترجمة واعداد طبعات نقدية لأهم كتب المندائية "دراشة اد يهيا " (١٩٠٥) والـ " كنزا ربّا " ١٩٢٥ م[٢]

ولقد نشر في اوربا بين عامي (١٩٣٠–١٩٦٠) (١٤٢) (مائة واثنان واربعون) مؤلفا في حقل الدراسات المندائية .(٦٦) منها في المانيا ،و (٢٤) في بريطانيا ،و (١٥) في فرنسا ،و (٩) في ايطاليا، و (١٦) في اسكندنافيا ،ناهيك عن بالاضافة الى مقالات وبحوث متنوعة نشرت في امريكا[٣].

ومما تجدر الاشارة اليه ،هو ان اشهر المختصين والمهتمين في هذا الحقل من الدراسات كانت السيدة (دراوور) ، ولها الكثير من المؤلفات في موضوع الصابئة،كما انها قامت بترجمة العديد من الكتب المندائية إلى اللغة الانكليزية. وتوجد الان في مكتبة بودلين في اكسفورد مجموعة السيدة (دراوور) التي تحتوي على ست وخمسين مخطوطة مندائية.ومن المختصين

---

[١] عزيز سباهي ، مصدر سابق ،ص٣٤ .

[٢] المصدر نفسه ،ص٣٥ .

[٣] ناجية مراني ، مفاهيم صابئية مندائية (تاريخ ، دين لغة) ، بغداد ١٩٨١ ، طبعة شركة التايمس ، ص٦.

بدراسة المندائية ايضا الباحث (رودولف ماكوخ) الذي اشترك مع (دراوور) في تأليف القاموس المندائي،ومن الكتب الحديثة في موضوع المندائية كتاب (كورت رودولف) الذي نشر في لايدن عام (١٩٧٨م) وعنوانه (المندائية). [١]

ومن ذلك يمكننا ان نرى ، ان الدراسات الغربية في موضوع المندائية قد انصبت في البداية على مجموعة دينية يعتقد انها فرقة مسيحية ناقصة او مارقة، اذ كانت الدراسات المبكرة منها مدفوعة بدافع التبشير ،حتى جاءت دراسات القرن التاسع عشر في المانيا بالذات لتشكل نشاطاً فلسفياً كان بمثابة مقدمة للتحول السياسي الذي حدث في النصف الثاني من القرن نفسه.

ان فلاسفة البرجوازية الراديكالية الذين عرفوا باسم الهيغليين الشباب وجهوا نقدهم نحو الدين كمدخل للنضال ضد الاقطاعية ودولتها والكنيسة التي ساندتها،وكان باكورة هذا النشاط كتاب فردريك شتراوس "حياة يسوع" ١٨٣٥م ،وقد ركز هذا التيار نشاطه على دراسة التيارات الفكرية– في العهد الذي نشأت فيه المسيحية– دراسة نقدية وبروح جديدة لا تلزم نفسها بما إلتزم به التيار الكنسي الرسمي،واتجهت الانظار نحو الغنوصية وما تركته من آثار على المسيحية الاولى، لا على اساس ما وصفت به على ايدي آباء الكنيسة، وانما على اساس الشواهد التاريخية[٢].وبالتالي فنحن نرى ان الدراسات الغربية التي تناولت المندائية كانت في البداية مدفوعة بدافع التبشير المسيحي،ثم تناولت المندائية كجزء من دراسة القرون الاولى لبدايات المسيحية الذي انصب على دراسة الغنوصية.ويمكننا ان نقول بحق ان الدراسات المندائية كانت تعاني– رغم كل شيء– من جانباً استشراقياً غير عميق او غير دقيق حتى جاءت دراسات السيدة (دراوور)–التي عاشت في العراق ما يناهز الربع قرن– فاستهوتها في البداية دراسة مخلفات الاديان القديمة في الشرق الاوسط،لكنها انصرفت بعد ذلك بكليتها لدراسة المندائية والتخصص فيها.ورغم ان السيدة (دراوور) لم تكن اكاديمية ،الا ان دراستها كانت على درجة عالية من العلمية والموضوعية وكانت قريبة جداً من المنهج الانثروبولوجي،اذ انها استخدمت طريقة الملاحظة بالمشاركة،حتى انها كانت تشارك في اداء بعض الطقوس لكيما تفهمها وتدركها ،وقد استطاعت ان تكسب ودّ افراد الطائفة ورجال الدين وتنال ثقتهم، حتى باحوا لها بالكثير من أسرارهم الدينية، بما فيها تلك التي يحجبونها عن عامة الطائفة.

ان الدراسات الاخرى التي تناولت المندائية تناولتها من جانب اصل الديانة وحاولت ربط اصولها بطوائف واديان مختلفة، وحاولت الوصول الى حسم في نقاش الاصل الشرقي او الغربي للطائفة، وعملت على فك اسرار علاقة صابئة حران بالمندائية، ومحاولة معرفة من هم صابئة

---

[١] ناجية مراني ، مصدر سابق ، ص٧.

[٢] عزيز سباهي ، مصدر سابق ، ص٣٥.

القرآن . اما دراسة المندائية دراسة انثروبولوجية فلم يتم الا على يد السيدة (دراوور)، وهي دراسة قديمة انجزت في الثلاثينات من القرن المنصرم ، ولذا فقد اصبح من الواجب جدا بحث التغير الذي طرأ على الطائفة وصار من المهم بمكان الخوض في هذا الغمار .

المبحث الثالث : موقع الصابئة من الاجناس البشرية

يذهب الكثير من الباحثين الى القول بان طائفة الصابئة المندائيين هم طائفة دينية، وليس هناك أي مؤشرات على كونها مجموعة عرقية او أقلية إثنية، وسنناقش ذلك في هذا المبحث، لنرى مدى الصواب والخطأ فيه ؟

وكما اشرنا سابقا ، فان كتب الصائبة التي تتناول تاريخ الطائفة فيها خلط كبير من الناحية التاريخية،اذ يصطف الجزء الأُسطوري الى جانب الديني الى جانب السرد التاريخي والقصصي في الكتب الدينية التي يعتقد الكثير من اساتذة المندائية ان نسخها قد تعرضت عبر التاريخ لتغييرات الناسخين.

لقد عداعتبر الباحثون ان اللغة المندائية هي فرعاً من فروع اللغة الآرامية (وهي من مجموعة اللغات السامية) ،فمن هم الآراميون؟

قبل ان يسمى الآراميون بهذا الاسم كانوا قبائل من الرحل في بادية شمال الجزيرة العربية. وكانوا– كسائر البدو من قبلهم ومن بعدهم– يهاجمون من وقت الى اخر اراضي جيرانهم النائية في بلاد بابل وسوريا بهدف امتلاكها،وقبل ان ينتصف الالف الثاني ق.م كانت هذه القبائل قد سكنت ضفاف وادي الفرات الاوسط حيث نشأت قوميتها ولغتها.ويمكن الاعتقاد بان الآرامية اتت من لهجة سامية غربية كانت مستعملة في الشمال الغربي لبلاد الرافدين في النصف الاول للالف الثاني ،ولم يكتسبوا اسمهم (الآراميين) حتى ايام (تغلات فلاسر الاول) نحو ١١٠٠ ق.م ، حين أقاموا في منطقة الفرات الاوسط حتى سوريا في الغرب . وكانت الهجمات الخاطفة في اوائل القرن السادس عشر(ق.م) على بابل وشمال سوريا هي التي فتحت الابواب كما يبدو في وجه الحركة الآرامية، واعطت القادمين الجدد من الصحراء محطاً ثابتاً في تلك المنطقة[1].

اما اللغة الآرامية –التي تعد المندائية احدى لهجاتها–فقد لعب التجار الآراميون دوراً مهماً في نشرها منذ اول عهدهم في مختلف البلدان، وتعد هذه اللغة فرعا من مجموعة اللغات السامية الشمالية الغربية.وفي نحو عام ٥٠٠ق.م اصبحت الآرامية، التي كانت اللغة التجارية لاحدى الجماعات السورية هي اللغة العامة للتجارة والحضارة والحكومة في بلاد الهلال الخصيب كلها ،بل وتعدت ذلك لتصبح اللغة التي يستعملها سكان تلك البلاد في كلامهم،واصبحت لغة المسيح وشعبه. ومن الجدير بالذكر ان اقدم لقية اثرية مكتوبة بالآرامية وجدت مخطوطة بحروف لاتينية مشوهة على جدار مسكن ربما كان مكانا للعبادة في بومبي ويعتقد ان تأريخها يعود الى ماقبل عام ٧٩م.

---

[1] فيليب حتى ، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، ترجمة د.جورج حداد ، عبد المنعم رافق،مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، دار الثقافة بيروت ١٩٥٨، ص١٧٤ وما بعدها.

ان من اهم المصادر الصابئية –التي تروي القليل عن حياتهم– ما وجد في كتاب "كنزا ربا". وقد ذكر فيه انهم خروجوا مع قوم فرعون "برخ ملكا" وتعقبوا اليهود الفارّين مع موسى،اذ غرق قسم منهم في البحر، وسافرالناجون منهم شمالاً وسكنوا اعالي "فرات زيوا" (الفرات النوراني). وفي كتاب اخر من الكتب المندائية الدينية وهو "ديوان حرّان كويثه" ،نقرأ تعرض المندائيين الى اضطهاد يهودي، حين كان المندائيون يسكنون القدس وتعرضوا لمجازر من قبل اليهود ،مما دفعهم الى الهجرة نحو الشمال حيث التحقوا باخوان لهم يسكنون جبال ميديا "طور اد ميديا". وفي حرّان تحديداً استقروا ،وكان ذلك قبل المسيح بحوالي قرن او اكثر بقليل. ثم يعود كتاب "حران كويثه" فيذكر شيئاً عن ميلاد يحيى (ع)، واخذ الطفل وارساله الى الشمال ،ومن ثم عودته بعد ان بلغ الحادية والعشرين الى اورشليم بصحبة احد الملائكة "أنش اثرا " الذي رعاه من الاعتداءآت اليهودية ، ثم يذكر بعد وفاة يحيى بحوالي سبعين سنة ان اليهود اعادوا عداءهم للباقين من الصابئة المندائين ،وهاجموهم مهاجمة قاسية،فهجر الصابئة على اثرها اورشليم والتقوا باخوانهم في الشمال والشرق[1].وسكنوا بغداد حيث كانت هناك قرية تعرف بهذا الاسم قبل بناء مدينة بغداد كما يذكر في بعض كتب الصابئة ،كما سكنوا في ارض ميسان و"كرة سيانه " أي نهر الكرخة في الاحواز حتى شيشتر ودسبول في ايران، وكان ذلك في حوالي القرن الثاني الميلادي.

واذا اردنا ان نحدد المواصفات الجسدية للطائفة، فأن دراسة (هنري فيلد) هي المرجع في ذلك. ففي اوائل الحكم الوطني في العراق استدعت الحكومة العراقية خبيراً في الانثروبولوجيا هو الاستاذ (هنري فيلد) لدراسة اجناس سكان العراق على اختلاف اديانهم واصولهم ومواطنهم من الشمال الى الجنوب، وقد تناول من جملة ما تناول بالبحث ابناء طائفة الصابئة.كذلك وصفتهم استاذة المندائية الليدي دراوورالتي عاشت بينهم على مدى ربع قرن ،فوصفت الطبقة العليا بأنها تتمتع بصفات مختلفة ومتميزة عن عامة الصابئة ،وقد عنت بـ(الطبقة العليا) اولئك الصابئيين الذين انحدروا من اسر كهنوتية تتشدد كثيراً في نقاوة النسب، وتبحث عن السلامة التامة عند الزواج. وقد قسمت الاسر الكهنوتية الى نوعين متميزين ،الاول قوي اسمر اللون ذو عيون سود،والاخر طويل ابيض البشرة او برونزيها قليلاً ، بنسبة من العيون الزرق المائلة الى السواد تبلغ ثلاثة في كل اثنتي عشرة.اما الصابئون الفقراء سكان الاهوار في العراق وفي جنوب ايران ،

[1] غضبان رومي (مندائي) ،الصابئة، مطبعة الامة بغداد،١٩٨٣م ،ص١٦-١٧.

فهم اقتم بشرة و أضأل أجساماً من الفئة الكهنوتية– ذات الاجسام السليمة بصورة عامة–وعلى العموم فأن القوة والجمال والانف الكبير الطويل الاقنى هي السمات المميزة للفرد المندائي[1].

اما (هنري فيلد) فيقول،ان لون البشرة يتراوح من الوسط الفاتح (اوربا الشمالية) الى الاسمر النحاسي، وعلى وجه العموم ،فان الصابئة اكشف او افتح لوناً من سكان اواسط وجنوب العراق .وهناك عدد من الصابئة قد تأثر لون بشرتهم بالمناخ وباتوا يشبهون سكان الاهوار المجاورين لهم.ويتميز شعرهم عن غيرهم بلونه الاسود الفاحم الى البني،ويمتلك الفرد الصابئي شعراً خفيفاً ومن النادر ان تشاهد بينهم شعراً رمادياً قبل الاربعين ،كما ان (فيلد) لاحظ انهم يحتفظون بلحى مرسلة نتيجة لتقاليد دينية، كما اتسم قسم منهم بلحى حمراء.

اما عيونهم فتكونعتبر غامرةً شهلاً، كما ان عيون بعضهم سود غير غامقة، وبينهم عدد بعيون زرق او خضر، وعلى العموم ،فالعيون الصابئية جميلة وممتازة، وذلك يعود لكثرة تناولهم الاسماك،وقد شاهد(فيلد) بينهم جماعة من البصيرين والعور ،وقد اعتقد ان سبب ذلك يعود الى طبيعة مهنهم اليدوية ولاسيماعلى الاخص الصياغة.

اما فيما يخص الأنف فكان حوالي ٣٠% منهم اصحاب انوف محدودبة وهذه الصفة تنتشر بمقياس واسع بين اجناس سكان جنوب غرب اسيا،وقد لاحظ ايضاً جنسين مختلفين من الانوف،فقد امتلك قسم قليل منهم انوفاً مستقيمة رفيعة المؤخرة،وحوالي ١٠% منهم امتلك انوفا مفلطحة، مع العلم بانهم ليسوا زنوجاً.ومع هذا فان السائد بينهم انهم يمتلكون انوفاً كبيرة مستقيمة عند الكبر.

اما شكل الفم والاسنان؛ فأن الشفاه طبيعية المقلب ،وتشبه اسنانهم الى حد بعيد الاسنان الاوربية في انطباقها. وعلى العموم فان اسنانهم جميلة وبحالة جيدة.

وقد لاحظ (هنري فيلد) ان صحة معظمهم جيدة وذلك بحسبوفقا الالتقارير المستحصلة من الدوائر الصحية .اما الامراض التي يتعرضون اليها، فتنحصر الى حد كبير بالجدري وحبة بغداد وحب الشباب وامراض الديدان المعوية وغيرها من الامراض التي تنتشر في العراق.

والنساء الصابئيات يمتلكن هيئات اكثر جمالا من جاراتهن، وبعض الفتيات جذّابات وجميلات في اشكالهن.وتتميز المرأة المندائية عموما بشعر اسود فاحم مع تموجات قليلة ،وعيون

---

[1] الليدي دراوور ، الصابئة المندائيون ،ترجمة نعيم بدوي ، غضبان رومي ،الطبعة الثانية،مطبعة الديوان، بغداد،١٩٨٧م ،ص٤٠.

شهل وانف مستقيم او محدودب، وثمة كثيرات منهن بحالة جيدة وجميلة. كما انهن متوسطات الطول ،وهناك قصر في ارجلهن مع ضيق في جباههن ،الا ان رؤوسهن عريضة[1].

من ذلك نستطيع القول: بما ان التبشير في الدين المندائي غير موجود منذ اكثر من الف وخمسمائة سنة ،وان الفرد المندائي يجب ان يكون من والدين مندائيين، لذلك فأن الصفات الجسدية تكون مغلقة ضمن الطائفة المنغلقة على نفسها وبالتالي تكون هذه الاقلية اقلية (عرقية–دينية).

منسّق:متوسط

[1] كل المعلومات المتعلقة بتقرير د.(هنري فيلد) اخذناها من كتاب غضبان رومي ،الصابئة مطبعة الامة، بغداد ،١٩٨٣ ،ص٤١–٤٢.

منسّق:الخط: ٣٦ نقطة، خط اللغة العربية وغيرها: ٣٦ نقطة، ٢d U_E ksaN SCM..

الباب الثاني

منسّق:الخط: ٤٨ نقطة، غامق، خط اللغة العربية وغيرها: ٤٨ نقطة، غامق، U_S habyaT SCM ..normal

منسّق:الخط: ٤٨ نقطة، غامق، خط اللغة العربية وغيرها: ٤٨ نقطة، غامق، U_S habyaT SCM ..normal

منسّق:الخط: ٤٨ نقطة، غامق، خط اللغة العربية وغيرها: ٤٨ نقطة، غامق، U_S habyaT SCM ..normal

الجانب الميداني

الفصل الرابـع

مجالات البحث والواقع الايكولوجي والبشري

المبحث الاول: المجال المكاني والزماني

١. المجال المكاني

٢. المجال الزماني

المبحث الثاني: المواقع والايكولوجيا

١. الاهوار

٢. المدن العراقية الكبرى (بغداد، البصرة)

٣. دول العالم المختلفة

منسّق: المسافة البادئة: السطر الأول: 36.1 سم، بعد: 0 سم، تعداد رقمي + المستوى: ١ + نمط الترقيم: 1، 2، 3، ... + بدء الترقيم بـ: ١ + المحاذاة: أيسر + محاذاة عند: 56.1 سم + علامة جدولة بعد: 25.2 سم + مسافة بادئة: 25.2 سم

منسّق: المسافة البادئة: السطر الأول: 36.1 سم، بعد: -52.1 سم، تعداد رقمي + المستوى: ١ + نمط الترقيم: 1، 2، 3، ... + بدء الترقيم بـ: ١ + المحاذاة: أيسر + محاذاة عند: 56.1 سم + علامة جدولة بعد: 25.2 سم + مسافة بادئة: 25.2 سم

المبحث الثالث: الواقع السكاني والملامح البشرية

المبحث الاول: المجال المكا ني والزما ني

لابد لنا في بداية هذا الباب من الاشارة الى الوسائل المستخدمة في هذا البحث فضلا عن ~~بالاضافة الى~~ مجالات البحث.

وسائل البحث :لقد استخدمت في هذا البحث مجموعة من وسائل جمع المعلومات يمكن ايجازها بما يلي:

١.**الملاحظة المباشرة** :وقد اعتمدتها في ملاحظة الطقوس الدينية والاحتفالات والمناسبات الاجتماعية (مثل مراسيم الاعياد او الاعراس اومجالس العزاء ...الخ)، وذلك بقصد التعرف عن كثب على ماهية السلوك الاجتماعي لافراد الطائفة .

٢.**المقابلات** :وقد اعتمدت صيغة المقابلات غير الرسمية مع عدد كبير من افراد الطائفة (مثل رجال الدين او القائمين على لجان شؤون الطائفة ...الخ)،وقد استطعت من خلال ذلك التزود بالكثير من المعلومات التي كانت تعوزني ،فثمة زوايا من السلوك المخفي الذي لايمكن التعرف عليه من خلال الملاحظة المباشرة ،ومثال ذلك واقع المرأة المندائية اليوم ،اذ قمت بمقابلة عدد من النساء الصابئيات (المتعلمات خصوصا) وسألتهن عن الكثير مما يخص هذا الامر .

٣.**المخبرون** :لقد اعتمدت على عدد منهم لتزويدي بالمعلومات المطلوبة ،وقد اخترت لهذا الامر عددا من الاصدقاء من ابناء الطائفة الذين تربطني بهم علاقات مودة واحترام، ويمتازون عن سواهم بأنهم مثقفون دينيا "يلوفا"، فأستفدت بالكثير من معلوماتهم فيما استعصى علي فهمه من الملاحظة المباشرة او المقابلات او قراءة الكتب الدينية .

٤.**دراسة الكتب الدينية والادبيات المندائية:** لقد قمت بالاطلاع الواسع والمعمق على الكتب الدينية المندائية ،التي –لحسن الحظ –تمت ترجمة معظمها الى اللغة العربية ،كما واطلعت على اكثر الدراسات والبحوث التي كتبت عن الطائفة من قبل ابناء الطائفة او من خارجها. كما وكنت دائم الاطلاع على دوريات ومطبوعات الطائفة ومواقع شبكة المعلومات (الانترنت)الخاصة بالطائفة للوقوف على احدث التطورات في الشأن المندائي .

اما مجالات البحث فهي :

١–المجال البشري:

ان الثقل البشري للوجود المندائي يتركز في ايران والعراق، ورغم ان كثافة وجود الطائفة في ايران اكبر منها في العراق، الا ان العراق يعد الموطن الاساس للطائفة.

ففي ايران يوجد اكثر من ثلاثين الف نسمة من المندائيين حسب بعض الباحثين[١] ،رغم عدم وجود احصاء دقيق لعدد نفوس الطائفة. ويجب ان نوضح ان هذا التواجد الكثيف هو في مدن الاحواز والمحمرة و عبادان والبسيتين والجزيرة والخفاجية والفلاحية [٢] ،الا انهم بقوا منغلقين ولم يشتركوا في البرلمان الايراني كحال بقية الاقليات الدينية الايرانية مثل اليهود والزرادشتيين والارمن.

بينما ياتي في المرتبة الثانية من حيث الكثافة السكانية، وجود الطائفة في العراق، اذ كان تواجدهم محصوراً في الجنوب في مناطق الاهوار والانهار ذات الوفرة المائية الجارية،مثل الناصرية والعمارة وسوق الشيوخ وقلعة صالح . ولكن بعد تاسيس الدولة العراقية الحديثة عام ١٩٢١، ومع شيوع التسامح وتدوين حقوق الاقليات في الدستور العراقي، اخذ ابناء الطائفة ينتقلون الى المدن الكبرى مثل بغداد والبصرة للدراسة والعمل، ثم مالبثت ان حدثت هجرات كبيرة الى المدن الكبرى لما فيها من عناصر جذب لافراد يجيدون المهن اليدوية والحرفية، ولأبنائهم المتعلمين في المدارس الحديثة لامكانية حصولهم على وظائف حكومية. ان جو المدن الكبرى بما فيه من هامش تسامح وامكانية حياة افضل لابناء الطائفة غيّر من توزيعهم الديموغرافي.

و في منتصف القرن العشرين تقريبا،ومع انتقال الشيخ دخيل الشيخ عيدان الى بغداد– وقد كان بدرجة "كنزبرة" وكان رأس الطائفة– [٣]، اصبحت الكثافة السكانية للطائفة تتمثل في بغداد، بالاضافة الى تجمعات صغيرة في المدن الاخرى.

وبذلك يكون المجال المكاني الرئيسي لبحثنا هو مدينة بغداد، لان فيها التجمع الاكبر لابناء الطائفة في العراق، وفيها رئاسة الطائفة الروحية في "المندي" (المعبد) الرئيسي لها في بغداد على ضفة نهر دجلة في منطقة القادسية. كما ان فيها المجالس التي تدير شؤون الطائفة، مثل مجلس العموم للعوائل المندائية ومجلس الشؤون والمجلس الروحاني، وتصدر فيها اهم المطبوعات المندائية، وقد تعاملت مع وجود الطائفة في مدن العراق الاخرى بمشاهدة مجتمعاتها وزيارة معابدها المندائية في مدن الجنوب، وكذلك من خلال اللقاءات مع اعضاء في مجالس شؤون الطائفة الفرعية في المحافظات عند قدومهم الى مقر رئاسة الطائفة في بغداد.

كما ويجب ان اشير الى اطلاعي على بعض شؤون جاليات الطائفة في بلدان العالم المختلفة من خلال مواقعهم على الانترنيت[١]، اذ تُنشر فيها متابعات شؤون الافراد في الدول

---

[١] صباح الموسوي، صابئة الاحواز (المندائيون) بين اضطهادين، مقال منشور في موقع اتحاد الجمعيات المندائية في المهجر www.mandaeanumion.org ، بتاريخ ٢٠٠٥/٢/٨.

[٢] سليم برنجي، الصابئة المندائيون، ترجمه عن الفارسية جابر احمد، دار كنوز ادبية، بيروت،ط ١ ١٩٩٧ ،ص٢٩، وكذلك المقال السابق المشار اليه.

[٣] رشيد الخيون، في مقدمته لكتاب مندائي لعبد الحميد عبادة، مصدر سابق،ص٢٨، حيث هاجر الشيخ دخيل الى بغداد في عام ١٩٥٧.

المختلفة كما وتُنشر المقالات والدراسات والمتابعات والتغطية للانشطة و الجمعيات المندائية التي تقام في المهجر. ورغم ان دراستي مخصصة بالاساس لدراسة الطائفة في العراق، الا ان ارتباطها مع ابنائها في المهجر والتاثير المتبادل بين ابناء الطائفة في العراق وفي المهجر، يدفعنا الى دراستهم هناك ولو بعجالة، اذ ان التغيير الاجتماعي وتحديات الحفاظ على الهوية الدينية في المهجر اكبر منها في الوطن،كما سنرى في الفصول القادمة.

٢. المجال الزماني:

ان اهتمامي بالطائفة المندائية في العراق قديم، وربما يعود ذلك الى بعض الاصدقاء من ابناء الطائفة ومحاولتي االتعرف عليهم بشكل افضل. ولكن الاهتمام البحثي الحقيقي يعود الى عام (٢٠٠١) ،عندما اخترت موضوع (الصائبة المندائية؛ دراسة انثروبولوجية) لبحث التخرج كجزء من متطلبات نيل درجة البكالوريوس في قسم الاجتماع في كلية الاداب – جامعة بغداد، وكان المشرف على البحث الاستاذ الدكتور خالد فرج الجابري. وقد التقيت في مدةفترة اعداد البحث، بشيوخ ورئيس الطائفة، وشاهدت الطقوس ودرست الكتب الدينية لهم، وكان الكثير من ابناء الطائفة الذين قدموا لي العون يقولون، ان هذا الموضوع اكبر من بحث تخرج وربما تستطيع العمل عليه في رسالة جامعية لنيل درجة الماجستير مثلاً، وكان هذا رأي استاذي المشرف الفاضل ايضاً.

منذ ذلك يمكنني القول ان الملاحظة بالمشاركة والاطلاع على الادب المندائي ومحاولة تطبيق مناهج البحث استمرت معي لمدةفترة تزيد على السنتين، الا ان المدةفترة الرسمية لاعداد هذه الرسالة كانت تزيد على (سنة) بعد اكمال الفصول الدراسية النظرية، اذتم تسجيل الموضوع لنيل درجة الماجستير في شهر تشرين الاول من عام (٢٠٠٣)، واعتقد ان مجال البحث سيستمر الى نيسان من عام (٢٠٠٥)[٢]. وهو موعد الانتهاء من كتابة الرسالةان شاء الله.

المبحث الثاني: المواقع والايكولوجيا

---

[١] هناك اكثر من ست مواقع رئيسية للطائفة ربما من اهمها الموقع الرسمي للطائفة ويديره مركز البحوث والدراسات في بغداد، اما في الخارج فموقع اتحاد الجمعيات المندائية في المهجريعد من اهم المواقع.

[٢] حدثت اضطرابات سقوط النظام السابق، والحرب التي شنت على العراق كل ذلك دفع الجامعة الى تمديد فترة كتابة الرسالة بسبب الظروف غير الطبيعية التي نعيشها.

اذا اردنا فهم واقع حياة طائفة الصابئة المندائيين والتغيرات التي طرأت عليها،فلابد لنا ان نبحث مواقع الطائفة قديماً وحديثاً. ولابد لنا من دراسة العلاقة بين الانساق الاجتماعية والثقافية لحياتهم، وعلاقة ذلك بالبيئة التي عاشوا فيها لآلاف السنين، وهي بيئة مدن ضفاف الاهوار، انتقلوا بعدها الى مدن العراق الكبرى، ثم انتقل قسم منهم الى المهاجر.

ان العلاقة بين البناء الاجتماعي والبيئة المحيطة بالمجتمع هي ما يطلق عليه الايكولوجيا البشرية(Human Ecology) .و كلمة ايكولوجيا مشتقة من الكلمة اللاتينية (Okologie) التي تعني البيت بما فيه او الملجأ، ويمكن ان نرى ان الكلمة لا تدل فقط على السكن في البيت او الملجأ، بل تتعدى ذلك الى الاشخاص المقيمين فيه ونشاطاتهم اليومية التي يقومون بها من اجل العيش[١].

ويمكن ان نجد ان اولى الاشارات الى مضمون مصطلح الايكولوجيا موجودة في كتابات داروين[٢] .وفي نهاية القرن التاسع عشر –تحديداً في عام ١٨٦٩– استعمل عالم الاحياء الالماني ارنست هيكل (ARNST HAECKEL) هذا المصطلح للاشارة الى العلاقات المتبادلة بين النباتات والحيوانات التي توجد معاً في بيئة طبيعية[٣].

ويعتبر بعض الباحثين ان الايكولوجيا البشرية هي في حقيقة الامر احياء للحتمية البيولوجية التي ظهرت في اواخر القرن التاسع عشر في الداروينية الاجتماعية. ومع ذلك يجب التمييز بين موقف الداروينية الاجتماعية والمدرسة الايكولوجية، فقد حاولت الثانية ربط الايكولوجيا بالاتجاهات البيولوجية والجغرافيّة، وذلك من خلال الكشف عن الارتباط بين الاساس البيولوجي للظواهر الاجتماعية والبيئة الجغرافية. ومن ذلك نجد ان مدرسة الايكولوجيا البشرية طورت مفاهيم اساسية اهمها: الموطن والتدرّج والتكافل (او المعيشة معاً) والمنافسة والغزو والتتابع. ولقد ظهرت فكرة تطبيق الاتجاه الايكولوجي ومفاهيمه على العلاقات الانسانية لاول مرة في اوائل القرن العشرين، وبخاصة في مؤلف تشارلز غالبن (Galpin) المعنون (التشريح الاجتماعي لمجتمع ريفي (Social Anatomy of an Agrarian Community). عام ١٩١٥[٤] ،وبالرغم من ان غالبن لم يستخدم مصطلح الايكولوجيا ،الا انه جمع بيانات عن اسر تعيش في مقاطعة ريفية في ولاية ويسكنسن (Wisconsin) ،ويعد هذا البحث رائداً في استخدام الخرائط

---

[1]kuper, Adam & Kuper Jassica,: Editars,The Social Science Encyclopedia, Routledge & Kegan Paul, London, Boston and Henley, first publish, 1985, P.P.218-219.

.[2]Lib.P219

[٣] احمد ابو زيد، البناء الاجتماعي، الجزء الثاني الانساق،مصدر سابق، ص١١.

[٤] نيقولا تيماشيف ،ترجمة محمود عودة واخرون ،نظرية علم الاجتماع ،طبيعتها وتطورها ،دار المعارف ،الطبعة الثامنه ،القاهرة ١٩٨٣ ،ص٣١٤ وما بعدها

لأماكن حياة الناس واماكن التسوق والبنوك ...الخ ،الامر الذي اصبح شائعاً بعد ذلك في البحوث الايكولوجية .

وقد تحولت جامعة شيكاغو في الربع الثاني من القرن العشرين الى مركز لما اطلق عليه المدرسة الايكولوجية في علم الاجتماع وذلك على يد بارك وبيرجس. فقد استخدم هذان العالمان هذا المصطلح وطبقاه في كتابهما المشترك (مقدمة في علم الاجتماع ،١٩٢١) (An Introduction to the sience of Sociology)

وقد تطورت دراسات الايكولوجيا بعد ذلك،ورغم انها ولدت في حضن علم الاجتماع الحضري في جامعة شيكاغو ،الا انها انتقلت الى الدراسات الانثروبولوجية عن طريق استخدام الباحثين لمفهوم الايكولوجيا في دراسات علم الاجتماع الريفي. ويعد اهم من استخدم النسق الايكولوجي العالم الامريكي (ريدفليد) الذي كان طالباً في جامعة شيكاغو وتأثر باساتذته، ثم طبق هذا المنهج على دراساته الميدانية .

الا ان (ريدفيلد) تعامل مع النسق الايكولوجي بطريقة مختلفة ،اذ لم يعدهتبره جزءاً من البناء الاجتماعي،وانما عدهاعتبره نسقا مستقلا خارج البناء الاجتماعي،وثمة تفاعل بينه وبين بقية انساق البناء الاجتماعي ،و هذه العلاقة تتضح اكثر كلما كان المجتمع بدائياً او غير متطور تكنولوجيا ،وتقل وضوحاً كلما تطور المجتمع تكنولوجياً [١] .

كما و تعدعتبر دراسة العالم الفرنسي مارسيل موس(Muss) (التغيرات الفصلية عند الاسكيمو) اول واهم الدراسات العميقة التي تعرضت لمشكلة العلاقة بين العوامل الايكولوجية والاجتماعية في حياة الشعوب التقليدية، ولاسيماخاصة في الحياة القبلية ، ففي هذه الدراسة – التي كان لها تأثير قوي ومباشر في توجيه عدد كبير من الدراسات التي قام بها فيما بعد علماء الاجتماع المقارن وعلماء الانثروبولوجيا الاجتماعية – حاول موس ان يحلل عناصر التنظيم الاجتماعي عند الاسكيمو في ضوء الظروف والعوامل الطبيعية والبيئية من ناحية، والحياة الاقتصادية السائدة هناك من ناحية اخرى . ولاشك في ان ايفانز – بريجارد كان متأثراً الى حد كبير بمقال موس حينما تعرض لدراسة النسق الايكولوجي عند النوير.وبصورة عامة ،فأننا يمكن ان نعتبر ان الايكولوجيا هي ذلك التفاعل القائم بين الكائن وبيئته ونتائج ذلك التفاعل.

اما في حالة دراسة البيئة التي يعيش فيها المندائيون في العراق وعلاقتهم بهذه البيئة فأننا تحتاج الى توضيح ،فنحن نجد ان ثمة علاقة قوية واضحة بل تكاد تكون ملزمة بين البيئة وبين افراد الطائفة في قربهم من مجاري المياه ،(اذ ان افراد الطائفة كانوا وعلى مدى قرون يعيشون في مناطق وفيرة المياه، هي جنوب دلتا دجلة والفرات حيث مجاري المياه الكثيرة والوفيرة لان توفر المياه شرط واجب للكثير من طقوسهم الدينية)،ومع ذلك فان بعض العوامل الايكولوجية

---

[١] د. علاء الدين جاسم البياتي ،علم الاجتماع بين النظرية والتطبيق ،دار التربية بغداد ،١٩٧٥ ص٧٨

تقف دون ان تؤثرعلى البناء الاجتماعي للطائفة .فمثلاً نجد ان المحيط السكاني الذي يحيط بأبناء الطائفة في الجنوب مبنيي على اسس قبلية صارمة وعنيفة ،ونجد ان المسلمين- مجاوري ابناء الطائفة- يعملون في زراعة المحاصيل الاستراتيجية ،(الحبوب؛ مثل الحنطة والشعير والرز) ،وبالاضافة الى ذلك فانهم يمارسون الصيد (صيد الطيور وصيد السمك) ،وكذلك تربية الحيوانات (مثل الجاموس و الابقار و الاغنام) ،ومع هذا فمن النادر مثلاً ان نجد صابئياً مندائياً يشتغل في هذه المهن. و رغم ان الظروف الايكولوجية كلها تدفع بهذا الاتجاه ،الا ان هناك عناصر اخرى في المعادلة ؛فالزراعة مثلا غير ملائمة لهم ،وعندما سألت كبار السن والشيوخ منهم عن سبب عزوف ابائهم عن الزراعة قالوا؛ ان الزراعة في جنوب العراق تعتمد على السقي سيحاً ،وان اغلب النزاعات العشائرية كانت تنشب بسبب حصص السقي، وبما اننا طائفة صغيرة ومسالمة وضعيفة فاننا لانستطيع ان نمارس الزراعة، رغم ان بعض الافراد كانوا يزرعون بشكل محدود مساحات صغيرة اقرب ما تكون الى حدائق الخضروات لاستهلاكهم. وكذلك الامربالنسبة لتربية الحيوانات فانهم لايملكون القوة اللازمة للدفاع عن (حلالهم) في حالات الغارات القبلية عليهم ،وهي كثيرة في تلك الاوقات. وعندما سألت شيخاً -كان احد مصادر معلوماتي في هذا الموضوع- :الم يربي المندائيون حيواناتٍ ابداً ؟ اجابني :بلى ، لقد كانوا يربون الدواجن لاستهلاكهم، وعندما كانوا يربون ابقاراً مثلاً كانوا يسعون الى تأمينها لدى احد المسلمين من مجاوريهم، اذ يتعهد بالعناية بها ورعيها وحمايتها،وعندما تلد البقرة فان له نصيب من المواليد ،او ان العملية تتم بالاتفاق على اجر محدد،وعندما سألت محدثي ما اذا كان افراد الطائفة يتعرضون لعمليات نصب او(اكل) لحقوقهم ،اجابني ضاحكاً: طبعاً وكان آباؤنا يعلمون بذلك لكنهم كانوا في الغالب مستضعفين . وروى لي حكاية حدثت قبل ستين عاماً مع والده، اذ امن بقرة حاملاً لدى جاره المسلم وهو ينتظر ولادتها للاستفادة من العجل ومن حليبها ،ومر الوقت وولدت البقرة ،وقام جاره ببيع العجل الى القصاب واخذ جلده وحشاه قشاً ووضعه قرب الام لتبقى البقرة تدر الحليب ،ووالد محدثي ينتظر ويسأل عن الاخبار الا ان الجار ابلغه في النهاية مع اغلظ الايمان ان العجل قد مات ،كان يروي لي هذه الحكاية وهو يضحك!!

لقد كان افراد الطائفة يعانون من تمييزاً اجتماعياً ضدهم ، الا انهم حصلوا لأنفسهم على مكانة مهمة في ذلك المجتمع لكونهم حرفيين ممتازين،فكانوا يصنعون كل ما يحتاج اليه المجتمع البسيط من ادوات عبر اجادتهم لأعمال الحدادة والنجارة وصناعة القوارب،وبذلك لم يكن من السهولة الاستغناء عنهم لحاجة المجتمع البسيط لمهاراتهم ومنتجاتهم .

وبذلك يمكن ان نرى ان التصنيف الذي وضعه د. شاكر مصطفى سليم في التراتب الاجتماعي لقرية الجبايش ونستعمله كمقياس، نجد ان الطبقات الاجتماعية التي وضعها في النسق الاقتصادي جعلت الحرفيين يكونون الطبقة الوسطى بالضبط بين طبقتين من الاثرياء فوقها وطبقتين من الفقراء تحتها[1] ، وهذا يعطي مؤشراً على ان الصابئة، وهم جزء من هذه

(1) د. شاكر مصطفى سليم ،الجبايش ،دراسة انثروبولوجية لقرية في اهوار العراق مطبعة الرابطة بغداد،١٩٥٧ ص٤١١ وما بعدها

الطبقة، هم طبقة وسطى اقتصادياً ،مرفوضة و مضهدة اجتماعياً ،الا انها تتمتع بنوع من الاستقلال او هامش من التسامح تمارس فيه طقوسها،وهذا ما كان يهم افرادها .وسنرى لاحقا تفاصيل التفاعل الايكولوجي في المناطق القديمة والجديدة ،اي بعد انتقال العديد من افراد الطائفة الى المدن الكبرى او الى المهاجر.

١ .الاهوار:

تعدتبر الاهوار احدى اقدم وابرز واوضح البيئات الايكولوجية التي ارتبط وجود الصابئة المندائيين بها. فما هي الاهوار ؟ واين تقع ؟ وما هو ارتباط المندائيين بها ؟

ان الاهوار هي مناطق منخفضة من اراضي السهل الرسوبي، يغمرها الماء بعمق متفاوت بين العميق والضحل ،فمنها مايبقى مغموراً بالماء طوال السنة ومنها ما يجف كله او بعضه في فصل الصيف . ويعتقد الجغرافيون والجيولوجيون ان الاهوار توجد عادة في المناطق الدلتاويةعند مصبات الانهار في البحار[١]. وتفسر اسباب وجودها، ان مثل هذه المناطق تكون حديثة التكوين ولم يكتمل تشكّلها وملؤها بالرواسب التي تنقلها الانهار سنويا، وكذلك يعزي البعض الاسباب الى تأثيرات المد والجزر البحري القريب منها .

ويمكن ان تحدد الاهوار في جنوب العراق بثلاثة خطوط رئيسية :

١. مستنقعات شمال السهل الرسوبي العراقي، وتشمل بحيرة شاري الى الشرق من دجلة بين العظيم وديالى، ثم هور عكركوف (الذي جف منذ زمن) بين النهرين الى الغرب من بغداد، وبحيرة الحبانية الى الغرب من الفرات .
٢. اما الخط الثاني فيضم هور الشويجة الى الشرق من دجلة،وهور دلمج وهور عفك بين دجلة والفرات، ثم اهوار الفرات الاوسط بين الحلة والحافة الصحراوية.
٣. اما الخط الثالث فيشمل هور الحمّار وهور الحويزة[٢] .

وقد كانت هذه الاهوار تغطي مساحة تقدر بـ (٢٠٠٠٠)كم^{٢} .

ان ارتباط المندائيين بالأهوار ارتباط تاريخي ووجودهم مقترن به ،ولم يذكر احد الاهوار الا وجاء ذكر الصابئة المندائيين متزامناً مع ذلك منذ اقدم العصور .ففي كتاب "حران كوثية" او حران الداخلية ،الذي سبقت الاشارة إليه، تروى قصة رحلة تاريخية اسطورية لاسلاف المندائيين من منطقة اورشليم وشرق الاردن الى جبال ميديا ثم الى مناطق جنوب العراق . وقد ورد ذكر هذه المناطق اذ جاء في الكتاب **(ارسل ادوناي زوجته، شوربيش الروها، ارسلها الى**

منسّق:بعد: 0 سم، تعداد رقمي + المستوى: ١ + نمط الترقيم: 1، 2، 3، ... + بدء الترقيم بـ: ١ + المحاذاة: أيسر + محاذاة عند: 0 سم + علامة جدولة بعد: 77.0 سم + مسافة بادئة: 77.0 سم

(١) فلانين ،الحاج ريكان او عرب الاهوار ،ترجمة د. جميل سعيد ،د.ابراهيم شريف بغداد ،١٩٦٦ ص١٩

(٢) د. محمد رشيد الفيل ،الصحين دراسة انثروبولوجيه ،بغداد ١٩٦٦ ص٧

مدينة الطيب التي تعني مدينة الرسول او الشاهد اشكندا وتدعى الطيب لان كل من كان يعمل في مملكة بغداد لابد ان يرسل الى مدينة الطيب لغرض الدراسة وتلقي المعرفة والعلم، لان هذه المدينة تحتضن مجموعة كبيرة من الناصورائيين بدرجة ريشمي)[1].

ان اشارات تواجد المندائيين في منطقة الاهوار قديم، فقد اشار الى ذلك ابن النديم في كتابه الفهرست، اذ قال: المغتسلة هؤلاء كثيرون بنواحي البطائح (الاهوار)، وهم صابة البطائح، يقولون بالاغتسال ويغسلون جميع ما يأكلون[2].

والاهوار، بمدنها التي تنتشرعلى حوافها وبقراها الواقعة في عمقها ، وبما تحويه من غابات القصب والبردي وما تحويه من وفرة غذائية حيوانية ونباتية، بكل ذلك كانت تمثل بيئة مثالية لمن يريد ان يهرب او يختفي من الاضطهاد. وهذا هو حال المندائيين لمئات السنين،اذ كانوا يعيشون في بيئة وفيرة المياه وهذا شرط ديني اساسي لحياتهم، وهذه–كما اشرنا بيئة مثالية–تمنع مضطهديهم ممن يختلفون معهم من الوصول إليهم، وهذه نقطة مهمة، اذ مرت الطوائف الدينية في العراق على مر التاريخ بنزاعات واضطهاد للمخالفين، واعتقد ان بقاء طائفة المندائيين الى اليوم كان احد اهم اسبابه هو انزواءهم واختفاءهم في الاهوار.

ان حياة المندائيين في الاهوار في العصرالحديث تتسم بصفات يجب الاشارة إليها. فنجد انهم اولا يقيمون في مدن الاهوار من اقضية او نواح او حتى قرى، لكنهم لا يقيمون اقامة دائمية في عمق الهور كما هو الحال مع بعض العشائر العربية، وانما يقيمون في عمق الهور لازمانفترات مؤقتة ينفّذون فيها الاعمال التي يريدون القيام بها مثل النجارة او الحدادة او الصياغة، بحكم كونهم حرفيين على الاغلب.

والنقطة الثانية انهم لم يعيشوا في احياء مغلقة (غيتو) على الرغم من وجود بعض المحلات الخاصة بهم مثل محلة (المركب) وهي محلة الصابئة في سوق الشيوخ . وتقع (المركب) في سوق الشيوخ على الضفة الشرقية من نهر الفرات ،على شريط من الارض يزيد على الكيلو متر بعرض لايزيد عن اربعمائه متر،وتمتد من جدول (كرمة الصبة) من جهة الشمال الى سوق الشيوخ،اذ يوجد هناك مرسى للزوارق يسمى العبرة تستخدم للوصول الى المدينة (الولاية) حيث توجد المحلات والاسواق والدوائر الحكومية .

وقد حدثني مخبري الذي عاش في الاربعينات في ناحية (الطويل) التي تسمى الان ناحية (السلام)،ان الاحياء كانت مختلطة ،لكن يمكنك ان تميز منازل الصابئة ،فقد كانت مرتبة و معتنى بها؛فالارض مبلطة بالقار وهو مادة متوفرة لديهم يستخدمونها في طلاء الزوارق ،كما ان

---

[1] ديوان حران كويثة (حران الداخلية)، اعداد لؤي زهرون حبيب ترجمة امين فعيل حطاب، بغداد ٢٠٠٣، ص١٢.

[2] ابن النديم، الفهرست، مصدر سابق، ص٤٧٧.

البيوت مبنية من طين بدل القصب الا انها كانت في بعض الاحيان مبنية من القصب ايضا ولكنها كانت مفروشة ومبلطة الارضية ومعتنى بنظافتها .ويعزي ذلك لأسباب اقتصادية. اذ ان الصابئي الحرفي يحصل على دخل جيد مقارنة بالمزارع او الراعي .وكذلك الامر بالنسبة لعلاقاتهم ، وهي النقطة التي ذكرناها في عدم وجود (غيتو) .لقد حدثني مخبري: ان والدي كان صانع زوارق (ابلام) ،وعندما كان يوصي احدهم والدي على زورق كان الامر يستغرق وقتاً لتوفير الخشب من البصرة ،ثم بدء العمل ،اذ يستغرق ذلك في بعض الاحيان شهراً كاملا،وكانت هذه المدةفترة لصاحب الزورق مدةفترة زيارات مستمرة لنا، يصاحب ذلك تودد كبير ليعتني والدي بطلبه ،وكانت كل زيارة مصحوبة بعدد من الطيور او السمك او المنتجات مثل الزبد او القيمر او اللبن .

كذلك تجدر الاشارة الى ان مناطق الاهوار في محافظتي ميسان (العمارة) وذي قار (الناصرية) هي مناطق عشائرية صرف ،حتى في مراكز المدن [1] ،لذلك كانت مجموعات عوائل المندائيين تدخل ضمن حماية بعض العشائر القوية التي يعيشون بقربها وهو ما يطلق عليه في العرف العشائري (ذبابة جرش) ،أي انهم مساهمون في تكاليف او رسوم او ضرائب مالية تدفع للعشيرة مقابل توفير الحماية لهم وعدم مشاركتهم في القتال (لحرمة ذلك دينياً لديهم، بالاضافة لكونهم اقلية ضعيفة ومسالمة)، وكانت هذه الطريقة توفر لهم الكثير من الطمأنينة وتُفرّغهم لاعمالهم وتعبّدهم .

ومن حديثي مع بعض المخبرين و لاسيماخاصة كبار السن ،احسست ان هناك نوعاً من الاعتزاز او الشعور الذي يقترب من التعالي لكونهم، او أبائهم، صاغة او نجارين او حدادين، فهم ارقى من القروي البسيط المزارع او الصياد او الراعي ،ويُعتقد ان ذلك يعود الى ان الحرفي يتطلع دائماً لتطوير نفسه، ويبحث عن العدة الجديدة او الماكنة الاكثر تطوراً لتحسين عمله ،وهو بذلك يكون اكثر احتكاكاً بالحضارة من الاخرين .

ونلاحظ ان ابناء مدن الاهوار من المندائيين كانوا دائماً يسعون الى ادخال ابنائهم في المدارس، لانهم كانوا يشعرون بأهمية دخول ابنائهم لسلك الوظيفة الحكومية بعد تشكل دولة العراق الحديث.وكان ذلك منذ وقت مبكر، اذ نجد ان بعض ابناء الطائفة درسوا في معاهد المعلمين مثلاً وعادوا الى مدارس مدنهم في الاهوار لتدريس الاطفال هناك،ومثل هذه الحالات نجدها منذ العشرينات . وقد فتح هذا الامر آفاقاً لانتقال من يدرس الى المدن العراقية الكبرى مثل بغداد والبصرة، لما يتوفر فيها من عناصر جذب، وما تمثله مدن الاهوار من عناصر طرد لبعض سكانيها .

---

(1) فلانين ،الحاج ريكان او عرب الاهوار ،ترجمة د. جميل سعيد ،د.ابراهيم شريف بغداد ،١٩٦٦ ص١٩

٢. المدن العراقية الكبرى (بغداد، البصرة)

لقد بدأت مع بدايات القرن العشرين هجرات المندائيين الى المدن الكبرى، كما اشرنا في المبحث السابق .وكانت مدينة البصرة هي المحطة الاولى لهجراتهم، فحدثَت تحولات وتغيرات مهمة في البنية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في الربع الاخير من القرن التاسع عشر ،اذ بدأ العمل بنظام الطابو ،فيذكر حنا بطاطو في كتابه عن العراق ،ان التغيّر الاهم من هذه الناحية هو استقرار وتوسع الملكية الخاصة وتمركزها الشديد ،وكان لهذا علاقة بمصادرة عدد صغير من المشايخ والاغوات الاراضي الزراعية العشائرية الجماعية،وبالدور الاكبر للمال ،وبظهور المضاربة بالعقارات ،وبتزامن وضع الملكية في اطار اسس قانونية اكثر ثباتاً، وبشكل خاص من خلال قوانين الاراضي التي صدرت في العامين ١٨٥٨ و ١٩٣٢ ،ممادى بدوره الى زيادة تماسك سلطة الدولة ومركزيتها ،كما وادى، بالاضافة الى ذلك، الى انتشار الاتصالات ونمو المدن وسريان الافكار والتقنيات الاوربية[١] .

كل ذلك جعل الشيخ العشائري القديم يتحول الى ملاك او اقطاعي، وفي كثير من الاحيان بيعت الاراضي الى اشخاص غير متواجدين في القرى، وانما يديرون هذه الاملاك من خلال (سراكيل) ،وكانت النتيجة تغيّر ظروف الفلاحين ومن يعيش في القرى الى الاسوء –من الناحية الاقتصادية والاجتماعية معا– وتحويلهم الى ما يشبه الاقنان ،~~فتظافرت~~ فتضافرت كل تلك الاسباب لتشكل عوامل الطرد والدفع والهجرة الى المدن الكبرى .

وكانت البصرة –المدينة والميناء المفتوح على بحار العالم والبعثات التجارية والارساليات التبشيرية– تمثل محطة مهمة بالنسبة للمندائيين ، فتواجد عدد من العشائر او العوائل المندائية في البصرة مثل،الكياليين والجيزانة والجحيلية والبنكانية[٢] ،ولكون مدينة البصرة تقع على حافة منطقة الاهوار ،و لكونها غنية بمياه الانهار ، كانت مدينة مناسبة جداً لسكنى المندائيين .

اما الهجرة نحو العاصمة – بغداد ، فقد بدأت بشكل افراد للعمل او التجارة او الدراسة في المدارس الحكومية ،ولكنها حتى الثلاثينات والاربعينات لم تكن تضم وجوداً كثيفاً لابناء الطائفة .ففي الاربعينات انتقل بعض رجال الدين مثل الشيخ عبد الله الشيخ سام ،وهو والد الدكتور عبد الجبار عبد الله –الذي كان رئيسا لجامعة بغداد –،فسكن في محلة الكريمات في منزل مطل على نهر دجلة، واخذ يمارس الطقوس الدينية في منزله. واستمر الحال الى ان انتقل

---

(١) حنا بطاطو ،العراق الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية ،ترجمة عفيف الرزاز ،مؤسسة الابحاث العربية، الطبعة الاولى ،بيروت ١٩٩٠،ص٢٩ .

(٢) غضبان رومي ،الصابئة ،مصدر سابق ،ص١٣٧

الشيخ دخيل الشيخ عيدان من محافظة ذي قار(الناصرية) الى بغداد عام ١٩٥٩م وسكن في منطقة الدورة في محلة المهدي ، فأرخ بهذه الانتقالة لمرحلة جديدة مهمة اصبحت فيها رئاسة الطائفة في بغداد ، توضحت فيها الهجرات الكثيفة لأبناء الطائفة من مدن الجنوب (العمارة ،الناصرية، واقضيتهما ونواحيهما) الى بغداد ،واصبح هناك وجودا كثيفا للطائفة المندائية فيها ،بل ونستطيع القول ان الطائفة انتقلت الى بغداد،مع بقاء بعض العوائل في الجنوب.

ولم يكن ذلك الانتقال كاملاً وكلياً ونهائياً في مرحلةفترة واحدة بالنسبة للعوائل المهاجرة، فكثير من أفراد الطائفة كان متنقلاً بين بغداد ومدينته الأصلية في الجنوب، و ذلك تبعاً لظروف العمل او الدراسة ، ثم يكون بعد ذلك الاستقرار النهائي في بغداد .وهنا يمكن ان نؤشر مجموعة ملاحظات ، منها ذلك الدخول الكثيف لابناء الطائفة في الحياة العصرية للعراق المنتقل من المرحلة الملكية الى المرحلة الجمهورية ،اذ دخل ابناء الطائفة بكثافة في المدارس الحديثة والجامعات ،ومن ثم في الوظائف الحكومية، ومنها ايضا دخولهم المتميز في الأحزاب السياسية التي كانت الساحة العراقية تعج بها في تلك المرحلة ،ونخص بالذكر الأحزاب اليسارية الماركسية،نظراً لطبيعة هذه الأحزاب المنفتحة على الاقليات العرقية والدينية والقومية ، ناهيك عن بالاضافة الى ان ايديولوجيا هذه الأحزاب تتمثل بطروحات العدالة الاجتماعية والاشتراكية...الخ،وقد وصل بعض أفراد الطائفة المندائية الى درجات قيادية مهمة مثل (مالك سيف)[١] الذي اصبح سكرتيراً للحزب الشيوعي العراقي عام ١٩٤٩ ،بعد إعدام (فهد) يوسف سلمان– الشخصية الكارزمية التي أسست الحزب الشيوعي العراقي في الثلاثينات – وبقي في الحزب الشيوعي كوادر متميزة من أبناء الطائفة مثل المفكر والكاتب (عزيز سباهي)[٢].

ومن ثم تم بناء اول "مندي" (معبد) للطائفة في منطقة الدورة في نهاية عقد الستينات في بغداد.ومع التغيرات وظهور فاعلية أبناء الطائفة في المجتمع، ومن خلال وزارة الاوقاف، حصلت الطائفة على قطعة أرض في منتصف السبعينات في منطقة القادسية –قطعة أرض مطلة على نهر دجلة– ألا ان الشحة المالية حالت دون بناء معبد الطائفة الجديد حتى بداية الثمانينات ،حينما صادرت الدولة أرض المعبد القديم في الدورة – لوقوعه ضمن ارض محطة كهرباء الدورة – فبني المعبد الجديد في منطقة القادسية وما زال قائماً حتى اليوم، وفيه رئاسة الطائفة والمجلس الروحاني الأعلى والمجالس الإدارية وهي مجلس العموم ومجلس شؤون الطائفة ، ويضم المعبد قاعة مناسبة الحجم لاقامة المآتم ،كما تم بناء حوض للتعميد، وكان هذا حدثاً تطويرياً مهماً في الجانب الطقسي تم على يد الـ"ريش امة" –اعلى درجة دينية في سلك الكهنوت المندائي– الشيخ

---

[١] **حنا بطاطو ، مصدر سابق ، الجزء الثاني ، ملاحق اللجان المركزية للحزب الشيوعي العراقي ص٢١٨-٢١٩.**

[٢] **لقاء مع الكاتب العراقي عزيز سباهي أجرى اللقاء موسى الخميسي ونشر في موقع اتحاد الجمعيات في المهجر في ٢٠٠٤/١١/٩ www.mandaienunion.org .**

عبد الله الشيخ نجم الذي تسنّم رئاسة الطائفة في بداية عقد الثمانينات، كما انه (أفتى) بجواز "الرشامة" (الوضوء) بماء الإسالة (الحنفية) ،اذ عداعتبر ذلك امراً تيسيرياً ومجاراة لطريقة العيش في المدن الكبرى مثل مدينة بغداد ،حيث لا يستطيع الفرد المندائي الوصول الى مياه الأنهار ثلاث مرات في اليوم للرشامة وأداء "البراخا" (الصلاة)[1]، وسنأتي على ذكر ذلك تفصيلاً في مبحث قادم.

وفي المدةفترة التي تمت فيها الدراسة كان أبناء الطائفة- او الثقل السكاني الرئيسي منهم- يسكن في محافظة بغداد ، فضلا عنبالإضافة الى بعض التجمعات الصغيرة في المحافظات والمهاجر.وأود ان أسلط الضوء هنا على نقطة مهمة تخص تواجد أبناء الطائفة في بغداد ،اذ انهم في هجرتهم لم يحاولوا التجمع في أحياء او محلات (غيتو) في بغداد كما كان الحال مع (غيتوات) او محلات اليهود في بغداد في النصف الاول من القرن العشرين ،وانما ذابوا في المجتمع البغدادي مثل مئات الآلاف من المهاجرين القادمين من الريف العراقي ،ومع هذا يمكننا ان نلحظ بعض التجمعات بالقرب من تواجد او سكن بعض رجال الدين ،فمثلاً هناك تجمع ملحوظ في جانب الكرخ في مناطق الدورة والسيدية والبياع وحي العامل وغيرها من المناطق القريبة من الدورة، حيث سكن الشيخ دخيل الشيخ عيدان في نهاية الخمسينات، وحيث اقيم اول مندي في بغداد بل وحتى ان "المندي " (المعبد) الموجود اليوم في منطقة القادسية يعد قريباً من هذه المناطق.

ان تبلور وجود ثقل الطائفة في بغداد ودخول أفراد الطائفة الحياة العصرية جعلهم يؤسسون نادياً ثقافياً اجتماعياً عائلياً خاصاً بهم ،اذ حصلوا على قطعة أرض في متنزه الزوراء ليقيموا أول نادٍ مندائي علني هو (نادي التعارف)، الذي استمر في النشاط حتى سقوط النظام وسيطرة بعض القوى عليه ومصادرته من الطائفة .وتسلك الطائفة اليوم كافة الطرق القانونية مع هذه الجهات في محاولة استرداده بحسب ما ابلغني أحد أعضاء مجلس شؤون الطائفة.

كما وحصلت الطائفة على قطعة ارض في منطقة العطيفية ما تزال أرضاً خالية لعدم توفر الإمكانات المادية لبناء معبد ثان للطائفة عليها.

ان معبد الطائفة الذي بني في منطقة القادسية والذي يطل على نهر دجلة، لم يلبث ان فقد أحد اهم رموزه وهو موقعه على نهر جارٍ،اذ ان نهر الخرالذي يقع عليه المعبد تم تجفيفه بسبب انشاء مشاريع مياه وثروة سمكية تخص بعض المسؤولين في زمن النظام السابق ،مما دفع مجالس الطائفة الى المطالبة بقطعة ارض على نهر دجلة(وهذه تقع بالتحديد تحت جسر الجادرية) لممارسة طقوس التعميد هناك،وقد اطلق عليها اسم (ارض التعميد)، اذ يكثر فيها

[1] مقابلة للدكتور رشيد الخيون مع" الريش امة"الشيخ عبد الله الشيخ نجم ، في كتاب مندائي ،مصدر سابق .

التعميد لجماعات من ابناء الطائفة ولاسيماخصوصاً في أيام الأعياد مثل عيد الخليقة "البروانايا". ونظراً لأن المكان مفتوح كان أبناء الطائفة يتعرضون لمضايقات من الجهلة من الناس والفضوليين،ولكنهم عالجوا الامر بأن رتبوا هذه الساحة وبنوا فيها هياكل بسيطة للاستراحة وتناول الوجبات الطقسية والنزول الى مياه النهر للتعميد، وقد تم ذلك بعد ان حصلوا على عقد أيجار لهذه الأرض من الدولة.

ولعدم حصولي على إحصاء دقيق لأفراد الطائفة في بغداد والمحافظات، فقد لجأت الى الأسئلة التقريبية، فسألت أحد رجال الدين من البصرة عن عدد أفراد الطائفة اليوم في البصرة والناصرية والعمارة ،فاخبرني ان لا أحد يعرف بدقة الأرقام ،وذلك نتيجةً للضغوط التي يتعرض لها أبناء الطائفة هذه الأيام ،من تهديدات الى فقدان أمن الى حالة كساد اقتصادي مما دفعهم للهجرة الى بلدان الجوار أولاً، ثم الى المهاجر مثل أوربا وكندا واستراليا.

وحينما طلبت من الشيخ أرقاماً تقريبية، قال: أنها حوالي ألف نسمة في البصرة واقل من ذلك بكثير في الناصرية وفي العمارة ،اما عندما سألت احد أعضاء مجلس شؤون الطائفة عن الأعداد التقريبية لأبناء الطائفة في بغداد والمحافظات أجابني الجواب نفسه : ليس هناك من أعداد مضبوطة .وفي الحوار قال لي : من المفروض ان كل عائلة (عشيرة مندائية) تتوافر على تعداد لأفرادها ، لكن هذا غير موجود فعلياً ،فمثلاً أنا أعرف عدد أفراد عائلتي (آل زهرون) وهم من أكبر العوائل (العشائر) المندائية، اذ يقترب عددهم من (٣٥٠٠) نسمة. ثم سألته عن عدد تقريبي لأفراد الطائفة في بغداد،فأجاب :انها بحدود الـ(٣٥) ألف نسمة وبحدود الـ(١٥) ألف في المحافظات الأخرى.

وأعتقد ان هذه الأرقام مبالغ بها، وهو أمر طبيعي لإعطاء ثقل للطائفة أمام الغرباء.فقد سمعت من بعض الأصدقاء من أبناء الطائفة أعداداً تقريبية أقل من ذلك بكثير بل تكاد تصل الى النصف ،وكذلك حاولت الاتصال بوزارة التخطيط/مديرية الإحصاء للحصول على عدد أفراد الطائفة حسب أخر إحصاء تم في عام ١٩٩٧م، الا ان ذلك كان شبه مستحيل، اذ أمتنع المسؤولون عن إعطاء أرقام او تفاصيل ، مع العلم ان الأرقام الموجودة غير دقيقة لأن عملية الإحصاء تمت قبل ثماني سنوات ، ناهيك عن عدم دقة الإحصاء نفسه،لأن الكثير من العوائل أخفت حقيقة سفر أبنائها وذلك لعدة أسباب منها السفر بطرق غير رسمية وطلب اللجوء والهجرة ،فضلا عنبالاضافة الى مشكلة تتعلق بالبطاقة التموينية اذ يشطب منها الفرد المسافر خارج العراق. ولم يتم إحصاء أفراد قوات الجيش وقوات الأمن بشكل دقيق في ذلك الاحصاء إذا كانوا خارج منازلهم.

٣.دول العالم (المهاجر) :

لقد مرت على أبناء طائفة الصابئة المندائيين الكثير من الأزمات والكثير من ازمنةفترات الاضطهاد والقسوة، وقد كانوا يجابهون ذلك بالانغلاق على انفسهم والإكثار من التعبد والاستغفار والصلاة والدعاء لتخليصهم من المحن التي يمرون بها [١]،ومع ذلك لم يكونوا متوانين عن تقديم الخدمات التي تعد مهمة للمجتمع الذي يعيشون فيه.لكن في القرن العشرين – ولاسيماخصوصاً النصف الثاني منه ونتيجة للتغيرات الاقتصادية والاجتماعية والتقنية التي حدثت–برزت ظاهرة جديدة لدى الطائفة وهي هجرة أبنائها الى بلدان بعيدة مثل أمريكا وكندا وأستراليا.

لقد كانت هذه الظاهرة محدودة في بداية الامر ،ولكنها أصبحت واضحة وملموسة في العقدين الآخرين من القرن العشرين بسبب الحروب والعقوبات الاقتصادية والضائقة التي مر بها الشعب العراقي ككل ،لكنها كانت ذات تأثير مضاعف على الاقليات العرقية والاثنية والدينية،مما دفع بأبناء هذه الاقليات الى هجرات كثيفة . وبالنظر لحجم الاقليات الديمغرافي الصغير فقد بدت هذه الظاهرة بشكل متضخم في الطائفة قيد الدرس.وعندما هاجرت عوائل مندائية كثيرة في عقدي الثمانينات والتسعينات من القرن العشرين، سلكت السلوك المعتاد للمهاجرين الجدد،اذ يحاول من يصل منها الى المهجر ان يسكن بالقرب من أقربائه او أصدقائه وذلك للشعور بالامان واجتياز صدمة الانتقال من مجتمع وثقافة مغايرة لثقافة ومجتمع المهجر.

ومع منتصف العقد الاخير من القرن العشرين، كانت قد تكونت جاليات كبيرة من ابناء الطائفة في المهاجر المختلفة في العالم ،وقد سعى ابناء الطائفة هناك الى اقامة جمعيات و اتحادات.ولابد لنا ان نشير هنا الى امر مهم وهو ان تحديات تذويب المهاجرين الجدد في المجتمع الجديد تكوّن قوى ضاغطة على الثقافة الاصلية للمهاجر، مما يدفعه للتمسك بها بشدة، فلم يلاحظ ابناء الطائفة هذا الامر عند انتقالهم من مدن الجنوب الى المدن الكبرى في العراق، لانهم كانوا يمثلون ثقافية فرعية (Sub-culture) من الثقافة الاصلية للمجتمع بينما في المهجر يكون الفرق شاسعاً بين الثقافتين .

لقد لاحظنا ان الاقليات التي تهاجر من العراق تحاول ان تبرز ثقافاتها الفرعية، اذ نجد ان المهاجرين –برغم مشاركاتهم في تجمعات عراقية او عربية– الا انهم يركزون اهتمامهم على ابراز هوية ثقافتهم الفرعية في تجمعات يبدون فيها اكثر فعالية وانسجاما .

---

[١] عزيز سباهي، مصدر سابق،ص٧٠ ومابعدها .

لقد وصل عدد الجمعيات المندائية الكبيرة والمنضوية تحت خيمة اتحاد الجمعيات المندائية في المهجر الى عدد يزيد على العشرة، ففي المؤتمر الاول للجمعيات المندائية في العالم الذي عقد هذا العام (٢٠٠٥م) نقرا في البيان . الختامي وجود الجمعيات الاتية [١]:

١. الجمعية المندائية في الولايات المتحدة .
٢. الجمعية المندائية في الولايات المتحدة /ديترويت
٣. الجمعية المندائية في الدنمارك .
٤. الجمعية المندائية في المملكة المتحدة.
٥. الجمعية المندائية في فلندا .
٦. الجمعية المندائية في كندا .
٧. الجمعية المندائية في هولندا .
٨. الجمعية المندائية في ميونخ / المانيا.
٩. الجمعية المندائية في نورمبيرغ/ المانيا.
١٠. الجمعية المندائية في لوند/ السويد .
١١. الجمعية المندائية في يوتوبري/ السويد .
١٢. الجمعية المندائية في مالمو/ السويد .
١٣. الجمعية المندائية في ستوكهولم/السويد.
١٤. الجمعية المندائية في نيوزلندة.

وعلى الرغم من الحرية الدينية التي يتمتع بها افراد الطائفة في المهجر– من اداء الطقوس الى احترام المعتقدات وعدم التدخل او الاضطهاد في هذا الشان بحكم رسوخ القوانين العلمانية في الغرب– الا ان ابناء الطائفة لهم معاناتهم ايضا، مثل صعوبة اداء بعض الطقوس في البلدان ذات الاجواء الباردة طوال السنة مثل شمال اوربا وكندا . (لقد حصلت على صور فوتوغرافية لابناء جالية مندائية في السويد يقومون بالتعميد في نهر ،وكانت ثمة عبارة تحت الصور تقول ان درجة الحرارة صفر مئوي!!) ناهيك عن معاناتهم من قلة رجال الدين الذين يقدمون خدماتهم الدينية في طقوس الزواج والوفاة والتعميد والذبح وغيرها .

لكن ابناء الجاليات المندائية قد اثبتوا جدارة وتفوقاً في المهاجر ، وهذا ديدن الطائفة التي يبرز فيها المبدعون في ظروف التسامح والانفتاح ، فعلى سبيل المثال لا الحصر ، نشاطات

[١] البيان الختامي للمؤتمر الاول للجمعيات المندائية في العالم ، على موقع اتحاد الجمعيات المندائية في المهجر www.mandaeanunion.org في ٢٠٠٥/٣/٧ .

منير الكيلاني[١] . الفنان التشكيلي المندائي في السويد ، وحصول المهندس ثائر صالح على وسام استحقاق الجمهورية المجرية في بودابست، وذلك لجهوده في تعريف العالم العربي بالثقافة المجرية في ٢٠٠٤/٥/٣[٢] . وكذلك حصول السيدة أنباء جاوي فرحان على وسام الكفاءة من الملكة اليزابيث الثانية ملكة بريطانيا، وذلك لجهودها التي بذلتها كمديرة لمركزاعادة تاهيل اللاجئين في لندن، ومساعدتهم في الحصول على فرصة عمل في المؤسسات والمصانع البريطانية[٣] .

ويجب ان نوضح ان علاقة الجاليات المندائية بمركز الطائفة في العراق بقيت علاقة متينة وقوية ، اذ تعتبر رئاسة الطائفة في بغداد المرجع الديني الوحيد في العالم لهذه الجاليات،وان رئاسة الطائفة على تواصل دائم مع ابنائها في المهجر ، فالزيارات مستمرة والتواصل دائم بين الطرفين .

لقد بدء العالم ومراكز الابحاث والدراسات بالاطلاع والاهتمام بشكل مضاعف عما سبق بابناء الطائفة وتاريخها وعقيدتها، فقد عقد مؤتمر عالمي عن المندائية في عام ١٩٩٩م في هارفرد، ثم عقد مؤتمر ثان في عام ٢٠٠٢م في كمبردج ، وهذا بالطبع يعود في جزء كبير منه الى جهود ابناء الجاليات المندائية في المهاجر الذين قدموا صورة جيدة عن دينهم وتراثهم وعمقهم الحضاري، ودور هذا الدين وتاثيره في اديان المنطقة والعالم . كذلك نرى ان ابناء الطائفة في المهجر على تواصل مع هموم وطنهم الأُم من خلال مشاركاتهم الكبيرة في كل ما يمس بلدهم –العراق، محاولين ان يقدموا ما يستطيعون في ذلك .

المبحث الثالث: الواقع السكاني والملامح البشرية

[١] من موقع اتحاد الجمعيات المندائية في المهجر باب مبدعون مندائيون بتاريخ ٢٠٠٥/٣/٧ www.mandaeanunion.org .

[٢] من موقع اتحاد الجمعيات المندائية في المهجر باب مبدعون مندائيون بتاريخ ٢٠٠٥/٣/٧ www.mandaeanunion.org.

[٣] جريدة الزمان اللندنية الصادرة في ٢٢/حزيران/٢٠٠٤ .

كما مر بنا في المباحث السابقة ،فان هذه الطائفة الصغيرة ظلت منزوية في اهوار جنوب العراق لآلاف السنين، وبقيت عصية على الاندثار حتى شبهها بعض الباحثين الاوربين بالمتحجرات الحية .واليوم يعيش عدة الاف من المندائيين في العراق ،وبعض الآلاف منهم منتشرين في مهاجر العالم ،فضلا عن بالإضافة الى وجود كثيف في مناطق عربستان (المحمرة والاحواز) في ايران، وهم ابناء عمومة وامتداد لمندائيي العراق . فاذا اردنا ان نصف الواقع السكاني للطائفة في العراق، نستطيع القول ان الثقل الاساسي لها هو في بغداد عاصمة العراق،وذلك نتيجة للتحولات التي مرت بها الطائفة وانخراط ابنائها في الدراسة والعمل في الدولة وفي القطاع الخاص في العاصمة. اما في المحافظات فان لدينا مقياسا يكاد ان يكون دقيقاً لتواجد ابناء الطائفة، الا وهو وجود المعابد "منادي" الطائفة ، اذ ان المحافظة التي يتواجد فيها عدد مناسب من العوائل المندائية يصار الى فتح "مندي" لهم في هذه المدينة،و هنالك اليوم ستة "منادي" في العراق وهي موجودة كما يلي :

منسّق:بعد: 0 سم، تعداد رقمي + المستوى: ١ + نمط الترقيم: 1، 2، 3، ... + بدء الترقيم بـ: ١ + المحاذاة: أيسر + محاذاة عند: 0 سم + علامة جدولة بعد: 36.0 سم + مسافة بادئة: 36.0 سم

١. بغداد : وهو المندي الرئيس في العراق، وتوجد فيه رئاسة الطائفة ومجالس عموم وشؤون الطائفة، بالاضافة الى كل الشؤون الادارية الخاصة بها على مستوى العالم .
٢. ذي قار : وهي المدينة الام للطائفة، و فيها معبد "مندي" قديم تم ترميمه، تمارس فيه العوائل المندائية طقوسها .
٣. ميسان : و فيها معبد ايضا، وهي من المدن الاصلية للطائفة ،ويمارس ابناء الطائفة فيها نشاطهم وحياتهم كما كان اجدادهم يمارسونها .
٤. البصرة : وفيها معبد مهم كونهاباعتبارها مركز جنوب العراق او المدينة الاكبر بعد العاصمة، وفيها تجمع كبير لابناء الطائفة هناك .
٥. ديالى : وفيها مندي لخدمة ابناء الطائفة في هذه المحافظة .
٦. التاميم : وفيها معبد لم ينجز بناؤه حتى الان لاسباب مالية، وكذلك بسبب الظروف الامنية المضطربة التي تشهدها المدينة بشكل خاص و العراق بشكل عام .

كما واخبرني رئيس مجلس شؤون الطائفة ان هنالك تجمعا كبيرا لابناء الطائفة في محافظتي القادسية وواسط ، الا ان الموافقات لم تحصل حتى الان لبناء "منادي" فيها .

ان حال ابناء الطائفة اليوم صعب جداً ،فهناك هجمة من قوى ظلامية تكفيرية على ابناء الطائفةالمندائية المسالمين ، تهددهم بالقتل والاغتصاب والسرقة والاختطاف، اذ حدثت العشرات من هذه الحوادث مع الاقليات الدينية في الاخص ،مثل المسيحيين و الصابئة واليزيديين في محاولة لاخراجهم من المعادلة العراقية . ولكن بالتفاف ابناء الطائفة حول رئاستها في محاولة لتنسيق الجهود مع القوى الفاعلة في المجتمع من احزاب و مؤسسات للدولة ومؤسسات مجتمع مدني ومرجعيات دينية ،اثبتوا للعالم انهم غرس عراقي اصيل في الثقافة

والمجتمع العراقي، وانهم رقم اصيل في الحضارة الرافدينية لا يمكن اهماله ،وان الطائفة تتعاون مع الجميع للوقوف بوجه الحملة الارهابية الشرسة التي تطال قطاعات واسعة من افراد المجتمع العراقي يقف في مقدمتهم ابناء الاقليات .

ان الانشطة الكثيرة التي تقوم بها هذه الطائفة تدلل على فعاليتها ومثابرتها، فمن جملة النشاطات نذكر الاعلام المطبوع المتمثل في عدد من المجلات داخل وخارج القطر مثل (افاق مندائية) و(هيمنوثا) و(المندائي) ،وهي مجلات تصدر داخل العراق ،اما المجلات التي تصدر خارج العراق فهي مجلة (الصابئي المندائي) ومجلة (الصدى) في السويد وغيرها ، هذا فضلا عن ~~بالاضافة الى~~ دخول ابناء الطائفة الى عالم الاعلام المسموع ،فهنالك اليوم راديو (زيوا) وراديو (يردنا) وقد اقامهما واشتغل على تاسيسهما ابناء الجاليات المندائية في المهاجر ، ناهيك ~~عنبالاضافة الى~~ عدد يتجاوز الستة من مواقع الانترنيت الخاصة بالطائفة، وقد سبق الاشارة لها في مكان سابق من هذه (الرسالة) . كل ذلك يشير الى حيوية هذه الطائفة التي لن تزول من الفسيفساء العراقي مهما تعرضت لضغوط خارجية وداخلية .

ان انضمام الاستاذ صبحي مبارك مال الله الى المجلس الوطني المؤقت للعراق (البرلمان المؤقت) في تموز ~~/~~ من عام ~~/~~ ٢٠٠٤ يشكل اهمية كبرى في تمثيل هذه الطائفة في المؤسسات الرسمية العراقية واحترام كل مكونات الطيف العراقي المكون من اعراق واديان وقوميات تمثل بتنوعها خصوصية وقوة العراق .

الفصل الخامس

النسق الديني

المبحث الأول: المعتقد والمنظار الكوني

١. الخالق.

٢. الخليقة (الكواكب، الارض، البشر)

المبحث الثاني: المقدسون.

١-١. الملائكة.

٢-٢. الأنبياء.

٣-٣. الكتب المقدسة.

٤-٤. الهيئة الكهنوتية.

المبحث الثالث :الملابس الدينية والاعياد

منسّق: المسافة البادئة: السطر الأول: 74.2 سم، بعد: 0 سم، تعداد رقمي + المستوى: ١ + نمط الترقيم: 1، 2، 3، ... + بدء الترقيم بـ: ١ + المحاذاة: أيمن + محاذاة عند: 56.1 سم + علامة جدولة بعد: 25.2 سم + مسافة بادئة: 25.2 سم

منسّق: المسافة البادئة: السطر الأول: 27.2 سم، بعد: 0 سم، تعداد رقمي + المستوى: ١ + نمط الترقيم: 1، 2، 3، ... + بدء الترقيم بـ: ١ + المحاذاة: أيمن + محاذاة عند: 56.1 سم + علامة جدولة بعد: 25.2 سم + مسافة بادئة: 25.2 سم

منسّق:الخط: ٢٠ نقطة، غامق، خط اللغة العربية وغيرها: Andalus، ٢٤ نقطة، غامق

منسّق: المسافة البادئة: السطر الأول: 56.1 سم

منسّق:الخط: ١٦ نقطة، غامق، خط اللغة العربية وغيرها: ٢٠ نقطة، غامق

الفصل الخامس
النسق الديني

المبحث الاول: المعتقد والمنظار الكوني

في البدء لا بد من الاشارة الى ان البحث في النسق الديني لطائفة الصابئة المندائيين تعتريه الصعوبات لاسباب عدة ، ربما كان اهمها المدةفترة الزمنية الطويلة التي مرت على بدء ونشوء هذا الدين، فان هذا القدم يعني التراكم في الاسطورة والمفهوم والطقس، بالاضافة الى ذلك مرور الكثير من مراحلفترات الاضطهاد وعدم التسامح، مما دفع بابناء الطائفة الى الاختباء وعدم الحرية في ممارسة طقوس عبادتهم، ومما ادي بدوره الى نقل الموروث الديني من ادب وتعاليم وطقوس بشكل شفاهي. وكان لهذا ان سبب –بالتأكيد– تغيرات وتشوش فيما ينقل، الى ان حان زمن التدوين فظهرت الاختلافات والاجتهادات في الفهم[1]. وهذا ما نراه جلياً في الكتب الدينية المندائية، اذ انها دونت في مراحلفترات زمنية مختلفة ولم تكن عمليات التدوين تخلو من اخطاء النساخ في ازمنةفترات تكون فيها امكانية التعليم الديني محدودة.

كما وتجدر الاشارة هنا الى نقطة مهمة، وهي اننا في العلوم الاجتماعية لا نتعامل مع الانساق الدينية على انها كتلة تاريخية واحدة وجدت في زمن واحد. لأن هذه الكتلة لم تنبثق فجأة أو دون ممهدات تاريخية في المجتمعات التي تظهر فيها، وانما سبقتها تفاعلات عميقة في حياة هذه المجتمعات مهدت لتبلورها ولايجاد الارضية الاجتماعية والثقافية الضرورية لتقبلها. كما ان الاديان التي زالت لم تُخلِ مسرح الحياة فجأة دون ان تخلف وراءها اية اثار ، ويمكن للباحث ان يعثر بسهولة على مثل هذه الاثار في الممارسات والطقوس والمفاهيم لدى الناس.

ومن صعوبات البحث في النسق الديني المندائي كونه أثّر وتأثّر بكل الاديان الموجودة في الشرق الاوسط، فنجد فيه عناصر يهودية ومسيحية وبابلية وزرادشتية واسلامية .كما ان هناك تاثيرات للفلسفة اليونانية الهلنستية في نموذجها الغنوصي الشرقي المسيحي، لذلك نحتاج الى عمليات حفر في الطبقات المعرفية المكونة للاغلفة التي تحيط بنواة الديانة المندائية الموحدة. وسنتناول فيما يلي المفهومين الرئيسيين في مبحث المعتقد والمنظار الكوني :–

١. الخالق: يفتتح الكتاب المقدس للطائفة (صحف ادم) "الكنزاربا– اليمين" في اول "بوثه" (البوثة هي السورة او الاصحاح، وفي طبعة بغداد التي اعتمدناها سميت بالكتاب)، وهي "الكتاب الاول"، التسبيح الاول: التوحيد لنقرأ في مطلعها صفات الخالق لدى المندائيين وكما يلي:

---

[1] عزيز سباهي، مصدر سابق،ص٧٢.

باسم الحي العظيم*

مُسبّح ربي بقلب نقي.

هو الحي العظيم، البصير القدير العليم ،العزيز ،الحكيم، هو الازلي القديم، الغريب عن اكوان النور، الغني عن اكوان النور، وهو القول والسمع والبصر، الشفاء والظفر والقوة والثبات، هو الحي العظيم، مسرة القلب، وغفران الخطايا.

مُسبّح ربي بقلب نقي.

يا رب الاكوان جميعاً.. مُسبّح انت، مبارك، ممجد، معظم، موقر، قيوم، العظيم السامي، ملك النور السامي، الحنان التواب الرؤوف الرحيم، الحي العظيم لا حد لبهائه، ولا مدى لضيائه، المنتشرة قوته، العظيمة قدرته، هو العظيم الذي لا يرى ولا يحد، لا شريك له في سلطانه، ولا صاحب له في صولجانه

والحي مزكى**[1]

وللاجابة على سؤال ما هو الخالق؟ وكيف تم الخلق؟ ولإعطاء تصوّر عن المنظار الكوني لدى المندائيين ،يمكننا القول ان اول ما نواجهه في الكتب المقدسة هو الحديث عن الخلق الاول الذي كان بأمر من (الحي العظيم)، ويوصف بانه "نطق" او "نادى" أي ان الخلق كان بالكلمة ويسمى بالمندائية "هوابميمرا " أي (الخلق بالكلمة)، وهناك العديد من النصوص التي تشير بوضوح الى ذلك، نذكر منها مثلاً "بميمرخ هوا كل مندام"، (بكلمتك ايها الحي العظيم خلق كل شيء) ،وفي نص اخر يشار الى خلق الارواح او الكائنات النورانية: (بكلمة من الحي العظيم خلق "إثري") ،والإثري درجة سامية من الملائكة مفردها "إثر" سناتي على ذكرها تفصيلاً في فقرة قادمة.

ورغم اشارات الكتب المقدسة المندائية الى قدرات "الاثري"- اذ تمتلك قدرات خلق ممنوحة من "الاها" (الاله) او (الحي العظيم)- الا اننا نقرا دائما التاكيد على التوحيد في "كنزا ربا":

ليس له اب يكبره او اقدم منه

ولا مولود كان قبله ولا اخ يقاسمه الملكوت، ولا توأم يشاركة الملك، مسبّح ومبارك، انت الهي في كل وقت والى الابد.. انت منذ البدء وباق لما لا نهاية[1]

---

[1] كنزاربا، الكنز العظيم، الكتاب المقدس للصابئة المندائيين، قسم اليمين، الكتاب الاول، التسبيح الاول، التوحيد،ص١، طبعة بغداد، الطبعة الثالثة ٢٠٠١م.

*فاتحة "البواثا" (الاصحاحات) تبدأ بجملة باسم الحي العظيم.

** خاتمة" البواثا "(الاصحاحات) تختم بجملة والحي مزكى.

ونستطيع القول ان الصابئة المندائيين يعتقدون بوجود (الله) العظيم المتعالي الذي يطلقون عليه الاسماء والصفات مثل (الحي) او (الحياة) "هيي" والحي العظيم "هيي ربي" ، العقل الاعظم "مانا ربا"، ملك الانوار "ملكا اد نهورا" ،كذلك يعتقدون بان (الحي العظيم) محاط بعدد لا يحصى من الكائنات الروحانية النورانية هم الـ"اثري"، وان هذا العالم من الكائنات الروحانية قد انبعث من الذات العليا للاله، وهو اول مراحل الخلق، وان هذه المرحلة تامة كاملة لا وجود للخطأ فيها تمت بـ (كلمة الله)، ثم اعقبتها المرحلة الثانية ثم المرحلة الثالثة ثم المرحلة الرابعة، الا ان هذه المراحل التي انتهت بخلق العالم الارضي الفاني "تيبل"، حدث فيها زلل او خطأ لانها تمت بقدرة الله، الا ان من نفذ الامر هم "الاثريون"[٢]. وكذلك يؤمن المندائي بيوم الحساب او يوم القيامة ،اذ يحاسب الانسان عمّا جنت يداه فتكون الجنة او دار الحق "مشوني كشطا" من نصيب الصالحين، وتكون النار الموقدة من نصيب الاشرار.

وفي "مشوني كشطا" يوجد النظير "دموثا" او النموذج او القرين النوراني لكل شيء في الحياة الفانية، وان "نشمثا" النفس او الروح بعد تحررها من الجسد الفاني "بغرا"، تسعى للاتحاد بنظيرها في عالم الحق ، وهذا ما سنتناوله في الفقرات القادمة.

٢.الخليقة (الإنسان ، الأرض ، الكواكب):

تأتي قضية الخلق بعد موضوع التوحيد مباشرة في كتاب الطائفة المقدس "كنزا ربا – اليمين" ،ففي "البوثة" الثانية يطرح موضوع الخلق والتكوين.

ان موضوع الخلق موضوع معقد ومتداخل بشكل كبير اذ يصعب معه البحث الا بتأنٍ شديد، لان الادب الديني المندائي لا يقدم عرضاً واحداً متجانسا لقصة الخلق ،وانما هناك عروضاً عديدة قد تتباين فيما بينها الى حد التعارض أحياناً ، و على الباحث ان يتوقع اختلافات في الاسماء والادوار وسير الاحداث .وهذا لا يحدث بين كتابين فوحسب ،وانما في المؤلف الواحد ذاته ، وهو كما اشرنا ربما عائد الى تأثير مدتفترة الرواية الشفهية الطويلة، والى أن الادب المندائي في صورته التي وصلتنا لم يوضع ويدوّن مرة واحدة، وانما كانت تضاف اليه مع الايام مزيداً من التراتيل والادعية. فالكثير من النصوص التي نقرأها اليوم، كتبها في صورة تراتيل

---

[١] كنزاربا، الكنز العظيم، الكتاب المقدس للصابئة المندائيين، قسم اليمين، الكتاب الاول، التسبيح الاول، التوحيد،ص٥.

[٢] ناجية مراني، مصدر سابق، ص٩٨.

شعرية بعض رجال الدين في ازمان مختلفة، وعكسوا فيها فهمهم وتصوراتهم الخاصة لمسألة الخلق واصل الكون دون ان يراعوا تماماً البناء الاولي للميثولوجيا الدينية[١].

وفي التعاطي مع قصة الخلق لابد من ان الاشارة الى وجود عالمين منفصلين ومتعاديين ، هما عالم النور "الما اد نهورا" وعالم الظلام "الما اد هشوخا" ، ورغم العداء والقتال بين الاثنين الا ان هناك بعض الصلات بينهما، سنأتي على ذكرها لاحقاً.

ان صورة الصراع بين عالم النور وعالم الظلام فيها بعض من الصفات الثنوية، ولكن يجب ان نعرف ان الخالق (الحي العظيم) مترفع عن هذه العوالم، ومن ارادته و بكلمته وبفيض منه خلق (نادى) الحياة الاولى.ثم بدعاء من الحياة الاولى وبكلمة من الحي العظيم خَلَقَت الحياة الاولى حياةً ثانيةً "يوشامن"، وبالطريقة نفسها أي بطلب من المرحلة اللاحقة او بدعاء منها الى الحي العظيم وبقدرته وبكلمته تُخلق مرحلة ثالثة ثم رابعة،كان كل ذلك قد حدث في عالم النور.

ان الحيوات او مراحل الحياة الاربع شرحتها الكتب المقدسة بالتفصيل، ويمكن ان نوجز ذلك من كتاب "سيدرا اد نشماثا" البوثة الاولى:

لقد نطق وتكلم ملك النور السامي العظيم

ان قِدَم الحياة الاولى عن تكوّن ووجود الحياة الثانية [ستة الاف روبان*]

وقِدَم الحياة الثانية عن تكوّن ووجود الحياة الثالثة [ستة الاف روبان].

وقِدَم الحياة الثالثة عن تكوّن ووجود أي اثري [ستة الاف روبان].**

وقِدَم وتكوّن أي اثري عن كل ما هو مادي (ارضي وفان) وعن تكوّن (السبعة اسياد البيت المادي)– المقصود الكواكب– هو [سبعة الاف وسبعمائة روبان]. [٢]

وقد اشارت النصوص الدينية بشكل مفصل ومطول الى ماهية كل حياة واهميتها وما جرى عليها، ووصفت ذلك وصفاً دقيقاً وفريداً في الوقت نفسه . وتجدر الاشارة الى ان الادب الديني المندائي اعتبر الحياة الاولى قد امتازت بالكمال ، وان عالمها كان مرتّبا شديد النظام، وكان بهيجاً وواسعاً ولا يمكن ان يضاهيه أي عالم في نوره وقوته، ولا يمكن ان تنشأ حياة اجمل مما هي في الحياة الاولى.

اما ما يخص تكوّن الحيوات الاخرى ، فيمكننا القول بان نشوء الحياة الثانية وما نتج عنها من توسع في التكوين وعدم استقرار وثبات ونقص وخلل اصاب النظام فيها ،ادى بها ان

---

[١] عزيز سباهي، مصدر سابق،ص٧٢.

[٢] ماجد فندي المباركي ،دراسات مندائية – تاريخ ومعتقدات، سدني ٢٠٠٠م،ص١٠٩

*روبان = ١٠٠,٠٠٠ سنة ارضية.

** الاثري = درجة عالية من الملائكة وسناتي على تفصيل ذلك في مبحث المقدسون.

تفتقر الى الكمال ، ومنها نشأ الخطأ وعدم الدقة في الاعمال –علماً ان هذا الخطأ مردود على الاثري وليس على الحي العظيم لانه منزّه عن الخطأ –ونجد ان الحياة الثالثة والرابعة كانتا تسيران اكثر فاكثر بأتجاه التدني ، واصبحت اعمالً الخلق غير ناضجة او غير مكتملة تماماً،وقد شاب بناؤها ووجودها النقص وعدم الترتيب[١].

ان قصة الخلق المندائية ذات الرمزية العالية تقترب الى حد بعيد من النظريات الحديثة في تكون الكون ،وفيما يلي ايجاز لقصة خلق الحيوات :

يُصوّر التكوين الاول بانه كان (كالثمرة)، وهذه الثمرة كانت في داخل (ثمرة) اخرى عظيمة، وكانت الثمرة الاخيرة ذات كتلة متعاظمة ممتلئة محتدمة المحتوى، تضم عناصر فريدة كثيرة ومتنوعة (ليس لها مثيل في دقتها) ،وان تلك الثمرة تمثل الرحم الكوني العظيم الذي ضم عناصر النشوء الاول . وذُكِر –في الكتاب المقدس– ان (الثمرة) تُشَبه احياناً بـ "الهلبونا" او البيضة ،أي المستقر والمسكن السماوي الذي يحافظ على داخله بواسطة غلاف سميك الى حين نضوج محتواه، فيتبلورعن حياة جديدة تعيد بدورها هي الاخرى دورة الحياة من جديد[٢] .

الثمر داخل الثمر

والاثير داخل الاثير

ويردنا العظيم صار من يورا العظيم

من يورا العظيم المنتشرة اضواؤه ،صار يردنا والماء الحي الذي منه بدأت الحياة، من يردنا العظيم بدات الحياة، وقومت نفسها مثيلاً لمانا العظيم الذي منه انبثقت ومنه طلبها الاول طلبت،فصار الاثري الذي سماه الحي:

الحياة الثانية ... فكان الاثريون الذين لاعدد لهم ولا حدود[٣]

ان ذلك النشوء لم يكن قد اكتمل بعد لأن محتواه مضغوط وهائج وعناصره متباينة، فهو ما يزال ينمو وينضج في ذلك الرحم الكبير او (الثمرة العظيمة) ،ومن بين عناصره؛ مثلاً "بيراط" الثمرة،و "آير" الاثير ،و"مانا" الالق الوهاج او الجوهر ،و"كنا" الفراغ او المكان،و" تنا" البخار الكثيف ،و"نطفتا" قطرة التكوين ،و"دموثا" النظير او الشبيه اوالنموذج. وقد ظهرت هذه العناصر في أوقات ومراحل متعاقبة استغرقت ملايين السنين الارضية ،ولقد تحرك هذا المحتوى وهاج في

---

[١] كنزا ربا– يمين الكتاب الثالث، التسبيح الاول ص٤١ وما بعدها.

[٢] ماجد فندي المباركي ،مصدر سابق ،ص١٠٣

[٣] كترابا –اليمين ،الكتاب الثالث –التسبيح الاول ،ص٤٢–٤٣

والمصطلحات الواردة في هذا النص بحسب ما ذكرت في ملحق الكتاب المقدس هي :

يردنا : الماء الحي ،الماء الجاري

يورا : الجوهرة ،الالق الوهاج

مانا : عقل ،وعاء ،وتعني احياناً النفس ،وتأتي بمعنى احد الاثري ذي مرتبه سامية .

تلك الثمرة في ذلك الرحم الكوني بسبب ما حصل من التضاغط والتسخين في "تنا" وهي البخار او الضباب الكوني المتصاعد الذي انفتح وصب في المنبع العظيم الاول للحياة .

بسم الحي العظيم

هذا هو السر وكتاب الضياء المتقد في داخل "بهثا"

التي انطلقت بنورها وببهائها الذاتي

هو "مانا" الاول صار فيها ونشأ فيها وسكن فيها .

واعترف بـ "مانا" الذي صار فيها واعترف بالبهاء والضياء اللذين صارا فيها .

وخرج البهاء من "بهثا" وحل النور على "بهثا" وخرج منها

ونادى "نبطا" لذاته بهاء وضياء

اللذين كل منهما يتقد بهاء ويتقد ضياء

سخنت "تنا" فذاب الضياء فيها

وعندما اتقد الضياء على "تنا" نشأت الينابيع

واصبح الاتحاد لانهاية له ،صار الاتحاد مع الحياة

فاستقرت (الحياة) داخلياً ،وثبتت ذاتها داخل ينابيع المياه[1]

ولأكمال قصة الخلق المندائية لابد وان نتطرق الى عالم الظلام ،فرغم الوضوح في شرح ماهيته ،فقد تناوله بالتوضيح التسبيح الثالث من الكتاب الرابع عشر من صحف ادم "كنزا ربا" ،الا ان هناك تشوشاً في كيفية وجوده او بدئه . فالنصوص المندائية المقدسة تذكر ان عالم الظلام موجود كوجود عالم النور، لكن النور اقدم من الظلام وسابق له في الوجود. بيد ان الاختلاف بينهما يكمن في العناصر المكونة لهما. فتكوّن الاثير الوهاج في عالم النور قبل الماء الاسود في عالم الظلام ،والماء الحي قبل الآسن ، وشعاع الحرارة الحية قبل شعاع النار الآكلة .ومن ذلك نعلم ان النور قد سبق الظلام في الوجود، لكن ثمة لكل واحد منهما عالمه الخاص به ،وهذه الرؤية تطرح صيغاً واضحة للثنوية .

ان الصراع بين عالم النور وعالم الظلام ،او قوى كل عالم، تلعب دوراً مهماً في قصة الخلق المندائية ، وهي موزعة في اجزاء كتاب (صحف ادم) "كنزاربا" .ففي الكتاب الثالث والرابع والخامس والرابع عشر، ثمة اجزاء متناثرة من صراع قوى النور وقوى الظلام وقصة الخلق بعامة

---

[1] **كورت رودولف ، النشوء والخلق في النصوص المندائية، اعداد وترجمة صبيح مدلول السهيري ،مطبعة الاديب ،بغداد ١٩٩٤، ص٢٨ ،والنص المقدس من الكنزاربا اليمين مترجم عن نسخة ليدزبارسكي كنزا يمين الجزء ١٠ ص٢٣٩ .**

. وقد ناقشها الباحث عزيز سباهي في كتابه (اصول الصابئة المندائيين) ،وقارن قصة الخلق المندائية بقصة الخلق البابلية –ذات الاصل السومري– وهي اسطورة (اينوما ايلتش) .

ان قصة الصراع بين قوى الخير وقوى الشر تبتدئ بالشكل الاتي في الادب الديني المندائي :

واسع وعميق هو المكان الذي يأوي اليه الشر ،من يستوطنه لا يبدي الامان للمنزل الذي يأوي اليه ،ابد الآبدين مملكتهم، جاءت الى الوجود من نفسها ،ينبسط تحتها وفوقها ظلام دامس .

وتتحدث الاسطورة عن بشاعة ملك الظلام الذي يتخذ كل اشكال المخلوقات الارضية، ورغم انه يتحدث بكل اللغات الا انه غبي وافكاره مشوشة ،وهو ذو قوة عظيمة، ثم تواصل الاسطورة وصفه ووصف جبروته :

يستبد بملك الظلام الغرور فيقول :هل هناك من هو اعظم مني ،هل هناك من يضاهيني قوةً ؟ ان وجد هذا سأتهيأ لمنازلته وسأُريه من اين تأتي القوة ، واذ يرى من بعيد عالم النور المشرق ،يغلي الحقد في قلبه ويقرر اشعال الحرب ضد ملك النور وانتزاع تاجه، وبذلك يصبح ملك الاعالي والاعماق ،واذ لايعثر على سبيل يوصله الى السماء يرتفع صراخة فتسمعه عوالم النور [1].

ثم يتحدث ملك النور مطمئناً الملائكة التي تحيط به قائلا: أن الخيبة هي كل ما سيحصل عليه هذا الشرير.

ونكمل قراءة القصة في الكتاب الرابع "صباغة هيبل زيوا"، فنرى ان ملك النور اختار "هيبل زيوا" الشاب ابن "منداد هيي" (عارف الحي) لكي يرسله الى عالم الظلام للقضاء على التمرد، ويزوّده بقوة عظيمة من نور وملائكة ،ويزوّده براية من النور ليبهر اعين قوى الظلام، ويأخذ منه عهداً "كشطا" ،ويخبره ان "اور" او "كرون" ابن "الروها" (ملكة الظلام) يسعى ليحارب عالم النور،فيسير "هيبل زيوا" وصحبه نحو عالم الظلام حتى يصلوا الى "كرون" (جبل اللحم الهائل) ليقول له "هيبل زيوا ": **(بماذا امرك الحي الاعظم ؟ اترغب في ان تحتل وتخضع السماوات ؟)** ،وبعد ان يحبط "هيبل زيوا " قوة " اور " السحرية يقيده بالسلاسل ، ويواصل مسيرته نحو "الروها" ، " قين" او "اناتان" زوجة "كَاف" ملك الظلام ، ويقول لها: **(حين جئت الى الوجود هل كنت انت ممن يضارعني في المستوى ؟)** ،فتستعين "الروها" بعدّتها من السحر التي تكمن فيها كل قوة الظلام ... لكن "هيبل زيوا " يستل منها هذه القوة دون ان تعي ذلك ،فلما تفقد "الروها" عدّتها من السحر تصرخ وتولول : **(من هذا الذي عرف اسمي وفهم إشاراتي؟)**

---

[1] **كنزا ربا –يمين ،الكتاب الرابع ،(صباغة هيبل زيوا) ، مصدر سابق ،ص٨٤**

فيجيبها "هيبل زيوا" بانه رسول (الحي العظيم) الذي أمره بأن ينازل ابنها الذي يثير ضجة ضد مـــــــــن هـــــــــم فـــــــــي عـــــــــوالم النـــــــــور ،فتنهـــــــــره "الروها" وتصارعه إلا انه ينتصر عليها "[1].. اذ ذاك تدرك أن لاحيلة لها مع هذا الجبار فتتذلل له ،وينتزع هو منها جواز المرور(الاسماء السرية) فيتمكن من اختراق عوالم الظلام صعوداً الى السماء دون عائق ، وهناك في السماء يجرى له تعميد خاص ليطهّره مما علق به من عوالم الظلام بعد ان عاد مصطحبا ًمعه "بثاهيل" الذي كان محجوزاً هناك ،وتجدر الاشارة هنا الى ان الملاك "بثاهيل" سيلعب دوراً خاصاً في قصة خلق الانسان [2] ،كما سنرى لاحقا.

وتقول الاسطورة: ان "يوشامن" –وهو من ملائكة الحياة الثانية وله مكانة عالية– قد نادى (خلق او انجب) "اباثر" (من الحياة الثالثة)، وان "اباثر" قد نادى "بثاهيل" (من الحياة الرابعة)،وان "اباثر" اذ داخله الغرور نادى على ابنه "بثاهيل" ومنحه بركاته، وحفزه على ان يقوم بخلق عالم خاص به .. غير انه لم يحدثه عن الخصوم ولم يسلحه او يرشده ،فهبط "بثاهيل" الى مكان لا علم له به وخاض في الوحل والماء العكر ،وهناك احس بان النور اختفى وراح يسائل نفسه عن سر ذلك، فسمعته الـ "روها" ملكة الظلام، وقالت لملك الظلام انظر ماذا حل بالغريب ..وقالت لابنها "اور" ملك الظلام ،انهض ونم مع امك لتحل عنك قيودك (والاشارة هنا الى السلاسل التي قيده بها "هيبل زيوا") ،فيستجيب لها فتلد منه السبعة الاشرار (والاشارة هنا الى الكواكب، لان المندائيين يعتبرونها من قوى الشر)، وتتحدث بعدها الاسطورة عن محاولة "بثاهيل" الفاشلة في خلق الارض ،اذ ذاك تزداد ملكة الظلام "الروها" ضراوة وتضاجع ولدها وتنجب منه اثني عشر وحشاً (اشارة الى بروج السماء الاثنى عشر)، فيقرر "بثاهيل" ترك الارض، فتسمعه "الروها " وتقول لنفسها اذن الغريب لا يملك مزيداً من القوة،اذ ذاك تذهب الى (مصدر الظلام) وكان وحشاً بلا ايد ولا ارجل، وتدعوه لمضاجعتها وتنجب منه خمسة (مرة اخرى تلد الكواكب دون الشمس والقمر)، ويتوسل "بثاهيل" الى (الحي العظيم) ان يمنحه حلة من نور ليستطيع خلق الارض فيُستجاب طلبه ، وبفضل اختلاط النور بالماء العكر تتجلد الارض ،وترتفع ستارةٌ حتى كبد السماء ،فيفرح "بثاهيل" ويمسك بسرة الارض ويحاول ربطها بالسماء ،وبعد جهد جهيد يوفق اخيراً، ويستغل الاشرار فرصة انشغاله لتأخذ البروج الاثنا عشر والكواكب السبع مواقعها في السماء .

ونقرأ في الكتاب الخامس من "كنزا ربا":

---

[1] عزيز سباهي ،مصدر سابق ،ص٧٣

[2] كنزا ربا–يمين ،الكتاب الثالث التسبيح الثاني ،(خلق ادم) ، مصدر سابق ،ص٧٠

(انا ياور هيبل ،مانا النقي ..حين رأيت هؤلاء المسوخ الذين لا يشبهون الجبابرة ، آباؤهم في الاكوان السفلى ، اردت ان ابيدهم ،ثم عدلت قلت ساتركهم يسيرون مسيرة العالم الذي منه ولدوا ،ناديتهم فسقطت قلوبهم من مساندها وبكت "الروها" عليهم ، قالت هذا قاتل ابيكم ..فضجوا حتى مادت بهم الارض)

ثم في مقطع اخر، يقول (هيبل زيوا) الى الكواكب السبعة :

–ماذا ترونني صانعاً بكم ؟

– ما تشاء يا مولانا .

ناديت شامش باسمه وناديت سين ،وكيوان وبيل وليبات وانبو و نيرغ[1] ، كلا ناديته باسمه وقلت لهم: سأُجلسكم على عروش تسير، وأُلبسكم أردية تنير، لتضيؤا هذا العالم ،أمسَكوا بشامش اخيهم الاكبر ..قالوا : ستكون انت ملكنا وتكون ليبات ملكتنا في العالم ..ونحن كلنا لكما مطيعون .

حين سمعت هذا منهم ،امرت لهم بأثريين اثنين، يقفان حارسين ،ويكونان لشامش مساعدين، فأُنيرَ العالم . خرجتُ من جميع تلك العوالم ،وغلقتُ ورائي الاسوار بعد ان وضعتهم كلا في مدار ،ثم اتاني امر الله ،قال اصنع ادم ،امرت السبعة ان يعينوا بثاهيل على صنع الجسد، وصعدت الى كنوز الحياة المعظمة، ابلغت ابي "منداد هيي" ،فجاء بنشمثا (النفس) ،والقاها على جسد ادم فدبت فيه الحياة ،وبأمر الحي صنعت له حواء زوجة، ليتكاثر العالم ويستمر غرسهم فيه، حتى اذا انتهت اعمارهم صعد كل منهم لأبيه[2] .

ولاعطاء فكرة واضحة عن خلق الانسان، لابد من القول ان تكوين الانسان في النصوص المقدسة المندائية يعود الى افكار متعددة ونصوص متنوعة، فضلا عنبالاضافة الى خلط او تغيير كبير في القائمين بعملية الخلق من الاثريين او الملائكة تنفيذاً لأمر الله (الحي العظيم)، وهنا نستطيع ان نقول ان خلق الانسان لايحيد بالمندائيين عن فكرة التوحيد ،وان عملية الخلق تمثلت في مرحلتين :

١- خُلق جسم الانسان بأمر من (الحي العظيم).

٢- نزول "نشمثا" النفس او الروح في الجسد ،وقد حملها الاثريون (الكائنات النورانية) من بيت السر او من (الحي العظيم) وبأمره ،ونزلوا بها وألقوها على الجسد فدبت فيه الحياة .

منسّق:بعد: 0 سم، تعداد رقمي + المستوى: ١ + نمط الترقيم: 1، 2، 3، ... + بدء الترقيم بـ: ١ + المحاذاة: أيمن + محاذاة عند: 0 سم + علامة جدولة بعد: 58.0 سم + مسافة بادئة: 96.0 سم

---

[1] نلاحظ ان اسماء الكواكب هي الاسماء البابلية نفسها، فشمش السومرية هي الشمس نجدها شامش في المندائية والقمر سين في السومرية وسين بالمندائية والمريخ يمثله في السومرية الاله نركال وفي المندائية نيرغ،وعطارد في السومرية (نبو) وفي المندائية انبو ،والمشتري في السومرية بيل وفي المندائية بيل،والزهرة في السومرية انانا وتسمى دلبات وفي المندائية ليبات وزحل في السومرية كوردش وفي المندائية كيوان. خزعل الماجدي ،مصدر سابق ،ص١٨ .

[2] ان كلمة ابي بين الاثريين لاتعني الابوة البايولوجية بل تشير الى تدرج الحيوات حسب الفيض .

ويمكن ان نوجز هذه العملية بما يلي :

تشير نصوص (صحف ادم) " الكنزا ربا– اليمين" في الكتاب الثالث ،التسبيح الثاني (خلق آدم) بصورة مفصلة الى هذا الموضوع :

منسّق:بعد: 0 سم، تعداد رقمي + المستوى: ١ + نمط الترقيم: أ. ب. ت. ... + بدء الترقيم بـ: ١ + المحاذاة: أيمن + محاذاة عند: 0 سم + علامة جدولة بعد: 98.0 سم + مسافة بادئة: 36.0 سم

أ- ان "بثاهيل" وملائكة الكواكب قد كوّنوا (جسم ادم) "ادم بغرا" بإيعاز من "اباثر"، وبقدرة الخالق (الحي العظيم) وارادته ،و"بثاهيل" يسمي آدم (ابناً له) ويعطيه لقب (ملك هذا العالم)، وهو مثيله ومثيل "أباثر" .

ب- بعد خلق جسم آدم بدون "نشمثا" ،وهي النفس وجمعها "نشماثا" وهي جوهر الحياة ،ومصدرها عالم النور، وهي هبة الخالق سبحانه للانسان ،وهذا يعني ان جسد ادم بقي بدون روح او نفس اوحركة .وتدب فيه الحياة بعد دخول "نشمثا" ولا يتم ذلك الا عبر الخطوات التالية:

١- يطلب "بثاهيل" المساعدة من ابيه "اباثر" الذي يذهب الى (المكان الخفي السري) " اثرا–كسيا " ويجلب "نشمثا" بأمر الخالق (الحي العظيم) وبموافقته .

منسّق:بعد: 0 سم، تعداد رقمي + المستوى: ١ + نمط الترقيم: 1، 2، 3، ... + بدء الترقيم بـ: ١ + المحاذاة: أيمن + محاذاة عند: 0 سم + علامة جدولة بعد: 96.0 سم + مسافة بادئة: 96.0 سم

٢- يعطي "اباثر" "نشمثا" الى ابنه "بثاهيل".

٣- بعد ان يعطيها الى "بثاهيل" ،ينادي "منداد هيي" (عارف الحي) على المساعدين وهم "هيبل" و"شيتل" و"آنوش" وهم اثريون من درجة عالية (القيمون ،الطيبون)، ويطلب "منداد هيي" منهم ان يحموا "نشمثا" لأهميتها وقدسيتها ،وان يتدبروا الامر بحيث يجعلوا "بثاهيل" لايعرف كيف تدخل "نشمثا" الجسد ،في اشارة الى درجة"بثاهيل" الواطئة كأثري مقارنة بالاثريين الكبار.

٤- يجب على "ادكاس –مانا" حارس "نشمثا" او على "منداد هيي" ان يعودا بـ "نشمثا" ثانيةً بعد الموت الى موطنها الاصلي (ملكوت الحي).

٥- يقوم "بثاهيل" بلف "نشمثا" برشامته او بعمامته ،ويجلبها (مخفيه) الى "تيبل" وهي الارض الزائلة (او العالم الارضي المادي) ،يرافقه الاثريون المكلفون بحماية "نشمثا" .

٦- ان "بثاهيل" لايرمي بـ"نشمثا" في جسد ادم ،بل ان "منداد هيي" هو الذي يقوم بذلك .

٧- يصعد "ادكاس زيوا" إلى موطنه بعد دخول "نشمثا" في جسد آدم ،وبعد ان تكون قوة الحياة قد حلّت في آدم.

٨-٨- ينفذ "منداد هيي" امر (الحي العظيم) بأن يحمي "نشمثا" من الاشرار ،وان يكشف لآدم المعرفة فيقوم بتعليم آدم المعرفة الحقة المتمثلة في صحف أدم "كنزا ربا "وهي –حتى اليوم – الكتاب المقدس للصابئة المندائيين [1].

[1] كورت رودولف ،اعداد وترجمة د. صبيح مدلول السهيري ،النشوء والخلق في النصوص المندائية ،مصدر سابق ،ص١٤١ وما بعدها .

المبحث الثاني : المقدسون

ان للقدسية عند طائفة الصابئة المندائيين سمات خاصة تختلف عن الاديان الاخرى المعروفة ، فهناك القدسية الكبرى للكائن الأسمى والأعلى والمنزّه عن كل الصفات المادية. ولكن لابد من الاشارة الا ان القوة العظمى الخالقة في الفكر المندائي تكاد ان تكون متعالية أي غير داخلة بشكل مباشر في تفاصيل الخلق والحياة ، وهذا – بحسب رأي الباحثة (دراوور)– اقرب ما يكون الى تقديس قوانين الحياة ،اذ ان لب او جوهر الدين الصابئي عبر جميع التقلبات والتغيرات هو عبادة (قوانين) الحياة والخصب القديمة، فالحياة العظمى لديهم تتجسد كقوة كونية خلاّقة نافعة ، غير انه تجسيد سطحي ، و يكون الحديث عنه دائماً بصيغة الجمع المبهمة فيبقى تجريداً غامضاً . كما وان رمز الحياة العظمى لديهم هو (الماء الحي) او الجاري الذي يسمونه "يردنا".[1]

ثم ان هناك بعد القوة الخلاقة غير المحدودة ، كائنات نورانية او كما يطلق عليها بعض الباحثين نصف إلهية ، وهذه الكائنات هي "الاثري" و"الملكا" ، وهي كائنات نورانية خلقت من كلمة (الله) . وتمتلك الـ"الاثري "و " الملكا " قدرات او مشاركات في اعمال الخلق وتسيير شؤون الكون،وهذه القدرات ممنوحة لهم من (الحي العظيم)، مصدر القوة وقانون الحياة الذي يسيير الكون. ثم يأتي تقديس الأنبياء والرسل بالمرتبة اللاحقة،وبما أن الديانة المندائية ديانة عرفانية ، فان العلم الإلهي ياتي بواسطة الالهام او الكشف للبعض الخاص من البشر الذين هم بمواصفات خاصة جداً. ورغم ان الدين المندائي ، وبحسب الادب الديني الموجود بين أيدينا اليوم ،يعود بنفسه إلى آدم (ع) –بحسب (صحف آدم) الكتاب المقدس الرئيسي للطائفة – أي انه الدين الاول للبشر ، الا اننا لا نلاحظ وجود عدد كبير من الانبياء وهذا ما سنأتي على تفصيله . ثم يأتي تقديس الهيئة الكهنوتية التي تسير الامور الدينية وكانت تسير في الماضي الامور الدنيوية ، الا ان ثمة تغيّرات حدثت للهيئة الكهنوتية سندرسها بالتفصيل،واخيرا يأتي المصدر الرئيس للقدسية المتمثل بالكتب المقدسة وسنلاحظها ونشرحها لاحقا.

١.**الملائكة :** وهي كائنات (شبه الهية) موكلة بحمل ارادة (الحي العظيم) وتنفيذها ، وهي تابعة للخالق،تامة غير ناقصة ، حياتها لا يأتيها الباطل ، وقد (نادى) الخالق فكانت (كلمته) التي اوجدت هذه الكائنات النورانية الاثيرية.

---

[1] **الليدي دراوور ، الصابئةالمندائيون ،مصدر سابق ، ص٣٠–ص٣١.**

لقد ترجم د.ليدزبارسكي كلمة " ملكا " الى (ملك) وليس (ملاك) ، رغم ان وظائف "الملكا" تشبه وظائف (الملاك) في اليهودية وفي الإسلام[١].ولكننا يجب ان نوضح ان كلمة "ملاكيا" قد تدل على الارواح الشريرة ايضا.

وفي الادب الديني المندائي أشارات يجب ان نسلط عليها الضوء ،اذ ان كلمة "ملكي" في حالة الجمع تطلق على الكائنات (فوق البشرية) الشريرة والطيبة ، بينما يستخدم مصطلح "اثري" وهو جمع "اثرا" على الكائنات (فوق البشرية) الخيرة فقط . وعلى العموم فـ"الاثري" تدل على الارواح التي تهب الحياة وتديمها بأمر (الحي العظيم)، وهي ذات صلة بالكلمة السريانية "يثري" أي يغتني بحسب راي (دراوور)[٢] ،اذ ترى الباحثة ان معناها (يمتلئ حتى يطفح) ، وهذا الاشتقاق قريب من مفهوم نظرية الفيض الإلهي التي تمثل الاساس للفقه العرفاني المندائي.

ويذكر البرفوسور "روبرتسن سمث" في كتابه "اديان الساميين" اسم اله في الجنوب العربي يسمى "اثتار" يتحكم في الري، ويقول ان "عثاري" كانت تعني ما يروى من السماء،وهذا مصدر المعنى الأصيل لهطول المياه من السماء على الارض ،وهو يكتسب لدى الصابئيين صفة الماء الحي ألآتي من بيت الحياة . وهكذا – وبحسب رأي (دراوور)– يمكن ان يكون معنى "اثري" ارواح الحياة التي تهب الخصب والغنى على شكل مطر وينابيع . وفي الاراضي القاحلة التي لا تنبت الا حين يهطل المطر،فان رسلاً كهؤلاء هم حقاً (واهبو الحياة)[٣]. وهناك تدرّج واضح في المنزلة والاهمية والمهام او (الوظائف) التي تؤديها الكائنات النورانية ، فهي ليست بمستوى واحد من التقديس ، كما ان هناك تدرجا او تصنيفا للقوة على اساس مرحلة الخلق التي خلق فيها "الاثرا" ، فمثلاً "مار اد ربوثا" اذ هو ذو اهمية كبيرة وهو (سيد العظمة) وناقل اوامر (الحي العظيم) ونواهيه[٤]يأتي بدرجة عالية، بينما "يوشامن" اذ هو من الحياة الثانية (المرحلة الثانية) يأتي بمرتبة اقل شأنا من الاول . و في بعض الاحيان تطلق صفة الاب او الابن على هذه الكائنات ، والاشارة هنا لا تعني البنوة البايولوجية مطلقا وانما يعتبر "الاثرا" الذي (ينادي) عالماً فيه "اثريين" بمثابة الاب لهم، فيقال "اباثر" ابن "يوشامن" ، وكذلك "اباثر" ابو "بثاهيل" وهو "أثرا" لعب دوراً مهماً في خلق الانسان والعالم المادي.

ويمكن ان تناط مهمة محددة بـ"الاثري" ، او تتعدد مهامه ، فالملائكة الكبار الثلاثة وهم "انوش وهيبل وشيتل" (وهنا نلاحظ تشابهاً مع اسماء اولاد ادم) هم (اثريون) او ملائكة متعددي المهام كما سنرى . اما "اباثر" فهو ملاك الميزان الذي يزن اعمال البشر من حسنات وسيئات ،

---

[١] **الليدي دراوور ، مصدر سابق ، ص١٥٦.**

[٢] **المصدر نفسه، ص١٥٨.**

[٣] **نقلاً ، عن دراوور ، مصدر سابق ، ص١٥٩.**

[٤] **مصطلاحات كنزاريا اليمين ، طبعة بغداد .**

ولـه صـفات عديـدة منهـا: العتيـد ،السـماوي ،المصـون ،الخفـي ،وهـو كمـا اشـرنا يمثـل الحيـاة الثالثة[١].

كما يختص بعض "الاثريين" بان لهم مطهراً ، مثال ذلك "نباز هيلا" فهو كائن نوراني وله مطهر لتطهير النفس من اثامها، ومثله الاثري "نباط العظيم" الذي يمتلك مطهرا ايضا[٢]. وقد تناط بالاثرين مهام محددة مثل "شلماي وندباي" وهما ملاكان نورانيان يحرسان الماء الجاري او الماء الحي "اليردنا" ، وهي المهمة نفسها التي يؤديها "ادثان ويدثان" الاثريان اللذان يحرسان "اليردنا" السماوي، فضلا عنبالاضافة الى مهمتهما في الوقوف عند بوابة الحياة لمراقبة الارواح والانفس[٣].اما الاثري "بثاهيل" فهو ملاك من درجة اوطأ من القدسية والمنزلة مقارنة بالسابقين لانه يمثل الحياة الرابعة، ولكن اهميته تتجلى في عملية الخلق والتكوين، بالاضافة الى كونه له مطهراً[٤].وفي حالة الاثري "بثاهيل" يجب ألا نغفل ملاحظة الباحثة (دراوور) التي تقول بان هناك علاقات بين عالم النور والخير وبين عالم الظلام و الشر،فالملاك او الاثري "بثاهيل" ناتج من اب من عالم النور هو "اباثر" –وهو "اثرا" له مكانه سامية كما مر بنا– ومن ام من عالم الظلام،ولذلك كما تلاحظ (دراوور) كان خلقه للعالم المادي غير ناجح[٥].كما ان الملاك ذو الاهمية الكبيرة "هيبل زيوا" قد تزوج من "زاهرييل" وهي أخت "الروها" ملكة الظلام[٦].

ويجب ان نوضح نقطة اخرى مهمة، وهي ان سيرة "الاثري" ليست دائماً مثالية وخالية من الصراعات والنزاعات ، فعند قراءتنا لـ "دراشة اد يهيا" وهو ثاني الكتب المقدسة المندائية وهو (مواعظ وتعاليم يحيى بن زكريا "ع")، نرى في احد النصوص اسئلة (الحي العظيم) واجابات احد الاثرين عليها وهو "يوخابر" ،فيسأل (الحي العظيم) بالصيغة التالية: **عند بوابة العالم وقف الحق متسائلاً :**

من جلا سر الحياة العظمى ؟ من اطلق العداوة والخصام في عالم النور؟ من اجتاز المنازل ؟ ومن احدث بلبلة وفوضى في سيناويس ؟ –سيناويس مكان في عالم الظلام– "اور" ملك الظلام من قيده والقى به في غياهب السجن ؟ من انزل "يوشامن" من عرشه ؟ ولماذا اثروا ان يكون "اباثر" حاكماً ؟ لماذا اوجدوا النقص والعوز في العالم ؟ من كلمت الـ"روها" ؟ من اوضح الحق في العالم ؟ ومن نشر الرحمة ؟ من أثار العصيان في السماء؟

ثم تبدأ اجابة الملاك "يوخابر" مفصحاً عن افكاره اذ قال :

---

[١] كتزا ربا يمين ، مصطلحات كتزا ربايمين ، طبعة بغداد.

[٢] المصدر نفسه.

[٣] المصدر نفسه.

[٤] المصدر نفسه.

[5] E.S.Drower, Haran Guaita and The Bapitizm of Hibil Ziwa، P.34.

[٦] عزيز سباهي ، مصدر سابق ، ص٧٧.

"يوشامن" جلا سر الحياة،"هيبل" اجتاز المنازل واحدث "بسيناويس" الفوضى ، وزعزع سر الظلام، وبمشيئة الحي العظيم زج بـ"اور"ملك الظلام في سجن لا قرار له ، "يوشامن" هو الذي اطيح بعرشه، اذ اراد ان يثير صراعاً ، "اباثر" اصبح حاكماً ،وقد انزله "هيبل زيوا" الى الماء الاسن ومن مقامه جهر بالقول:

انا من الملائكة،وابن الملاك العظيم،الخاتم يثبتني في مكاني ، وقد تضاعفت قوتي،واني ادعو ان يُنحّى "بثاهيل"

في العالم السفلي اودع "اباثر" واوصدوا دونه الابواب ،حيث اقصي عن عرشه بعدئذً اصبح ملاك الميزان[1].

اذن ها نحن نقرأ قصة تمرد حدث في عالم الانوار،وكانت احداث هذا التمرد تدور في عالم الظلام،حيث يوجد تمرد اخر (كما مر بنا سابقاً) في عالم الظلام،وهناك عقوبات وسجون وإطاحة بعروش الاثريين الكبار ، ثم ياتي بعد ذلك قرار الحي العظيم بالعفو عنهم واعادة الامور الى نصابها.

وقبل ان ننهي الحديث عن موضوع (الملائكة) ، يجب ان نذكر عالم نوراني اخر هو "مشوني كشطا" او ارض الحق او ارض العهد،وهو العالم المثالي للصابئة المندائيين، ويقطنه احفاد "ادم كسيا" او ادم الخفي او ادم النوراني،فثمة فكرة دينية مندائية مطابقة لفكرة المثال لدى افلاطون،اذ يعتقد المندائيون ان هناك اثنيان من كل شيء في الدنيا،الواقع ومقابلهُ المثالي "دموثا" . والمثال او الشبيه "دموثا" يعيش في "مشوني كشطا"،وعند الوفاة يفارق انسان الارض جسمه الترابي ويلتحق بالجسم الاثيري لشبيهه، وفي هذا الجسم الاخير تعاني الروح آلام التطهير،اما الشبيه "دموثا" في "مشوني كشطا" ،فهو عند وفاة صنوه الارضي يغادر جسده الاثيري الذي استقر به ويدخل في جسم نوراني.وحين يكون على اتم نقاوته يعرج حالاً الى عالم الانوار،حيث تكون النفس البشرية قد اتمت دورتها التطهيرية واذنت لها موازين "اباثر" بالانعتاق من اعبائها، فتدخل هي الاخرى عالم الانوار و يتحد الاثنان . ويقول المندائيون ان الوحوش والطيور والازهار وكل مافي الدنيا المادية له مقابله في "مشوني كشطا" ،وكذلك يقال ان سكان "مشوني كشطا" يتزوجون ويتناسلون لكن دون إتيان اية نجاسة ،ويكونون احياناً على صلة بمماثليهم الارضيين.

---

[1] دراثة اد يهيا ، تعاليم يحيى بن زكريا ، ترجم عن المندائية على يد لجنة الترجمة ، ط١،بغداد ،٢٠٠١م، ص٦.

ومن الجدير بالذكر ان مكان "مشوني كشطا" غير واضح او محدد، ولكن على العموم يشار الى انه في الشمال وراء منطقة الجليد والثلج حيث النور الدائم، وحيث يمكن لسكانه ان يتخاطبوا مع "الملكي" و"الاثري" وان يشاهدوهم[1].

٢.**الانبياء** : وكما اشرنا في بداية هذا المبحث فان الدين المندائي لا يشير الى كثير من الانبياء،لان هناك الكثير من المهمات يقوم بها الـ"أثريون" في نقل الرسالة من (الحي العظيم) الى بني البشر. وقسم منهم يصل الى مراحل متقدمة من "الناصروثه" التي تعني المعرفة الحقة باصول الدين المندائي ،و الناصورائيون، ومفردها" ناصورائي" ، تعني الضليع في الديانة المندائية والمتعمق فيها والمدرك لأسرارها[2].فمثلاً في الكتاب السابع عشر من الكنزا ربا–اليمين في التسبيح الاول ("انوش" هو الكلمة)

يا "انوش".علّم الناصورائيين و المندائيين ،علّم المختارين الذين ستعود بهم من العالم،علّمهم الصلاة في اوقاتها والتسبيح،وليعلموا ان كل صلاة تتأخر عن ميقاتها تبقى عند باب بيت الحي لا تصعد حتى يفتح باب "اباثر" العظيم.

ولكننا نجد ذكر عدد من الانبياء، يأتي في مقدمتهم النبي آدم (ع)، فهو أبو البشر،وقد علّمه الملائكة كل العلوم ،ويعتبر المندائيون ان كتابهم المقدس "كنزا ربا" هو الصحف التي اوحي بها لآدم ، لذلك يسمى الـ "كنزا ربا" احياناً (صحف ادم) ،وادم (ع) هو اول انبياء المندائية،اذ يقول المندائيون: لقد جاء سيدنا آدم (ع) بتعاليم (الحي العظيم)، ليهتدي بها البشر بعده الى العمل الصالح ،ولينجوا من عذاب الآخرة ،وهو مذكور في تفاصيل الخلق وفي سفر مفرد له في الكتاب الثالث التسبيح الثاني من "الكنزا ربا–اليمين".

ومع ابناء ادم (ع) يكون هناك خلط او تحول شخصيات بشرية الى كائنات روحانية، مثل "شيتل" ابن آدم(ع) ،اذ يوصف بأنه "شيتل" الامين،وكذلك "آنوش" ابن شيتل (ع)اذ يوصف بانه "انوش" الامين ايضا،ونقرأ مثالاً على ذلك:

نزل الحي منزلاً فأشرق الضياء في الاثير السني ،هذا هو السر ،وكتاب انوش الامين بن شيتل الامين بن آدم الامين بن الاثريين الاجلاء ذوي الوقار، بن بلد النور،بن الدار المتقنة.

---

[1] دراوور ، مصدر سابق ، ص١١٠ الى ص١١٢.

[2] كنزا ربا–يمين ، طبعة بغداد ، الكتاب السابع عشر التسبيح الاول ، مصدر سابق، ص٢٦٣.

انا الذي كلي اثريون،ابن عالم الخير،اثريان اثنان ،اذ هما يفكران ، ومع نفسيهما يتأملان خطر لهما ان يناديا الاثري الجليل الاول[1].

ومن ذلك يتضح تحول الشخصية الانسانية الى كائن نوراني. وهناك خلط بين ذرية آدم وهم "شيتل وانوش" وبين كائنات نورانية اثرية تحمل الاسماء نفسها ، وقد ادى هذا الخلط في الاسماء الى خلط مربك في الشخصيات لدى الاطلاع على التراث الديني المندائي.

و من الشخصيات المقدسة لدى المندائيين النبي ادريس (ع) ويطلق عليه في "الكنزا ربا" اسم "دنانوخت"[2]،والنبي ادريس (ع) موجود في اكثر من موروث ديني في المنطقة ،اذ يطلق عليه المصريون القدماء اسم (هرمس) ،وهذا الاسم هو من الاسماء المقدسة لدى الطائفة حتى اليوم ، اذ نجد ان الكثيرين يحملون اسم (هرمز) كاسم ديني لهم "الملواشة". ويشير الاستاذ عبد الحميد جودة السحار،الى ان الله قد بعث النبي ادريس (ع) الى الناس يدعوهم الى عبادة الله الذي له السموات والارض ، ويحدثهم عن البعث والحساب والميزان والجحيم والخيرات التي اعدت للمتقين، فآمن المصريون بالله في فجر التاريخ، قبل ان يوحد مينا الوجه البحري والوجه القبلي،وعرف اتباع (ادريس) بالصابئيين، وعرف الكتاب الذي جاءهم به بالـ(كنزة) ولم تقم دعوة ادريس داخل حدود مصرفحسب ، بل لقد ذهب بدعوته الى بلاد العرب ، يدعو الى عبادة الله . ونرى ان المندائيين اليوم يعتقدون ان اجدادهم كانوا في مصر ، وانهم طاردوا مع فرعون اليهود الذين فروا مع النبي موسى (ع) ، ثم غرقوا في البحر الاحمر .ويقيم المندائيون اليوم وجبة طقسية على ارواح اجدادهم الغرقى في ذكرى الحملة المصرية ،ويطلقون على هذه الوجبة اسم (العاشورية)[3].

ويعتقد المندائيون ان البشر قد عصوا دعوة آدم وشيتل وادريس "دنانوخت" لمّا تقادم عليها الزمن،فأشركوا الاصنام مع عبادة الله ، فارسل لهم نوحاً يهديهم الى الطريق القويم، ولبث في قومه طويلاً يدعوهم الى توحيد الله فعصوه..فشكا امره الى ربه بعد اليأس منهم،فعاقبهم الله بالطوفان ، وقصته مشهورة ويسمى عند المندائيين "طوفانه" ، وتشيرالكتب المقدسة المندائية الى ان العالم يفنى ثلاث مرات ، وينجوا منه ذكر وانثى او بعض البشر القلائل فيعيدون بتكاثرهم الجنس البشري ، وتحدد الكتب المقدسة ايضا تواريخ الفناءات كما وتحدد عمر الانسان على الارض وفقا لذلك .وهذه الفناءات هي :

١. الفناء بالماء.
٢. الفناء بالهواء.

منسّق:بعد: 0 سم، تعداد رقمي + المستوى: ١ + نمط الترقيم: 1، 2، 3، ... + بدء الترقيم بـ: ١ + المحاذاة: أيمن + محاذاة عند: 0 سم + علامة جدولة بعد: 36.0 سم + مسافة بادئة: 36.0 سم

---

[1] **الكنزابا اليمين ، الكتاب الثالث عشر (انوش) ، مصدر سابق ، ص١٩٤ .**

[2] **معجم مصطلحات الكنزاربا–اليمين ، طبعة بغداد.**

[3] **دراوور ، مصدر سابق ، هامش المترجمان ص٥٠.**

٣. الفناء بالنار.

ومماسبق يتضح لنا ان نوحاً (ع) هو احد الأنبياء المندائيين، وابنه سام (ع) هو جدهم الاعلى[١]،ونلاحظ ان اسم (سام) شائع كثيراً بينهم حتى هذا اليوم.

لقد وقع بعض الباحثين –المندائيين وغير المندائيين– بالتباس في أعتبار ان النبي ابراهيم الخليل (ع) هو احد انبياء المندائيين، واعتبروا– خطأً –انه "بهرام ربا" ،بينما يرى المدقق بوضوح ان "بهرام ربا هو " اثرا " او ملاك ولا علاقة له بإبراهيم الخليل[٢].ومن الجدير بالذكر ان اسم " بهرام ربا" هو من الاسماء التي تذكر في اثناء عملية الوضوء " الرشامة " وسنأتي على تفاصيل ذلك في مبحث لاحق .

اما النبي الاوضح سيرة و الأكثر تأثيرا والاقرب تاريخاً فهو يحيى بن زكريا(ع) او كما يطلق عليه في المندائية "يهيا يهيانا"، اذ تروي الكتب الدينية المندائية انهم–المندائيين– كانوا قد ~~المندائيين~~–تعرضوا لنكبة قبل مولد النبي "يهيا يهيانا" على يد اليهود ، واضطهدوا ،ولكنهم استمروا في ممارسة طقوسهم بشكل سري متضرعين الى الحي العظيم ، حتى ولد النبي يحيى "يهيا يهيانا" بمعجزة[٣] ، لان والديه كانا قد بلغا من الكبر عتياً ، وهو لذلك–بحسب الميثولوجيا المندائية – جاء من الماء الحي "اليردنا" بامر الحي العظيم ودخل الى رحم (أُمه) ، وبعد الحمل والولادة المعجزة ، تاخذه الملائكة خوفاً عليه من غدر اليهود ، ويذهب به "ملكا انوش اثرا" ويرتقي به جبل بروان الابيض "طورا بروان هيوارا" حيث يتربى الاطفال بالماء المقدس ، ويتغذون من الشجرة المرضعة للاطفال "ايلانا اد ماربي يانقي". ليعيش يحيى مدة~~فترة~~ هناك الى ان يحين اظهار نبوّتهُ و ارساله الى العالم الارضي،أذ تُقرأ عليه بعض الكلمات السحرية والطلاسم والاحراز في الجبل الابيض المقدس ، ويعلمه الملائكة كلمات اذا نطق بها حصل له ما شاء ، وما أراد ، ثم يأمرون "انوش اثرا" ان يصحبه .

وتقول القصة: ان يحيى و"انوش اثرا " ركبا زورقاً في الفرات وعادا الى اورشليم ، فعاد ~~الى~~ يحيى الى ابيه ، وما ان وصلا الى القدس حتى رجع "انوش اثرا" الى عالم الانوار ، فاظهر هناك يحيى " يهيا يهيانا" نبوّتهُ وكانت من علاماتها شفاء المرضى والعميان ، فلم تؤمن به اليهود واحرقوا داره ، فلم تضره النار، ثم آمنوا به الا "اليعازر" واتباعه (وقد كان اليعازر زعيم اليهود في بيت المقدس في تلك الفترة)[٤] . وجمع المندائيين مرة اخرى وكتب لهم الصحف

---

[١] عبد الفتاح الزهيري،الموجز في تاريخ الصابئة المندائيين (العرب البائدة) ،ط، ،بغداد ،١٩٨٣،ص١٤٣.

[٢] عبد الحميد عبادة ، مندائي او الصابئة الاقدمون ،تحقيق رشيد الخيون، لندن طبعة اولى،٢٠٠٣،هامش ص٨٨.

[٣] امين فعيل حطاب،(يهيا يهيانا) في النصوص المندائية (كرسات مندائية) ،بغداد ،٢٠٠١.

[٤]عبد الحميد عبادة،مندائي اوالصابئة الاقدمون ،تحقيق رشيد الخيون ،مصدر سابق، ص٧٥ .

والتعاليم حتى حان موعد وفاته . اما قصة الوفاة ،فنقرؤها بتفاصيلها في كتاب (تعاليم يحيى) " دراشه اد يهيا " لتصبح فيما بعد اساسا لتعاليم الدفن وطقوس الموت .

٣. الكتب المقدسة : يتميز الادب الديني المندائي بتنوعه وكثرة نصوصه المقدسة ، وان سعة هذا الادب وتنوعه قد يشيران الى انه لم يوضع كله للاغراض الدينية[١] . ولم تكن وظائف رجال الدين منذ ازمنة غابرة– امتدت الى نهايات القرن التاسع عشر– محصورة في الجانب الديني فقط ، بل انهم تعدوا ذلك ليتولوا شؤون التطبيب واستطلاع الفأل وغيرها .

يعدتبر كتاب "كنزا ربا" الكنز العظيم او (صحف ادم) ، الكتاب المقدس الرئيسي للطائفة ، وهو كتاب كبير يحتوي على (كتب او "بوثات") تماثل السور او الاصحاحات ، وتقسم الى تسبيحات ، ويحتوي الكتاب على جزئين، يسمى الجزء الاول "الكنزا – يمين" : ويحوي على اصحاحات نظام الكون والخليقة وخلق ادم والثواب والعقاب وادعية وحكايات وقصص بعض الانبياء مثل "دنانوخت – ادريس" . اما القسم الثاني فهو "الكنزا – يسار" وهو مثبت مع الكتاب الاول بشكل مقلوب في نهايته ، وهو مقتصر على معالجة خروج الروح ورحلة الروح وشؤون وطقوس الموت . وقد ترجم هذا الكتاب منذ عام ١٨١٣م من قبل ماثيو نوربيرغ السويدي ، وظهرت له ترجمات وتعليقات في ازمنةفترات مختلفة بلغت ذروتها في ترجمة البروفسيور (ليدزبارسكي) النفيسة الى اللغة الالمانية[٢]وقد طبعت عام ١٩٢٥ م. وكانت هذه الطبعة مصدرا مهما للترجمة الى اللغة العربية في سدني قام بها عدد من المترجمين ، مع مقارنة لها بالنسخة المندائية ، وقد قام بالترجمة (كارلوس جيلبرت) وطبع الكتاب ونشر عن منشورات الماء الحي (عام٢٠٠٠ م) ، وفي الوقت نفسه تقريبا تمت ترجمته عن المندائية ، وقد قام بالترجمة لجنة ترأسها يوسف متي قوزي وصبيح مدلول السهيري الى اللغة العربية ، ثم قام الشاعر المندائي الكبيرعبد الرزاق عبد الواحد باعادة صياغتها العربية ، وذلك في عام (٢٠٠٠م) في بغداد .وقد ثار جدل كبير حول نسخة بغداد ، اذا اثيرت مشاكل اهمها اعادة الصياغة التي اعتبرت انها غير امينة للاصل ، وانها ناقصة وغير معتمدة ، ومع هذا فقد اصبحت هذه النسخة اليوم الاكثر شيوعا والاوسع استخداما بين ابناء الطائفة. ان النقطة الاساسية في موضوع ترجمة الكتاب المقدس هي ان اغلب ابناء الطائفة لا يفقهون لغتهم الاصلية ، وحتى ان من حفظ منهم نصوصاً ، فانه يرددها دون فهم دقيق او واع لمضمونها. وبعد ان تمت الترجمة وبدء ابناء

---

[١] عزيز سباهي ، مصدر سابق، ص١٣ .

[٢] ليدي دراوور ،مصدر سابق ، ص٦٩ .

الطائفة –و لاسيماخصوصا الشباب منهم – الاطلاع على ادبهم الديني وفهمه ومناقشته ، تولد بين ابناء الطائفة نوع من التلاحم والترابط حول نواة الهوية الدينية لهم.

ويأتي الكتاب الثاني في الاهمية من الكتب المقدسة كتاب " دراشة اد يهيا " (تعاليم يحيى بن زكريا) ، وقد ترجمه البروفيسور ليدزبارسكي عام ١٩١٥م الى الالمانية ، ويضم مجموعة من التراتيل والنصوص التي تتحدث عن النبي (يحيى بن زكريا) " يهيا يهيانا " ونشأته ، وهجرة الناصورائيين من فلسطين الى الفرات ، وقد قام بترجمتة من اللغة المندائية الى العربية مباشرة الاستاذ امين فعيل حطاب ، واعد الصياغة الادبية للكتاب سميع داوود سلمان ، وقد صدرت الطبعة العربية الاولى في بغداد سنة ٢٠٠١ م .

وفي نهاية عقد التسعينات ، قام مجلس شؤون الطائفة العام بتشكيل لجنة اطلق عليها اللجنة العليا للترجمة ، وقد تألفت من السادة بشير عبد الواحد يوسف وحمودي مطشر تقي وداخل يوسف عمارة ونزار ياسر صكر، وقد اصدرت هذه اللجنة مجموعة مهمة من الكتب والكراسات باللغة العربية بعد ترجمتها عن المندائية ، كما وقام الاستاذ امين فعيل حطاب بترجمة كتاب "الانياني"وهو كتاب الادعية والصلوات المندائية وصدر عن مركز الدراسات والبحوث المندائية في بداية هذا القرن . وطريقة الاصدار كانت مميزة اذ طبع بطريقة صفحة باللغة المندائية تقابلها ترجمتها باللغة العربية ، وهذا الكتاب يضم الادعية والوضوء والصلاة "البراخا" وتقسيماتها بحسب الايام والاوقات .

كما قام الاستاذ امين فعيل حطاب بترجمة كتاب "ديوان حران كويثة" (ديوان حران الداخلية)،وهو كتاب مهم يروي تاريخا افتراضيا لرحلة المندائيين من فلسطين الى جنوب العراق ، وينتهي سرد الحوادث في هذا الكتاب بالفتح العربي. وقد قامت السيد (دراوورد) بترجمته ونشره مع كتاب "مصبتا اد هيبل زيوا " (تعميد هيبل زيوا) في الفاتكان عام ١٩٥٣،بينما كانت ترجمة الاستاذ امين فعيل حطاب الى العربية وعن المندائية مباشرة ، وطبع بالطريقة نفسها (اي مثل كتاب الانياني– صفحة مندائية يقابلها معناها بالعربي) وصدر في بغداد عام ٢٠٠٣ م . وحري بنا ان نشير هنا الى دور المهندس (لؤي زهرون حبيب)، الذي اوجد الحرف المندائي على الحاسبة الالكترونية ، وبالتالي سهّل الكثير من عملية الطباعة باللغة المندائية ، وهذا ما حصل في الكتب التي ترجمها الاستاذ امين فعيل حطاب[1] .

كما قام الاستاذ امين ايضا بترجمة كتاب الـ" قلستا " وهو (ترانيم الزواج المندائية) بتكليف من مركز البحوث والدراسات ،وتم نشره في بغداد عام ٢٠٠٣ م. وقد سبق ان ترجمته

[1] ديوان"حران كويثة" ، اعداد لؤي زهرون حبيب ، ترجمة امين فعيل حطاب ، بغداد ٢٠٠٣ ، مقدمة الديوان .

الليدي (دراوور) تحت اسم (كتاب الصلوات القانوني – القلستا) عام ١٩٥٩ م[١] . وهناك مجموعة من كتب الادب الديني المندائي مختصة بقضايا الفلك كما فهموه في زمن كتابة هذه الكتب . وتضم هذه المجموعة كتبا ربما كان اهمها كتاب " اسفر ملواشة" (سفر البروج)، ويتضمن هذا الكتاب نصوصاً متنوعة عن الفلك والتنبؤات ، وهو مكرس لقراءة الطالع ، ويضم الى جانب ذلك نصوصا سحرية مقتبسة من مصادر يونانية وفارسية وعربية . وقد ترجمته السيدة (دراوور) الى اللغة الانكليزية ونشرته عام ١٩٤٩م[٢] . وقد قامت بتحقيقه و ترجمته الى اللغة العربية كرسالة ماجستير في جامعة بغداد كلية اللغات /قسم اللغة العبرية الطالبة بروانايا الزهيري ، باشراف أ.د.يوسف قوزي . اما الكتاب الثاني المختص بالفلك فهو كتاب " شباني شايي " (ساعات النهار) والذي يعالج تصور رجال الدين المندائيين عن قيمة كل ساعة من ساعات النهار على وفقا لحسابات فلكية.

كما اشارت الليدي دراوور الى وجود كتابات وطلاسم وادعية ونصوص سحرية لطرد الارواح الخبيثة ولاستجلاب عطف القوى الروحانية وما شابه ذلك[٣] . واشارت الى اهمية كتابات الرقى الصابئية ،اذ ان هذه الكتابات لم تحظَ بالاهتمام الذي تستحقه بأستثناء الكتابات المنقوشة على القحوف . فقد اعتاد المندائيون منذ القدم وفي اوقات تفشي الاوبئة ان يدفنوا في عتبة الدار او مع المتوفي في قبره بعض القحوف وقد كتب عليها تعاويذ لتصدّ عنه ارواح الظلام. وتربعتبر دراوور ان الكتابات الطلسمية كلها تحمل الروحية والاسلوب نفسه ، وقد استنسخت واعيد استنساخها منذ قرون (وغالبا دونما ادراك) ، لان البعض من اسماء الارواح الطلسمية التي لا تزال تذكر فيها قد اختفت من الدين الاصلي ، وهي غير موجودة الان في أي كتاب من كتبهم المقدسة.

٤. **الهيئة الكهنوتية :** تتمثل الهيئة الكهنوتية في طبقة او شريحة رجال الدين،وتتدرج هذه الشريحة عند المندائيين بتدرجات دقيقة ، ويتم الانتقال من درجة الى اخرى عبر اجراء طقوسي صارم ودقيق ،تحسب فيه خطوات التعميد وعدد مرات العماد، ناهيك عنبالاضافة الىى اختبار للمعلومات الدينية ، اذ تكون لكل درجة معلومات يجب ان يلم بها من يريد الوصول لهذه الدرجة .وعدا ذلك فأن هنالك شروطا بدنية واجتماعية ؛اذ يتحتم على من يريد ان يدخل سلك الكهنوت ان يكون سالما من الناحية البدنية والعقلية، فيجب ان يكون

منسّق:بعد: 0 سم، تعداد رقمي + المستوى: ١ + نمط الترقيم: 1، 2، 3، ... + بدء الترقيم بـ: ١ + المحاذاة: أيمن + محاذاة عند: 0 سم + علامة جدولة بعد: 36.0 سم + مسافة بادئة: 36.0 سم

[١] عزيز سباهي ، مصدر سابق ص١٤ .

[٢] عزيز سباهي ، مصدر سابق ص١٥ .

[٣] الليدي دراوور ، الصابئة المندائيون ،مصدر سابق ، ص٧١ .

سالما من الامراض السارية (المعدية) كالبرص والسل والجذام . ويُرجع بعض الباحثين سبب ذلك الى كون رجل الدين المندائي على اتصال دائم بافراد مجتمعة[1] ، فهو يمارس طقوس التعميد التي تجرى لهم ولعُددهم (اواني ومستلزمات البيت) ، ويقوم بصنع الوجبات الطقسية " لوفاني" ، ويقوم بالذباحة ، وكل تلك الاعمال توجب على الكاهن ان يكون سالماً . اضفبالاضافة الى ذلك ، يجب الا يكون رجل الدين عقيماً ،ويحب ان لا يكون مولودا لامرأة ثيب هو او ابائه حتى الجد السابع ،ورغم ان السلك الكهنوتي لا يشترط توريث الكهانة ، فالسلك مفتوح لكل مندائي تنطبق عليه الشروط ،الا ان واقع الحال هو ان رجال الدين يربّون اولادهم تربية دينية ، فينخرط الاولاد نتيجة لذلك في سلك الكهنوت حسب الاصول والشروط بعد ان يدرسوا دراسة خاصة ويقوموا برياضة روحية خاصة، يعقب ذلك امتحان خاص .وتنقسم درجات رجال الدين من الدرجة الادنى صعودا الى الاعلى كمايلي:

١.الحلالي : وهو من كان تام الخلقة ، سليم الحواس والجسم، وسليل عائلة (حلاليه) ،وكانت دراسته قد اقتصرت على بعض كتب الدين الاولية ، وتعمد بالتعميد الخاص بهذه الطبقة ، ومن المهمات التي يقوم بها الحلالي، السير في الجنازة ، و اجراء طقوس الذباحة .

٢. **الترميذة** : وتعدتبر الدرجة الاولى في الكهنوت المندائي لان "الحلالي" هي مرحلة تهيئة. ويتدرج "الحلالي" الى درجة "ترميذة" –وهي تعني التلميذ– اذاما اكمل دراسة بعض الكتب الدينية مثل "سدرة اد نشماثا" (كتاب الارواح) و"الانياني" (كتاب الادعية والصلوات) ، وحفظ قسماً كبيراً منهما . وبعد ان تجرى له الرسوم الخاصة لهذا التدرج "طراسة" يسمى المرشح للكهانه "الشولية" . وبعد اجراءات فحص جسم " الشولية " من قبل الشيخ المشرف على الطراسة– وهو بدرجة اعلى "كنزابرة" – يتم احضار جميع المستلزمات من اطعمة واشربة وادوات ، ويبنى هيكل من القصب (شبيه بهيكل الزواج) تجرى فيه الطقوس ويسمى "اندرونا"، يقابله هيكل ثان يسمى "اشخنته" .ثم تبدأ الطقوس ، وتستمر لمدة سبعة ايام كاملات ، يجب الا ينام فيها المرشح للكهانه ولا يغمض له جفن خشية ان يحتلم، لان الاحتلام هو من النجاسات الكبيرة التي تؤدي الى تأجيل "الطراسة"[2] . ولهذا السبب ،يضطر الحاضرون الى احداث ضجيج مستمر ،وذلك بالاكثار من تلاوة الكتب والادعية واقامة الولائم والافراح ودق الطبول والابواق حتى تنتهي المدة المذكورة . وفي هذه المدةفترة يكون

---

[1] سليم برنجي ، الصابئة المندائيون، ترجمة جابر احمد ،طبعة اولى ١٩٩٧ ، دار كنوز ادبية ، بيروت ص٢١٨.

[2] عبد الرزاق الحسني، الصابئون في حاضرهم وماضيهم ،ط ٥ ،بغداد ١٩٧٩ ، ص١٢٤.

المرشح جالساً في "الاندرونا" ومعه شيخه "الكنزابرة" لا يبرحان المكان نهائياً الا للحاجات الضرورية ،فيقرأان الكتب الدينية ويراجع المرشح مع شيخه المسائل التي لا يفقهها من الدين . واذا أتمّ المرشح القراءآت بعد الليلة الاولى يخرج مع شيخه من "الاندرونا" ،وبعد قراءآت طقوسية يدخلان الى الـ "اشخنتة" ، وبحسب رأي الشيخ عبد الله الشيخ نجم ان انتقال "الشولية" من "الاندرونا" الى "الشخنتة" يعني انه قد ارتقى من درجة فئة المندائيين العامة الى درجة "ترميذة"، وهي اولى درجات الكهنوت[1].وعندئذ تُهد الاندرونه وتخرّب ، وبعد ان يجرى للمرشح عدد كبير من التعميدات والقراءآت والإجراءآت الطقسية التي تستمر حتى اكمال الاسبوع ، يصبح الاخير رجل دين :شيخ بدرجة "ترميذة" . ويتم الاعلان عن ذلك مصحوباً بعلامات الفرح والابتهاج ، تلي ذلك مدةفترة ستين يوماً يجب ان يكون فيها "الترميذة" بأتم طهارته ، ليسمح له بعد ذلك بممارسة واجباته كرجل دين تام الاهلية.

٣. **الكنزابرة** : لابد للـ "ترميذة" الذي يريد ان يرتقي الى درجة "كنزابرة" ان يكون قبل كل شئ فاضلا،محترماً ، لبقاً ومطلعاً على الكثير من التفاسير والشروح الدينية ، وان يكون حافظاً لكتاب "الكنزا" وقادراً على فهمه وشرحه ، (اذ ان معنى هذه الدرجة مفسر الكنزا) ،وان يكون متزوجاً وغير عقيم ،ولا يمكن للـ "ترميذة" مهما كان علمه ان يرّقى الى درجة "كنزابرة" الا اذا كان متزوجاً ومنجباً ، كما ويشترط ان يكون قد عقد مهراً لـ"ترميذة" من قبل .ويقوم بعملية تكريس او "طراسة" المرشح لدرجة الـ"كنزابرة" ،كاهن بدرجة "كنزابرة" وكاهنان بدرجة "ترميذة" واثنان بين المساعدين او الشهود "اشكندة" ، ولا يتم التكريس الا حينما تقترب المنية من شخص تقي من افراد الطائفة ، ويجب ان يكون–المحتضر–متزوجاً ومنجباً[2]،فحالما يعرف ان ذلك الشخص قد اقترب من نهايته، يبلغ "الكنزابرة" والكهّان ، وتتخذ الإجراءآت للاحتفال الديني المسمى "انكرتا" او الرسالة التي ستحملها روح المتوفي الى عالم الأنوار ، ففي هذه الرسالة يطلب الـ"ترميذة" الترشيح الى الدرجة الدينية الجديدة.وبعد إجراءآت وطقوس وحوار بين المرشح والمحتضر، اذا كان قادرا على الكلام ،او وكيله اذا لم يكن كذلك (وهو شيخ عادةً)،يقومون بترسيم المحتضر، فاذا توفى فأن الرسالة ستصل . وعندها يجب على المرشح ان يقوم بإجراءات طقسية منها اعداد وجبات طقسية "لوفاني" لمدة (٤٥) يوم على روح المتوفي ، و اذا –لسبب ما– لم يتوفَ المحتضر، فأن الإجراءآت تُلغى

---

[1] **الليدي دراوور ، مصدر سابق ، هامش المترجمان ، ص٢٢٧.**

[2] **الليدي دراوور ، مصدر سابق ، ص٢٤٥.**

،ولا يحق للمرشح ان يأخذ الدرجة الى بعد أعادتها مرة أخرى مع حالة جديدة من الاحتضار . اما الرسالة المرسلة مع روح المتوفي فتتكون من (زيت سمسم) مقدس تمت قراءة الادعية والصلوات الخاصة عليه ووضع في قنينة صغيرة مغلقة بقطعة طين توضع في جيب خاص في الـ"قماشة" (ملابس المتوفي)[1].وبعد الدفن والرجوع الى بيت المرشح ،تبدأ الافراح والولائم ،ولا يمكن للمرشح ان ينام لثلاثة ايام كاملات لئلا يتلوث بالاحتلام ،لانه يجب ان يكون على طهارة تامة.وبعد اجراءآت طقسية مشابهة تقريباً لنيل الدرجة الاولى "الترميذة" يعود المرشح الى بيتة ويبقى في ~~فترة~~ عزلة وطهارة طقسية لمدة (٤٥) يوماً . وبعد انتهاء هذه المدة~~فترة~~ ،لابد ان يعقد لشيخ بدرجة "ترميذة" يرغب في الزواج ،واذا لم يجد يبقى معلقاً لا ينال الدرجة وهي حالة نادرة الحدوث ،لان تعدد الزوجات مباح ، لذلك يقوم بعض الشيوخ في هذه الحالات بالزواج مرة ثانية لاتمام الطقوس.وحالما ينتهي المرشح من اجراء مراسيم ذلك الزواج يتحرر من عزلته ويمارس حقه في درجته الجديدة بصورة كاملة.

٤. **الريش امه :** وهي درجة اخرى في الكهنوتية وتعني (رئيس الامة) ،وظلت هذه الدرجةعلى مدى قرن من الزمان تقريباً دون ان يبلغها احد،لان "الكنزابرة" لا يحصل على درجة "ريش امه" الا بعد قيامه بتكريس سبعة شيوخ بدرجة "ترميذة" ، ولكن مع نهاية القرن العشرين كان الشيخ "ريش امه" عبد الله الشيخ نجم قد حصل على هذه الدرجة ، وهو اليوم مقيم في المملكة المتحدة لظروف خاصة به . ويعد من يصل الى هذه الدرجة مرجعاً في الامور الدينية و الدنيوية لطائفتة ، عالماً جليلاً فيها ،و يعد شخصاً ذا اهلية وكفاءة ممتازتين تجعلانه جديراً بهذا المنصب.

منسّق:عنوان 1، متوسط، المسافة البادئة: قبل: 0 سم، السطر الأول: 0 سم

[1] **الليدي دراوور ، مصدر سابق ، ص٢٥٠ ،الهوامش الخاصة بالمترجمين.**

منسّق:الخط: ١٨ نقطة، دون غامق، خط اللغة العربية وغيرها: U_S habyaT SCM ،.normal ١٨ نقطة، دون غامق

المبحث الثالث
الملابس الدينية و الاعياد المندائية

منسّق:الخط: ١٢ نقطة، غامق، خط اللغة العربية وغيرها: ١٦ نقطة، غامق

١. الملابس الدينية :

يعير المندائيون (الملابس الدينية) اهتماماً خاصاً كما سنلاحظ في اكثر من مكان في هذه الدراسة ،مما يتحتم توضيح ماهية هذه الملابس لأهميتها في الدين المندائي ، فهي تُرتدى في التعميد والزواج والذبح وحمل الجنازة وفي كل الطقوس تقريباً.

وتختلف "رستة" المندائي العادي قليلاً عن "رستة" رجل الدين ، لكنها على العموم، تخاط من قماش ابيض يجب ان لا يحوي خيوطاً صناعيةً (اكليرك او نايلون او فسكوس) ، اي انها تخاط من نسيج قطني او صوفي ، وقد سمعت من بعض المندائين عدم جواز خياطة الملابس الدينية بواسطة ماكنة الخياطة ، وعندما تحريت عن الامر من المثقفين دينياً ، ظهر عدم الدقة في ذلك ، فالمهم هو نوع الخيط المستعمل في الخياطة ، اذ يجب ان لا يكون فيه مكونات صناعية ، وهذا يعني وجوب كون الخيط قطنياً او صوفياً ، ونظراً لصعوبة استعمال هذه الخيوط في ماكنة الخياطة ، فقد كانت تتم خياطة الملابس الدينية يدوياً . اما كلفة عمل الملابس الدينية – خلال مدة الدراسة – فهي حوالي (١٥) الف دينار.

ويجب ان يكون لكل مندائي "رستته" الخاصة به ،علماً انها تستعمل ايضاً في حالة الوفاة ككفن مع بعض التعديلات البسيطة التي سنذكرها في مبحث طقوس الوفاة ، ويجب ان يكون لون الملابس الدينية ابيضاً ، ولكن في حالات كثيرة يكون لونها قد تغير بسبب مياه النهر وما تحمله من غرين . ويتم غسل هذه الملابس بطريقة عادية وبالمنظفات المتوفرة . اما طريقة تفصيلها فهي خاصة ايضاً ، اذ يجب ان يخاط القميص مثلاً على عرض القماش دون ان يقص من عرضه ، والعمامة يجب ان تحوي في احد طرفيها على بداية (طول القماش). وتتكون "رستة" الرجل والمرأة من الاجزاء نفسها مع بعض الفروقات الطفيفة في تفصيلها من حيث الطول او الحجم.

وأجزاء الملابس الدينية هي :

منسقة: تعدادات نقطية ورقمية

١. "سدرة" : قميص طويل ،يشبه الزي الهندي تقريباً.
٢. "دشه" : قطعة قماش صغيرة تخاط على الجهة اليمنى من فتحة القميص وتشبه الجيب.
٣. "شروالا" : سراويل (بنطال) ويكون طويل بحيث يصل الى القدم.
٤. "تكه" : الخيط الذي يشد السراويل على البطن ويعده البعض جزءاً من السراويل.

٥. "برزينقا" : العمامة ،قطعة قماش مستطيلة ،طولها غير محدد، احدى حافتيها يجب ان تكون من بداية القماش المختومة، تلف حول الرأس عكس عقرب الساعة عدد من اللفات بحيث تبقى قطعة منها مدلاة على الصدغ الايسر.

٦. "تصيفه" : وهي قطعة قماش عرضها بحدود (١٥) ملم ، توضع حول الرقبة مثل الوشاح وتتدلى على جانبي الصدر وتثبت بالحزام ، وتكون "تصيفه" المندائي العادي مختلفة عن "تصيفه" رجل الدين ، اذ تكون الاولى اقل عرضاً بكثير (رأيت البعض يضع "تصيفه" حول رقبته كأنها خيط غليظ) ، وهي مهمة جداً بالنسبة لرجل الدين اذ يمسك بها المتعمد في بعض الطقوس ، بينما لا دور محدد لـ"تصيفه" المندائي العادي.

٧. "هميانه" : حزام صوفي ، ينسج من صوف نظيف يجب ان يكون قد جز من خروف ذكر حي ، اذ يصنع من هذا الصوف بعد تنظيفه وتطهيره دينياً (٦٤) خيطاً ، ينسج من هذه الخيوط حزام اشبه بالحبل وبحساب غرز محدد (لأن للارقام معان رمزية دينية) ، وتكون نهايتها ذات (شراشيب) ، ويكون ربطها حول الوسط فوق القميص بطريقة يعرفها المتدينون ، ولا تترك نهايتيها بعد الربط سائبة انما تدخل في الجانبين.ومن الجدير بالذكر ، ان كلفة الـ"همياني "اليوم تتراوح بين (٣) الى (٥) الاف دينار.

اضف الى ذلك يلزم رجل الدين (الشيخ) ما يلي :

منسقة: تعدادات نقطية ورقمية

٨. "تاغه" : وهي تاج الكاهن ورمز سلطته الدينية ، وهي سفيف من الحرير الابيض يضعه الكاهن فوق رأسه تحت العمامة ، ويمنح للشيخ وقت تكريسه.

٩. "شوم ياور" : خاتم الكهنوت ، وهو من الذهب ،يلبسه الكاهن في خنصر يده اليمنى وقد نقش عليه "شوم ياور زيوا".

١٠. "مركنه" : صولجان الكاهن ، وهي عصا من شجرة الزيتون رمز السلام . علماً ان كل هذه الاشياء الاضافية (الخاتم والتاج والصولجان) يجب ان تدفن مع الكاهن عند وفاته.

اما الملابس الدينية التي تلبَّس للمحتضر فأنها متكونة من الاجزاء نفسها ولكنها عادة تكون اعرض لكي تسهل عملية الباسه ، ولا تسمى في هذه الحالة "رسته" وانما "قماشه" . ومن يتوفى في حادث مثلاً دون ان يهيء ويلبس "قماشه" تكون هناك عراقيل في عروج روحه الى عالم الانوار "آلمه آد نهورا" ، لذا يسعى اهله الى عمل طقس "قماشه" له حتى لو كان بعد وفاته،ويتم ذلك عادة في المناسبات الدينية مثل عيد الخليفة " بروانايا".

منسّق:يمين

٢.الاعياد المندائية :

ان لطائفة الصابئة المندائية مجموعة اعياد ، لعبت وتلعب دوراً مهماً في تجميع ابناء الطائفة وتعارفهم والقيام بطقوسهم وتعريف الشباب بتقاليد الطائفة . وعلى الرغم من ان التزامات

بعض الاعياد تمثل عبئاً على شباب الطائفة في بعض تفاصيلها ، كما هو الحال في العيد الكبير وما يصاحبه من عدم خروج من البيت (الكرصة) وعدم التقرب من "يردنا" اذ يتم تخزين المياه للاستعمال في هذه المدة ، بل وكان كبار السن يمنعون اهلهم حتى عن استعمال الماء من انابيب الاسالة في البيت ، الا ان بعض التخفف من هذه الطقوس طرأ على الاعياد، ويبقى العيد مهماً من الناحية الاجتماعية كونه سلوكاً جمعياً تتوضح فيه حدود المقدس بالنسبة للجماعة.

والاعياد المندائية هي :

منسقة: تعدادات نقطية ورقمية

١. **العيد الكبير** : وهو عيد رأس السنة المندائية ، ويصادف (٢٧-٢٨) تموز ويسبق بما يسمى "كنشي وزهلي" اي التنظيف والتهيؤ ، وذلك لأن على كل مندائي ان يلزم داره لمدة (٣٦) ساعة اعتباراً من مساء يوم (٢٧) تموز ، ولا يجوز له في هذة المدة مس اي شيء غير طاهر، كما انه لا يشرب ولا يأكل الا مما اختزنه في داره قبل مساء اليوم المذكور . وتقول الميثولوجيا الدينية ان (الحي العظيم) "هي ربي" يسمح لملائكته الاطهار ان يزوروا عالم النور ثم يعودوا الى اماكنهم ، وان هذه الرحلة مدتها (٣٦) ساعة ، تخلو معها الارض من قوى الخير وتكون مرتعاً لقوى الشر، لذلك يحرص المندائي على عدم لمس اي شيء غير متأكد من طهارته . كما يقرا في هذا العيد طالع السنة القادمة من كتاب "اسفر ملواشة" وهو كتاب البروج ، ولبعض الباحثين رأي مهم في تفسير أمر هذا العيد ، مفاده ان ايام هذا العيد ترمز الى محنة او كارثة اصابت المندائيين فلبدوا (كرصوا) في دورهم خوفاً من البطش والقتل ، وبعد مرور سبعة ايام يكون لديهم عيد يسمى عيد "شيشلام" اي عيد السلام ، وفيه يعلق كل مندائي أكليلاً من الاس على باب داره ، وحتى على ابواب الغرف في الدار وهذا دليل على فرحة عيد السلام .[١] وهو رأي مهم ، الا انه تحليل ضني لا يعتمد على مادة تاريخية او آثارية تسنده.

٢. **العيد الصغير** : ومدته يوم واحد ، وهو يرمز الى نزول اكبر الملائكة "هيبل زيوا" لقمع قوى الشر وكبح جماح شرها عن العالم ، ويصادف في (١٠/١١) من كل عام ، ومن شروطه اقامة كل عائلة مندائية وليمة طعام في دارها .

٣. **عيد الخليقة "بروانايا"** : ومدته خمسة ايام ، ومن هنا جاء اسمه المتداول (بنجه الفارسية) وهو اشارة الى خلق العالم في ايامه الخمسة . ولهذه الايام قدسية خاصة ،فمن يتوفى خلالها لايمر بالمطهر ، وانما يذهب مباشرة الى عالم الانوار "المة اد نهورا" ، ويطلق عليه

---

[١] غضبان رومي ، الصابئة ، مصدر سابق ، ص١٩١.

البعض (اليوم الابيض) ، بأعتبار ان الايام الخمسة هي ايام نور مستمرة ، وتخصص ايام هذا العيد للتعميد الجماعي واطعام الفقراء والترحم على ارواح الموتى وقراءة الادعية ونحر الخراف ويصادف (٢٤) اذار ، ومن الجدير بالذكر ان هذه الايام الخمسة تسقط من حسابات السنة المندائية ، اذ ان التقويم المندائي يتكون من سنة شمسية مكونة من (١٢) شهراً وكل شهر فيه (٣٠) يوماً ، وبذلك تكون السنة المندائية (٣٦٠) يوماً فقط ، وهي مطابقة للتقويم البابلي ،وعند اضافة ايام "البرونايا" الخمسة يكون الفرق قليلاً بين السنة المندائية والسنة الشمسية الميلادية !!

٤. عيد "دهب اد ايمانه" : وهو عيد مولد النبي يحيى (ع) ،ويسمى ايضاً عيد التعميد الذهبي ، اذ ان كل تعميد في هذا اليوم يعادل (٦٠) تعميداً في الايام الاخرى ويقع في (٢٨) مايس .

وهناك يوم اواخر كانون الثاني من كل عام يطلق عليه (العاشورية) ، وفيه يتوجب على كل عائلة مندائية ان تطبخ كمية من الهريس ، تقرأ عليه الادعية والترحم على ارواح شهداء المندائية الذين غرقوا في البحر الاحمر بعد تعقبهم لبني اسرائيل (قوم موسى) وقت هروبهم من مصر، وفي ذلك اشارة الى جند ملك مصر(فرعون) المندائيين الذين ماتوا غرقاً .

الفصل السادس

النسق الديني -الطقوس الدينية

المبحث الاول: دور الكواكب، دور الماء، دور الملائكة في الطقوس

المبحث الثاني: الصوم والصلاة

المبحث الثالث: التعميد

المبحث الرابع: طقوس الزواج

المبحث الخامس: طقوس الموت ومصير الانسان

الفصل السادس
النسق الديني - الطقوس الدينية

ان لكل شعب من الشعوب مفهومه الخاص عن القوى العلوية التي يرتبط بها الانسان بشكل او بآخر. وتختلف انواع القوى العلوية من مجتمع لآخر، وتتباين بالقدر نفسه طرائق التعاقد والتأثير والتحكم والتقرب والتضرع لهذه القوى . وتشكل الطقوس والاحتفالات اهم الوسائل التي يتوسل بها الانسان للتقرب من القوى العليا لكي يحقق علاقة جيدة، ومن تلك الطقوس نجد الصلوات والتقدمات والاضاحي ، وكذلك ترديد الترانيم المقدسة وإجراء بعض الحركات بالجسم التي تبدأ بالاهتزاز البسيط عند القراءة وتنتهي بالرقصات او الاداء التمثيلي لبعض الطقوس. ويجب ان نذكر في بداية هذا المبحث ان العقائد الدينية–ولاسيماعلى الاخص تفاصيل الطقوس والاحتفالات– تحفظ عادة وتسرد في الاساطير والحكايات الدينية. ونجد ان في الدين المندائي سرداً للطقس عن طريق القص الميثولوجي في الكتب المقدسة، بل هنالك كتب خاصة فيها الترانيم او التراتيل الخاصة بذلك الطقس، مثال ذلك طقس الزواج اذ يعدتبر كتاب "القلستا" مخصصاً لترانيم الزواج المندائية حيث تختلط الميثولوجيا الدينية مع اجراءات الطقس الحركية مع ما يصاحب ذلك من شروط والتزامات، كما سنلاحظ في مبحث خاص بذلك . ويمكن ان نقرأ هذه النقطة بوضوح في "بوثه" اصحاح "فراش العريس"[1].

وربما كان افضل تعريف للطقوس هو انها طرق مرسومة لاداء تصرفات دينية ،مثل الصلوات والترانيم المقدسة وحركات الجسم وتقديم الاضحيات او اعداد التقدمات. ومن جهة اخرى ، فان الاحتفال يتضمن عدداً من الطقوس المتصلة بعضها ببعض، والمترابطة والمؤداة في وقت معين ومحدد . بيد ان تمييزاً اكثر فائدة يمكن ان يعمل في ضوء الوظائف التي تؤديها الشعائر والاحتفالات ، فهناك شعائر او طقوس تتمركز حول ازمات الحياة المتعلقة، وهي احتفالات تسم مناسبات معينة مثل الميلاد، الزواج، الموت، التسمية، و غالبا ما تعدتبر طقوس انتقال من حالة الى اخرى. وهناك نوع اخر يسمى طقوس التشديد او التقوية، وهي الطقوس

[1] القستا ،ترانيم الزواج المندائية ،ترجمة امين فعيل حطاب ،بغداد ٢٠٠٣م ص٣٠ وما بعدها

والاحتفالات التي تسم مناسبات او ازمات في حياة المجتمع المحلي ككل[1]، ومثال ذلك ما نراه في اعياد الطائفة مثل طقوس "البنجه" او "الكرصة". وقد تكون هناك طقوس تخدم الغرضين، مثل اقامة الوجبات الطقسية على روح الميت في عيد "البروانايا– البنجة" او "القماشة"... الخ وسنلاحظ ذلك في تفاصيل الطقوس.

[1] رالف بليز، هاري هويجز، الانثربولوجيا العامة– ترجمة محمد الجوهري واخرون، الجزء الثاني– مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، القاهرة– نيويورك،١٩٧٧،ص٦١٥–٦١٦.

منسّق:بعد: 0 سم، تعداد رقمي + المستوى: ١ + نمط الترقيم: 1، 2، 3، ... + بدء الترقيم بـ: ١ + المحاذاة: أيسر + محاذاة عند: 23.0 سم + علامة جدولة بعد: 59.0 سم + مسافة بادئة: 59.0 سم

المبحث الاول: دور الكواكب، دور الماء، دور الملائكة في الطقوس:

١. دور الكواكب:

كما لاحظنا في مبحث :(المقدسون) السابق، ان "الكنزا ربا" الكتاب المقدس يعتبر ان الكواكب مخلوقات شريرة بالنسبة للجنس البشري، الا ان هناك افكارا معقدة ومختلطة في هذا الموضوع ، اذ ان كل كوكب من الكواكب موكل به عدد من "الاثري" يركبون فلكه ويحدّون من شروره، وبالتالي، اذا كان هناك مظاهر تقديس فهي للكائنات النورانية الموجودة على الكواكب. ولربما نجد بعض التجاوزات على هذه الفكرة، او بعض التجريدات التي تبدو غير واضحة ،عندما لا يتم تأمل الموضوع بدقة، فمثلا يمكن ان نلاحظ ان "شامش" الشمس يسير كسائر الارواح الفلكية في دورته عبر فلك حدده له "هيبل زيوا" بعد القضاء على تمرد قوى الظلام كما مر بنا، واوكل امره لبعض "الاثري" ، وبالتالي يمكن ان نجد بعض التطابقات بين "شامش" و "ياور زيوا" الملاك الموكل بأمر الشمس[١]. الا ان هناك فكرة عالية التجريد لاختلاط الخير والشر، اذ يركب مع "شامش" في فلكه ثلاثة شخصيات ؛اثنان من قوى النور هما "سام مانا" و "سميرا"،ويمثل ثالثهما قوة من قوى الظلام هو "ادوناي" . و"ادوناي " هذا –الذي يركب فلك الشمس – هو المسؤول عن الضرر الذي تحدثه اشعتها احياناً، ويروى ان من عينيه تندلع اشعة تلفح وتحرق ، ومن نظراته تنطلق الزوابع والأعاصير، الا ان المشع في "شامش" هو العلم او الراية "درفش" التي يحملها ملاكا الخير،والتي ترسل اشعة نافعة وتهب النور والحياة، وقد يفلح ملك الظلام احياناً بوضع شيء امام العلم وهذا ما يسبب الكسوف، ويعمل "سام مانا" و "سميرا" على دفع النتائج الضارة لملك الظلام.

وكذلك الحال بالنسبة للقمر "سين"،اذ تنتقل اليه الارواح النورانية بالتدريج الى ان يكتمل عددهم عند اكتمال القمر ويكون بدراً، ثم يبدأون بالتناقص حتى يغادره آخرهم ،ويكون اخرهم هذا هو ملك الظلام "ملكة دهشوخا". وعندما سالت "يلوفا" (وهو مثقف ديني من غير سلك الكهنوت) عن الموضوع قال ان الخوف من القمر يتجلى عندما يكون في تمام بدره، لان قواه الشريرة تكون في اقصى قوتها، ومن المفضل ان لا يقترب الرجل من زوجته في الايام التي يكون فيها القمر بدراً خوفا من ان يحدث حمل في هذه الساعات، لان قوى الشر تكون في اقصاها وبالتالي فانها ساعات (شيطانية) لا (رحمانية). ويذكر في ديوان "اباثر" ان القمر يعذب مسؤولا عن الاجهاض والعاهات[٢].

---

[١] **الليدي دراوور، مصدر سابق، ص١٣٧.**

(2)**DROWER, E.S. DIWAN ABATUR, OR PRATUR, OR PROGRESS THROUGH THE PURGATORIES, CITTA DEL VATICANO, 1950, P.40.**

ويروى ان الزورق الفلكي الصغير خلف زورق "شامش" مباشرة في تصاوير "ديوان اباثر" يعود الى "ليبات" (الزهرة)،حيث يمكن ان نقرا تحت احد الشخوص (هذه شبيهة ليبات وهي جالسة فوق جبل "شامش" ولها سبعة اسماء)، وكثيراً ما تذكر "ليبات" في عمل الرُقى، ووظيفتها الخاصة ان تساعد في شؤون الحب والتناسل وتنبئ عن المجهول[1]. اما مارس "نيرغ" فهو رب السحاب والرعد الذي يضع المطر ويسحب– بالاشتراك مع "شامش" –الماء من الارض الى السماء. وينظر المندائيون الى "نيرغ" على ان صفته الحرب وحب الخصام، اما "اوبيل" (المشتري) فنادرا ما يذكر ما عدا في التعاويذ من الشياطين التي تسبب المرض امثال حسد العين "بشره اد اينه" ،ومن المحتمل ان واجباته قد تولاها "ياور زيوا" و "هيبل زيوا" و "ملكا زيوا".

ويعد تبر عطارد "انبو" رب الكتابة والكتب ورب الحكمة والمعرفة، ولا يظهر زحل "كيوان" الا قليلاً في الرقى ما عدا الدواوين الطلسمية ، اذ تكتب "القماهة" (التميمة) باسمه لتشفي من الجنون.

ويجب ان نمر على مسالة مهمة جداً، وهي ان لكل صابئي مندائي اسمان، اسم دنيوي متعارف عليه، واسم ديني هو "اسم الملواشة"، واسم الملواشة قائم على حسابات فلكية دقيقة، ويعد تبره المندائيون الاسم الحقيقي للشخص ، كما ويستعملونه في جميع المناسبات الدينية والطقسية، وينسب الشخص المندائي في الاسم الديني الى الام بدل الاب، و يعزوا بعض الباحثين هذه المسالة الى ازمنة فترة كانت السيادة فيها للام.

وتوجد في احد الكتب المقدسة ،التي أُشير إليها في مبحث سابق،وهو "اسفر ملواشة" حسابات فلكية لحساب واختيار اسم الطفل المندائي، اذ ان لكل "ملواشة" قيمة عددية عرفية، وليس للحروف المندائية قيمة عددية كما هو الحال في الحروف العبرية و السريانية والعربية. ويحتفظ رجال الدين بقوائم لهذه الاسماء ، ويقترحون من بينها واحداً على الوالدين بعد ان يقوموا بحساباتهم . ولا تكون الاسماء "الملواشة" ذات مصدر ديني دائماً، وانما هناك الكثير من الأسماء لشخصيات مقدسة مثل (ادم، يهيايهانا، هرمز..... الخ) وهناك اسماء ليست ذات صبغة دينية مثل اسم "ياسمن".

ومن ذلك نلاحظ ان الكواكب دينياً هي كائنات محسوبة على قوى الشر، ولكن توجد عليها كائنات نورانية هي المقدسة، وقد حدث بسبب قدم الدين دخول بعض الخلط لدى العامة او غير المتفقهين في الدين، ومن ذلك ياتي اتهام البعض ، بانهم عبدة الكواكب وواقع الحال غير ذلك تماماً.

---

[1] **E.S. DROWER, DIWAN ABATUR, OR PRATUR, OR PROGRESS THROUGH THE PURGATORIES, CITTA DEL VATICANO, 1950, P.42**

٢. دور الماء :

يكاد ان يكون الماء عنصراً حاضراً في كل مقدس وفي كل ديانة، وهذا يرجع الى ما للماء من أهمية كونية وما له من ارتباط وثيق بحياة البشر، سواء اكانوا افرادا امو جماعات امو شعوباً.

فياخذنا هذا العنصر موغلاً في التاريخ الميثولوجي للحضارات القديمة ومنها الحضارة الرافدينية، وقد اشرنا سابقاً الى التشابه في الجذر المائي للديانة السومرية ومن بعدها البابلية وبين الديانة المندائية.

ويتجلى الماء في فلسفة الاديان في اكثر من مبدأ فلسفي. فقطرات الماء الساقطة من السماء على شكل مطر يسبب انماء وارواء الارض، كان لها مغزى كبير وعميق في التفكير الانساني، فهذه القطرات في الاساطير الدينية تمثل المني الذي يطلقه الذكر (المتمثل في السماء الواهبة) لتخصيب الانثى (المتمثلة في الارض)[١]. كذلك كون الماء عنصرا رمزيا للتنظيف و الطهارة وغسل الذنوب عند البشر، فأن الماء الحي "ميا هيي" يمثل شعارا وصفة ملازمة، من الناحية الفكرية والطقسية، للديانة المندائية. وللماء قدسية عظيمة و واضحة في الديانة المندائية، ولكن ليس كل ماء هو مقدس ، وانما فقط الماء الجاري الحي الذي يطلق عليه "يردنا"، وهناك الماء الراكد او الميت الذي ترفضة الديانة المندائية. وقد سألت "يلوفا" (مثقف ديني) عن طقوس تعميد "المندي" ،وهل ما زالت تجرى بالطريقة القديمة نفسها ،فبدأ يشرح لي قائلاً: نحن نعتقد ان "ميا هيي"هو جزء واحد من المياه الموجودة على الارض الفانية "ارا اد تيبل" والاجزاء الثمانية الباقية من المياه هي "ميا سياوى" الماء الميت.

وفي الفكر الديني المندائي نجد ان "اليردنا" او الماء الحي كان سبباً في انعاش الحياة على الارض، فهو بمثابة مادة الحياة، لان الارض عند خلقها لم تكن روح الحياة فيها متيسرة، فكانت مليئة بالماء الآسن الاسود الذي خرجت منه الارواح الشريرة والشر. وبامتزاج "يردنا" (السماوي) بمياه الارض غير الحية ازدهرت الارض وانتشرت رائحة الحياة عليها.نقرأ في الكاتب المقدس "كنزاربا– يمين"؛

من بيت هيي جيء بالماء الحي، دفقة من الماء الحي، جيء بها من بيت الحي، و أُلقيت في العالم، حزن الماء الحي و شكا... وتالم ويكى [٢]

وقد عيّن اثنان من الاثريين المهمين لحراسة "اليردنا" هما "شلماي"و "ندباي"، وعندما نقرأ الادب الديني المندائي نجد كينونة الماء الحي ،فهو (ذات) مستقلة تتحدث وتتالم وتفرح وتبارك :

---

[١] الترميذا علاء النشمي، اسطورة الماء في الاديان، فكراً وطقساً، مقال منشور على موقع اتحاد الجمعيات المندائية في المهجر بتاريخ ٢٠٠٥/١/٣، WWW.MANDAANUNION.ORG .

[٢] كنزا ربا– يمين، طبعة بغداد ، مصدر سابق، الكاتب السابع عشر، التسبيح الثالث،ص٢٧٤.

قال لشلماي وندباي من سحب يدي؟ وقطعني عن بلدي؟ من ابعدني عن المعرفة التي هي ازكى؟ من اقصاني عن الكشطا؟ وعن الكنا واللوفا، من فصل بيني وبين الاثريين في بلد النور؟ مظلمة هيأة البلد الذي انا ذاهب اليه، مشفق انا منه ، ومشفق عليه، موجع انا.. ساهم مفتكر. [1]

وليس كل ماء جار هو "يردنا"، وانما يعدتبر جزءاً منه "يردنا" سماوي ينبع من عوالم النور العليا السماوية "آلمة اد نهورا"، وعملية امتزاج "يردنا" السماوية الجارية في عوالم النور المحملة بالحياة والنور بـ "يردنا" الارضي، تعطي للاخيرة صفة الحياة والقوة على البعث والاخصاب، ولذلك فان وجود "يردنا" السماوية في "يردنا" الارضية يثبت وجود العلاقة الحياتية بين عالم النور "آلمة اد نهورا" وعالم الظلام "آلمة اد هشوخا" التي فيمن ضمنها الارض البالية (ارا اد تيبل)[2]. وهذا يعني ان روح الحياة متيسرة في هذا العالم .

وبحسب الفكر المندائي ان هذا الاتصال مهم جداً بين الماء الجاري الحي العلوي والماء الجاري الارضي. وان لم تصب المياه العلوية في المياه الارضية ستبقى الاخيرة سوداء غير حية كما كانت قبل الخلق. وتجدر الاشارة هنا الى ان فكرة الانهار النابعة من السماء موجودة في كثير من الميثولوجيا الدينية، فهي موجودة في الدين اليهودي[3] وفي الاحاديث المروية عن النبي محمد (ص) . ومن اهم الانهار التي كانت تعدتعتبر انها تنبع من منبع سماوي هو (نهر الفرات)، وهذه الفكرة موجودة في الادب الديني المندائي ايضاً اذ يطلق عليه "فرات زيوا"، او الفرات النوراني (انظر خارطة ٣ في ملحق الاشكال والصور).

الخلاصة اذن ان "يردنا" الارضية تغذيها "يردنا" السماوية وتعطيها صفة الحياة والديمومة، و"يردنا " السماوية هي عبارة عن نور الله المتجسد في الماء، كما ان "يردنا" هي المادة او المصدر الذي تزوّد منه الكائنات الاثيرية والارضية على حد سواء بالقوة والحياة.

وان الماء الحي "ميا هيي- يردنا" هو جوهر طقس التعميد المندائي"المصبتا- الصباغة" الذي سنبحثه في مبحث منفرد خاص به. و "يردنا" عموماً يرمز الى صفة الاب وعنصر الحياة (السائل الحيوي للحياة والتكوين) في الفكر والممارسة الطقسية المندائية ،فـ"يردنا" هي نفسها التي سيولد بها الانسان "المصطبغ "(المتعمد) مرة اخرى تاركاً خطاياه بعيدة، فالماء اذن مغذ ومنعش ومطهر دائماً.

٣.دور الملائكة:

عند قراءة الادب الديني المندائي، و هو غزير ومتنوع كما لاحظنا سابقا، سنصل الى التصور التالي المتاتي من الطبيعة الغنوصية للدين المندائي؛ اذ يميز المندائيون بين الخلق في

---

[1] كنزا ربا- يمين، طبعة بغداد ، مصدر سابق ، ص ٢٧٢-٢٧٥.

[2] الترميذا علاء النشمي، مصدر سابق ص٣.

[3] الكتاب المقدس –العهد القديم- سفر التكوين ٢:١٣.

العالم السماوي، عالم الانوار، وعملية الخلق في العالم السفلي، العالم المادي. ففي العالم الاول تتم سلسلة من عمليات الخلق القائمة على اساس (الكلمة) او المناداة، يتكون نتيجتها من يسكن عالم السماوات الروحاني من ملائكة مطهرين "اثري" ، مهمتهم تنفيذ ما يأمر به الاله الاعلى، ويُرمز له عادة بـ(الحي العظيم)"هيي ربي". وفي العالم الثاني ينتج عن عملية الخلق عالم مادي يضم الارض والكواكب والنجوم، أي يضم الكون –كما يصطلح على تسميته– ومن يوجد فيه من كائنات حية وغير حية.

وعالم النور العلوي مكوّن من ثلاث طبقات، العليا والوسطى والسفلى "آلمه دنهورا ايلايا" و"المة دنهورا ميصايا" و"المة دنهورا تيتايا"،ويوجد في اقصاها الاله الاعلى (الحي العظيم)، اذ لا يراه احد، ولا يعرف عنه احد سوى من يختاره هو. وفي الادب المندائي نلاحظ ان : لا احد يعرف (الحي العظيم) سوى "منداد هيي" أي (عارف الحي)[1]، وان هذا العالم لا يحدد له موقع او زمان، وتقطنه الكائنات الروحانية كما اسلفنا.

وتلعب الكائنات الروحانية "الاثري" دوراً كبيراً في كل طقس من طقوس الدين المندائي ، فمن الطقوس البسيطة واليومية والمتكررة، الى الطقوس الخاصة او، –اذا جاز التعبير– (الاحتفالية) ،نجد ذكر عدد كبير من الملائكة الاثريين. ففي ابسط الطقوس (الوضوء مثلاً "الرشامة") نجد ذكر الملاك "برياويس"، ابو الماء الجاري "اليردنا" ،ثم يُذكر "منداد هيي" عارف الحي و "بهرام ربا". اما الصلاة "البراخا" التي تقام ثلاث مرات في اليوم ، فانها تبدأ بذكر (الحي العظيم) و "عارف الحي" وتسبيحات وتبريكات، ثم يبدا ذكر السلام والنزاهة للملائكة ، ويتجاوز عدد المذكورين بالاسم من الملائكة اكثر من خمسين ملاكاً[2] ،وكذلك يذكر الملائكة في المعمودية، اذ يقال : (تعمدت بعماد بهرام ربا) ، وكذلك يذكر اسم (الحي العظيم) وعارف الحي، ثم تاتي خطوة طقسية اخرى تسمى سلام الحياة او "فرة الطريانا"، وهي جزء من التعميد يدور فيه المتعمد حول المبخرة ثلاث دورات باتجاه عقرب الساعة، فيقول المتعمد (السلام والنزاهة اليكم ايها الملائكة والاثريون والمساكن "مشاكن" ،الملائكة والاثريين الموجودين في عالم الانوار والمياه الجارية والجداول الجارية وعلى ساكني عالم الانوار جميعاً)[3]. وكذلك يذكر عدد كبير من الملائكة في طقوس الزواج والوفاة والوجبات الطقسية "اللوفاني" ، وفي ذبح الحيوانات وفي كل طقس مندائي كما سنرى تفصيلاً.

المبحث الثاني : الصوم والصلاة

الصوم"صوما ":

---

[1] عزيز سباهي، مصدر سابق،ص ١٥٥.

[2] الشيخ رافد الشيخ عبد الله نجم، تاليف واعداد وترجمة، الصلاة المندائية وبعض الطقوس الدينية، ط١، بغدادا ١٩٨٨، شركة التايمس بغداد، ص١٨ وما بعدها.

[3] الشيخ رافد الشيخ عبد الله، مصدر سابق، ص٤٢.

ان الصيام الاكبر "صوما" بالنسبة للصابئي المندائي هو الكف عن الاذى اذ جاء في التعاليم:

يا احبائي

ايها المؤمنون بي :

صوموا الصوم الكبير ،صوم القلب والعقل والضمير ،لتَصُم عيونكم وافواهكم وايديكم ..لاتغمزُ ولا تلمزُ ،لا تنظروا الى الشر ولا تفعلوه ،والباطل لاتسمعوه ،ولا تنصتوا خلف الابواب،ونزهوا افواهكم عن الكذب ،والزيف لاتقربوه ،امسكوا قلوبكم عن الضغينة والحسد والتفرقة .امسكوا ايديكم عن القتل والسرقة ،امسكوا اجسادكم عن معاشرة ازواج غيركم، فتلك هي النار المحرقة،امسكوا ركبكم عن السجود للشيطان والاصنام الزيف .

امسكوا ارجلكم عن السير الى ما ليس لكم .انه الصوم الكبير فلا تكسروه ،حتى تفارقوا هذه الدنيا ،من اخطأ ثم تاب ،ثم الى رشده ثاب ،فأن الله غفور رحيم ،هو ملك النور الحنّان التوّاب الكريم [1] .

اما الصوم عن الطعام والشراب فهو يقتصر على الامتناع عن تناول اللحوم فقط، وذلك في ايام معينة من السنة يبلغ مجموعها ثلاثة وثلاثين يوماً ،وهي عادة تسبق الاعياد الدينية او تلحقها ،وذلك لان الاعياد تمثل لدى المندائيين انعطافات مهلمة في مجرى حياة الناس، لذلك نجدهم يستقبلونها او يودّعونها بما يستوجب من احترام او حذر او هيبة، ويظهرون شعورهم هذا بالحد من شهواتهم الدنيويه وذلك بتركهم اكل اللحوم بانواعها .

وايام الصيام هي "المبطلات" ،اذ يبطل فيها النحر[2] . ويجب ان نذكر هذه المواعيد لأيام الصيام وكما يلي :

١. شباط: من(١-١٤) ،اربعة عشر يوماً بعد العيد الكبير ،ويوم (٢٢) منه.
٢. اذار :٢٥
٣. نيسان :.....
٤. ايار: ١،٢،٣،٤ قبل العيد الصغير
٥. سيوان (حزيران) :.....
٦. تموز:٩،١٥،٢٣
٧. آب :.....
٨. ايلول: ٢٦،٢٧،٢٨،٢٩،٣٠

منسّق:بعد: 0 سم، تعداد رقمي + المستوى: ١ + نمط الترقيم: 1، 2، 3، ... + بدء الترقيم بـ: ١ + المحاذاة: أيسر + محاذاة عند: 0 سم + علامة جدولة بعد: 36.0 سم + مسافة بادئة: 36.0 سم

[1] كنزاريا –اليمين ،مصدر سابق ،الكتاب الاول ، التسبيح االثاني (الوصايا) ص١٤ .

[2] ناجيه مراني ،مصدر سابق ،ص١٢٥

٩. تشرين اول :١ ،يوم واحد بعد العيد
١٠. تشروان (تشرين الثاني): .....
١١. كانون الاول: ٢ ،يوم واحد بعد العيد "اد هيا اد مانا "
١٢. طابيت (كانون الثاني): ٢٨،٢٩ يومان قبل العيد الكبير[١] .

الصلاة المندائية "البراخا" :

تعدتبر الصلاة عند المندائيين ركناً اساسياً من الدين ، وقد فرضها "منداد هيي" (عارف الحي) على كل صابئي مندائي ، وجعلها خمس مرات يومياً ،بأمر من الخالق ،فبعد اكمال الوضوء "الرشامة" يتجه المصلي نحو "بيت هيي" أي القبلة باتجاه الشمال ، الذي يمثل باعتقادهم وجود عالم النور "آلمه اد نهورا" ،ويكون الدليل الى الشمال الجغرافي هو النجم القطبي ،او جعل اليد اليمنى باتجاه شروق الشمس[٢] .

وعندما تُقرأ التراتيل الخاصة بالصلاة يجب ان يكون المصلي واقفاً ،اذ لايوجد في الصلاة المندائية ركوع وسجود مثل الصلاة الاسلامية ، وانما هناك انحناء كلما ذكرت اسماء الله او صفاته . ويجب على المصلي ان يرتدي غطاءً على رأسه رمزاً للاحترام ،والصلاة هي عبارة عن تراتيل وذكر لصفات الله الخالق والملائكة النورانيين .

وللصلاة نواقض او موانع مثل الحيض وفترة النفاس عند المرأة ، والجنابة عند الرجل،و الايام المحرمة "المبطلات" التي مر ذكرها في مبحث الصيام ،كما وتوجد مبطلات للصلاة مثل الكلام في اثناء الصلاة والبكاء والاكل والشرب والضحك و كل ما يخل بقدسية الصلاة او يخالف الاداب ، فأذا حدث ذلك بطلت الصلاة وتحتم اعادتها .

ويجب ان نشير الى ان عدد الصلوات اليومية تم انقاصها في عهد النبي يحيى "يهيا يهيانا" من خمس الى ثلاث ،الصلاة الاولى في الصباح الباكر بعد بزوغ الشمس مباشرة ، والثانية عند الظهيرة (في منتصف النهار) ،والثالثة عند العصر قبيل غروب اخر ضياء[٣] .

ويبتحتم على الفرد المندائي ان يترسم بالماء(الوضوء "الرشامة") قبل اجراء أي طقس ومنها الصلاة كما بينا . ومن الجدير بالذكر انه في بداية القرن المنصرم كان يتوجب الوضوء

---

[1] **Drower ,Trans The Thousand and Twelve Questions, p 199 –200 ,**

نقلا عن ناجية مراني،مفاهيم مندائية،مصدر سابق،ص١٢٥.

[٢] الشيخ رافد الشيخ عبد الله الشيخ نجم ،عضو المجلس الروحاني الاعلى لطائفة الصابئة المندائين ،الصلاة المندائية وبعض الطقوس الدينية شركة التايمس الطبعة الاولى ،بغداد ١٩٨٨،ص١٨.

[٣] امين فعيل حطاب ،(الرشامة والبراخة) ،اعداد لجنه النور المندائية ،بغداد ٢٠٠٣ ص١-مابعدها

بالماء الجاري "اليردنا" من الانهار او الينابيع ،اما اليوم فيمكن ان تتم "الرشامه" بمياه الاسالة في الانابيب، ويعد تبرهذا التغيير من في ضمن التغيرات التي طرأت على الطائفة بعد ان تغير سكناها من مناطق الجنوب الى المدن الكبرى مثل بغداد والبصرة[1] . ان "الرشامة" تقتصر على الجلوس فقط ،و مدّ اليد فوق الماء دون لمسه لاخذ الرخصة للشروع بالوضوء ،ورفع اليد اليمنى للاعلى والقول[2] **(تبارك الماء العظيم ماء الحياة مسبح الرب ،بالعهد مصان باسم الحي العظيم السلام والتزكية لك يا اب الاباء الملاك برياويس ،ملك الماء الجاري العظيم ماء الحياة)** .

ثم تغسل اليدين الى المرفقين مع القول **(باسم الحي العظيم طهرت يدي بالحق وشفتي بالايمان لينطقا بكلام النور ،وافكاري تدخل في عقيدة النور)**

ثم يغسل الوجه مع القول **(مبارك اسمك ومسبح اسمك سيدي "منداد هيي" عارف الحي،مبارك ومسبح ذلك الجلال العظيم الموقر الذي انبعث من ذاته)**،ثم تغمس اصابع اليد اليمنى بالماء وتمسح بها الجبهة ذهاباً من اليمين الى اليسار، وفي كل مرة (ثلاث مرات) يعاد المقطع الاتي **(انا "الاسم الديني –الملواشه" ارتسم برسم الحي ،اسم الحي واسم عارف الحي مذكور علي)**

ثم تغسل الاذنين اذ تغمس السبابتان بالماء وتنظف بهما الاذنين ثلاث مرات مع القول **(أُذناي تسمعان اقوال الحي)**

ثم يغسل الانف بأخذ قليل من الماء براحة اليد اليمنى، ويُستنشق ويُرمى الى جهة اليسار ويكرر ذلك ثلاث مرات، وفي كل مرة يقال **(انفي يستنشق رائحة الحياة)** ثم يثبت الارتسام اذ يصار الى غسل الاعضاء التناسلية والشرج بطريقة تمثيلية لانها تكون قد غسلت قبل الشروع بالرشامة ،لذا يرش الشخص الماء من يده اليمنى الى يده اليسرى وبها يرمي قليلاً من الماء الى مقعده وفي هذه الاثناء يتلو المقطع الاتي(**رسمي العالي لايجري بالنار ،ولايجري بالزيت ولايجري بالمسح ،رسمي مرسوم بالماء الجاري العظيم ،ماء الحياة ،الذي لا يدرك الانسان قدرته ،اسم الحي العظيم واسم عارف الحي مذكور على)**

ثم تجري عملية طرد النجاسة اذ يلقى المتبقي من الماء الذي في اليدين الى جهة اليسار، ويقرأ المقطع الاتي مرة واحدة **(ابتعد ايها الظلام ،واثبت ايها النور ،اسم الحي واسم عارف الحي مذكور علي)** .

ثم يغسل الفم ،اذ يؤخذ قليل من الماء براحة اليد اليمنى ، ويمضمض به ويرمى الى جهة اليسار ثلاث مرات،ويعاد المقطع الاتي في كل مرة بعد رمي الماء من الفم **(فمي امتلئ**

---

[1] غضبان رومي ،الصابئة ،مطبعة الامة ،بغداد ،١٩٨٣ ،ص١٣٩ –١٤٠ .

[2] كل النصوص الوارد ذكرها في الوضوء اخذت من ،(الرشامة والبراخه) (الوضوء والصلاة) ،اعداد لجنة النور المندائية) ترجمة امين نعيل حطاب ،بغداد ،٢٠٠٣

ايـات وتسـبيحاً)، ثم يؤخذ قليل من الماء في اصابع اليدين ويمسح بهما على الركبتين وتعاد ثلاث مرات وفي كل مرة يعاد **(ركبتاي تنثنيان وتسجدان للحي العظيم)** ،ثم يؤخذ قليل من الماء في اصابع اليدين ويمسح بهما على الساقين من الاعلى الى الاسفل، ويُعاد ذلك ثلاث مرات وفي كل مرة يقال **(رجلاي سالكتان طريق الحق والايمان)** ،ثم يضع الراشم اطراف اصابع يديه في الماء ويتلو المقطع،وعند وصوله الى البسملة يرش الماء على الرأس ويعيد ذلك ثلاث مرات مع اعادة المقطع الاتي **(باسم الحي العظيم ،انا "الاسم الديني" اصطبغت بصباغة الملاك بهرام الكبير ابن العظمة ،صباغتي تحرسني وترفعني الى العلا ،اسم الحي واسم عارف الحي مذكور علي)**، ثم يقف الراشم بعد ان كان جالساً، ويمد قدمه اليمنى ويغمسها في الماء وبعدها يغمس قدمه اليسرى ومن ثم اليمنى .. ثلاث مرات ويقول في كل مرة **(ليرفع عن رجلي ويدي تسلط السبعة ،والاثنى عشر**[1] **،اسم الحي واسم عارف الحي مذكور علي)** .

ونلاحظ في كل اجراءات الوضوء "الرشامه" ،وفي كل خطوةثمة تأكيد على ذكر (الحي العظيم–هيي ربي) واسم عارف الحي "منداد هيي ،وتأكيد على طهارة وقدسية اليمين مقارنة باليسار ،فكل طقس يبدأ باليمين و ينتهي باليسار الملوث ،فغسل الانف يتم الى جهة اليسار، وكذلك مضمضة الفم اذ يلقى الماء الى جهة اليسار ... الخ .

اما اداء الصلاة فتبدأ بالتبريكات ، وهي ترتيل يقرأ قبل كل صلاة بعد اكمال الوضوء الذي يعدتبر مدخلا لأداء الصلوات ، وتقرأ كل الصلوات والتبريكات بصوت مسموع.

وفيما يلي التبريكات بالنص العربي [2] :

ا.موجودالحي ،موجودالله،موجود منداهيي

ب.بعالم الانوار بشهادة الحي وبشهادة ملك عالم الانوارالعظيم الاله الذي من نفسه تكون.

ج.لاباطل ولامبطل اسمك ياحي وياالله ويامنداد هيي

١.مسبح ربي ،بالعهد مصان.

٢.باسماء الحي العظيم.

٣.السلام والنزاهة لك يا ابانا العضيم في منزل الرحمةالموقر.

٤.السلام والنزاهة اليكم اباءنا الاولين الموقرين.

٥.السلم والنزاهة لك ياكنز الحياة العظيم الاول الموقر .

٦.السلام والنزاهة لك ايها الملك مارا اد ربوثا إليثا.

---

[1] الاشارة في القول (السبعة) الى الكواكب السبعة و (الاثنى عشر) الى الابراج وكما رأينا في مباحث سابقة انها من قوى عالم الظلام وقوى الشر ،وان الحي العظيم قرر وضع ملائكة عليها لتحد من تسلطها على البشر،وان على كل كوكب وضع (هيبل زيوا) الملاك المهم،اثريين للقيام بذلك .

[2] الشيخ رافد الشيخ عبد الله الشيخ نجم ،الصلاة المندائية ،مصدر سابق ،ص٢١ وما بعدها

٧.السلام والنزاهة لك ايها الملك يوشامن الطاهر ابن التكوين .
٨.السلام والنزاهة لك ايها الملك منداد هيي ابن التكوين .
٩. السلام والنزاهة لك ايها الملك هيبل زيوا.
١٠.السلام والنزاهة لك ايها الملك انش الاثري .
١١.السلام والنزاهة لك ياملك السلام العظيم.
١٢.السلام والنزاهة لك ايها الملك سهاق زيوا العظيم الاول .
١٣.السلام والنزاهة لك ايها الملك سام زيوا الطاهر المبروك المحب للعظيم الاول .
١٤.السلام والنزاهة اليكم هيبل وشيتل وانش .
١٥.السلام والنزاهة اليكم اد ثان ويد ثان .
١٦.السلام والنزاهة اليكم شلماي وندباي الاثريان الحارسان للماء الجاري .
١٧.السلام والنزاهة اليكم الاربعة الاثريون ابناء الضياء .
١٨.السلام والنزاهة اليكم الرجال الاربعة ابناء السلام .
١٩.السلام والنزاهة اليكم انصاب وانن نصاب .
٢٠.السلام والنزاهة اليكم سار وسروان .
٢١.السلام والنزاهة اليكم زهير وزهرون وبهير وبهرون وتار وتروان .
٢٢.السلام والنزاهة اليكم ارفئييل ومارفييل.
٢٣.السلام والنزاهة اليكم يوفين ويوفافين.
٢٤.السلام والنزاهة اليكم ايام الاحد الصالحة .
٢٥.السلام والنزاهة لك ايها الملك بهرون وكنفئييل.
٢٦.السلام والنزاهة لك يا ملك الرايات العظيمة.
٢٧.السلام والنزاهة لك ايها الملك شهلبون الاثري.
٢٨.السلام والنزاهة لك ايها الملك برباغ الاثري .
٢٩.السلام والنزاهة لك ايها الملك شنكلان.
٣٠.السلام والنزاهة لك ايها الملك لهدايا العظيم الصادق .
٣١.السلام والنزاهة لك ايها الملك إتنصب زيوا.
٣٢.السلام والنزاهة لك ايها الملك اد كاس مانا .
٣٣. السلام والنزاهة لك ايها الملك اد كاس ملالا.
٣٤. السلام والنزاهة لك يا ملك الهواء النقي .
٣٥. السلام والنزاهة لك يا ملك الرياح الواسعة .

٣٦. السلام والنزاهة لك ايها الملك مهزيان مدلالا.
٣٧. السلام والنزاهة لك ايها الملك ياور كبار .
٣٨. السلام والنزاهة لك ايها الملك ياور العظيم .
٣٩. السلام والنزاهة لك ايها الملك يوخابر العظيم .
٤٠. السلام والنزاهة لك ايها الملك يوخاشر كنا.
٤١. السلام والنزاهة لك ايها الملك نباط زيوا العظيم الاول.
٤٢. السلام والنزاهة لك ايها الملك سام مانا سميرا .
٤٣. السلام والنزاهة لك يا ابانا العظيم الموقر .
٤٤. السلام والنزاهة لك ياملك الجلال العظيم الموقر .
٤٥. السلام والنزاهة لك ايها الملك ادم المزهو بالنور .
٤٦. السلام والنزاهة لك ايها الملك بهرام العظيم .
٤٧. السلام والنزاهة لك ايها الملك يوزاطق منداد هيي.
٤٨. السلام والنزاهة لك ايها الملك ياور كنزئيل الاثري.
٤٩. السلام والنزاهة لك ايها الملك زهرون السر المخفي .
٥٠. السلام والنزاهة لك ايها الملك سماندرئيل الاثري.
٥١. السلام والنزاهة لك ايها الملك صانصئييل الاثري.
٥٢. السلام والنزاهة لك ايها الملك تاروئبيل الاثري.
٥٣. السلام والنزاهة لك ايها الملك الرجل الاثري .
٥٤. السلام والنزاهة لك ام الحياة.
٥٥. السلام والنزاهة لك إزلات الكبيرة.
٥٦. السلام والنزاهة لك شارات الاصل .
٥٧. السلام والنزاهة لك بهرات انن.
٥٨. السلام والنزاهة لك ايتها المرجانة النقية .
٥٩. السلام والنزاهة لك ايها الملك اباثر العالي .
٦٠. السلام والنزاهة لك ايها الملك إصطونا العظيم .
٦١. السلام والنزاهة لك ايها الملك اباثر صاحب الميزان.
٦٢. السلام والنزاهة لك ايها الملك بثاهيل ابن زهرائيل.
٦٣. السلام والنزاهة لك ايها الملك يحيى بن زكريا.
٦٤. السلام والنزاهة لك ايها الملك ادم الرجل الاول.

٦٥. السلام والنزاهة لك ايها الملك شيت بن ادم الرجل الاول .

٦٦. السلام والنزاهة لك ايها اليكم ايها الملائكة والاثريون والمساكن والمياه الجارية والجداول الجارية وعلى ساكني الانوار جميعا.

٦٧. السلام والنزاهة وغفران الخطايا تهدى لهذه النفس (الاسم الديني) "الملواشة" التي ذكرت بهذه الصلاة والرحمة من بيت الغافر للخطايا المقصودة علي.

وتأتي بعد "الرشامه والبراخا" الصلاة ، وهي على انواع مثل؛ صلاة الصبح ،وهي اداء ترتيل يكون المصلي فيها متوجها نحو الشمال واقفاً ، مع الانحناء (السجود) كلما ذكرت كلمة السجود في ترتيلة الصلاة ،"انّا سغدنا لا ومشبينا لا" أي(انّا نسجد ونسبح للخالق) ، وكذلك الحال بالنسبة لصلاة الظهر التي تقام بعد سبع ساعات من صلاة الصبح أي عند انتصاف النهار ،وكذلك صلاة المغرب قبل زوال الضياء . وهناك صلوات خاصة بيوم الاحد "الهبشا" وهو اليوم المقدس لدى المندائين ،اذ تجرى اغلب الطقوس الدينية في هذا اليوم المقدس ،لذلك تقام صلوات خاصة في هذا اليوم[١] ،وهناك صلوات خاصة بالمناسبات الدينية مثل صلاة "دهوا اد شويشان" وهي صلاة في عيد الايام الستة او ليلة القدر ،ويسمى ايضاً عيد السلام اذ يعلق كل صابئي اكليلاً من الاغصان على باب داره ،وحتى على ابواب الغرف في الدار وهو دليل على فرحة عيد السلام[٢] . والصلاة الخاصة بهذا العيد تقتصر على الوقوف فقط .

---

[١] الشيخ رافد الشيخ عبد الله نجم ،الصلاة المندائية ،مصدر سابق ،ص٢٨

[٢] غضبان رومي ،الصابئة ،مصدر سابق ،ص ١٩١

المبحث الثالث : التعميد

ان الطقس الرئيسي في شعائر الصابئيين هو الاغتسال في الماء ،الذي لايعدتبر رمزاً (للحياة) فحسب بل ويعدتبر الى درجة معينة ،الحياة نفسها. وبذلك يكون الاغتسال في الماء هو اغتسال في سائل الحياة، فهو يمنح الجسم العافية ويقي الانسان من قوى الموت ويعد بحياة الروح الابدية، وميزته الثانية هي التطهر، فمثلما يطرد الماء القذارة والتعفن والنجاسة من الجسم ، فانه يطرد الخطيئة والنجاسة من الروح[١] .

ومع اهمية الماء الجاري "اليردنا" ،الا انه تجدر الاشارة الى ان: ليست كل المياة الموجودة هي (ماء حي) ،لانني سألت "يلوفا" (مثقف ديني) عن الامر فقال : ان ماء هذا العالم يقسم الى تسعة اجزاء ،جزء واحد منها هو الماء الحي، والثمانية الباقية هي ماء ارضي. وكما ذكرنا في مبحث :(المقدسون) السابق ،فأن اليردنا اصلها من السماء،اذ ان "اليردنا" السماوية هي "فرات زيوا" او الفرات النوراني، وهو يصب في "اليردنا" الارضي ،وهكذا فان الماء الحي "ميه هيي" هو واحد الى تسعة ، و الاجزاء الثمانية الباقية هي الماء الاسود المتاخم "ميه سياوة" .

واحتفالات التعميد او الاغتسال ثلاثة انواع : تمثل ثلاث درجات من التطهير ، فالحد الادنى من الطهارة يتم بالوضوء "الرشامة" وهي لاتحتاج الى مساعدة رجل الدين وبأمكان المندائي ان يقوم بها بنفسه ، وقد مر ذكر "الرشامه" بالتفصيل في مبحث الصلاة. والنوع الثاني من الطهارة هو ثلاث ارتماسات في النهر، وتجرى ايضاً بدون الحاجة الى شيخ (رجل دين) وتسمى "طماشة" ، وهي تطهر من النجاسات الصغرى ؛ مثل الحيض عند المرأة – ولو انها يجب ان تُكمّل بتعميد كامل –وبعد لمس جثة الميت ،وبعد الجنابة في المضاجعة والاحتلام، وبعد أي نجاسة صغيرة او لمس شخص نجس فالنجاسة معدية[٢] .

اما النوع الثالث فهو التعميد الكامل "مصبتا" الذي يجرى بمعرفة رجل دين (شيخ) وشاهد "اشكندا" ،ويتم بمصاحبة قراءة تراتيل دينية يقرؤها رجل الدين من كتاب الانفس "سدرا اد نشماثا" الذي يعدتبره المندائيون كتاباً منزلاً من الله على ادم (ع)[٣] .

ويجب ان نصف اولاً الادوات التي تستعمل في التعميد الكامل "مصبتا" ،وهذه الادوات بسيطة و(بدائية) ،وهي عبارة عن بضعة اغصان طرية من الآس ، وهذا النبات مزروع بشكل كبير في الحديقة الخاصة بـ"المندي" وعلى اطرافه(و تستعمل اغصان منه لهذه الاغراض ،وهذه الاغصان تهيأ لعمل اكاليل الآس "كليلة" التي يستعملها الشيخ والانسان المندائي العادي).

---

[١] الليدي دراوور ،الصابئة المندائيون ،مصدر سابق ،ص١٦٧

(٢)المصدر نفسه ،ص١٦٩

(٣) الشيخ رافد الشيخ عبد الله ،التعميد المندائي ،شركة التايمس بغداد ١٩٩٠ ،ص٧

ويسمى كل متعمد (نفس) "ملواشة" ، واذا كان هنالك راية "درفش" فتستعمل احد الاكاليل له ايضاً ،كذلك يوجد صحن طيني "الطريانه" ، وهو عبارة عن طبق دائري من الطين المخلوط بالتبن لتقويته توضع فوقه حلقة طينية "كنكانه"، وفي هذا الصحن الطيني تجويف شبه دائري تحدده حدود تسمى "ميسري" توضع فيه الـ "قوقه" ، وهي عبارة عن مكعب من الطين المجفف في اعلاه انخفاض دائري بسيط فيه شئ من البخور "ريهه" .و"البريهي" الذي يحتل معظم "الطريانه"هو عبارة عن وعاء بيضوي للنارمصنوع من طين ،يحرق فيه الوقود من حطب او فحم ، وحين توقد النار فهي اما ان تستعمل لحرق البخور او لخبز "البُهثه" الخبز المقدس[١] .

ويجب ان يكون الطحين والملح مجهزين من اجل "البهثه" ،وكذلك يلزم وجود اكواب ذات عمق قليل تشبه فناجين القهوة العربية ، الا انها مصنوعة من النحاس لشرب الماء المقدس، وقنينة زجاجية من اجل شرب الماء من "اليردنا" مباشرة ،أي من النهر او الحوض او العين التي يتم فيها التعميد ،وبذلك يكون لدينا "بهثه" (خبز مقدس) و"ممبوهة" شربة الماء المقدس في العماد .

والماء المقدس "ممبوهة" هو ماء صرف ،ولا تخلط معه الخمرة او أي نوع من العصير الا في احتفال الزواج او "المسخثة" ، وهي وجبة طقسية من اجل روح الميت سنأتي على ذكرها تفصيلاً.واخر ادوات شعيرة التعميد هو العلم "الدرفش" ،ولا يستعمل في جميع حالات التعميد وانما يستخدم في حالات التعميد الجماعية، فقد رأيته على ضفة نهر دجلة في منطقة القادسية تحت جسر الجادرية في عيد البنجه (عيد الخليقة). ويتكون "الدرفش "من غصنين غليظين متقاطعين من سيقان الاشجار ،و يجب ان تكون طاهرة ، ويوضع على هذا الصليب قطعة قماش بيضاء مثبته على الجزء المكون للـ "درفش" (+)، وهي نوع من القماش الحريري ،وليس هناك أي علاقة بين "الدرفش" والصليب المسيحي ، اذ ان العلم بالنسبة للمندائيين هو رمز للنور، فهم يتصورون ان ضوء الشمس والقمر والنجوم ينبعث من اعلام كهذه[٢] . وتجدر الاشارة هنا الى ان قماش العلم هو الجزء المقدس منه ، بينما الخشبات المتصالبة ليست مقدسة ،وتكون قطعة القماش البيضاء مستطيلة الشكل بطول حوالي (٩٠ سم) وعرض (٣٠ سم) تقريباً ،ونهاياتها مرفلة(اي ذات شراشيب) والقماش محاك من حرير ابيض . اما اكليل الآس فيوضع فوق السارية ليستقر عند تقاطع العصاتين .ويكون اسفل العصي (+) مدببا ومغلفا بحديد او نحاس لكي يغرز في الارض .

وسأصف فيما يلي عملية تعميد كاملة "مصبتا" شهدتها بنفسي :

---

(١) انظر الصور الفوتوغرافية لادوات التعميد في ملحق(٣) الخاص بـ الاشكال والصور في نهاية الرسالة .

(٢)الليدي دراوور،الصابئة المندائيون ،مصدر سابق ،ص١٧٦-١٧٧

بعد تهيئة معدات التعميد التي اشرنا اليها ، يرتدي الشيخ والمتعمد والشاهد ملابسهم الدينية الكاملة "رسته"[1] ،وبعد ان يتأكد الشيخ من كل جزء من "رستته" ، يوقد النار في الوعاء ويضع عليه البخور ويعيده الى الـ "طريانه"،اذ تكون كل خطوة من الخطوات مصاحبة لترايتل بصوت مسموع ،و يكون الشيخ قد جهز مسبقاً "بهثه" (خبزاً مقدساً) ،واذ لم اشاهد اعداد هذا الخبز المقدس ،سألت حلالياً عنه ،هل ثمة اليوم تناول للخبز المقدس؟ فاجابني نعم ، ولكنهم اليوم، ولاختصار الوقت، يعدونه و يحضرونه قبل "الصباغه" . بعد تلك الاستعدادات يدخل الشيخ الى حوض التعميد ويدخل معه المتعمد وهو يكرر تلاوة الدعاء بعد الشيخ ،ثم بعد ذلك يغطس تحت الماء ثلاث مرات والشيخ يرش الماء على رأسه،ثم يأخذ الشيخ رأس المتعمد ويغمر جبينه تحت الماء ثلاث مرات، ثم يرسّم الشيخُ المتعمدَ وذلك بامرار يده ثلاث مرات عبر جبهة المتعمد من اليمين الى اليسار ،ويلبسه اكليل الآس ،ثم يسقيه الماء براحة يده اليمنى ثلاث مرات، ويردد المتعمد بعده :"العهد يحفظك ويثبتك" وهو يمسك بيد الشيخ اليمنى ،ثم يخرج المتعمد من الماء ويجلس الى جانب الحوض (بالامكان وضع غطاء عليه اذا كان الجو بارداً ، فقد حضرت تعميداً في شهر كانون الثاني ،وكانت هناك مدفئة نفطية وبطانيات يلتف بها المتعمدون) .ثم يخرج الشيخ ويكون قد حضّر "المشّا" مسبقاً، وهي زيت السمسم الذي صنعه بيده من عصر بذور السمسم بعد خلطها بقليل من الماء الحي ،فيأتي من خلف المتعمد ويمسح جبينه ثلاث مرات بالزيت المقدس "المشا" من اليمين الى اليسار ،ثم يذهب المتعمد الى الحوض وقد شمر عن ساعده الايمن و يأخذ "البهثه" الخبز المقدس من الشيخ ليأكله ،ثم يصب الاخير من القنينه في "الكبثة" و يعطيه للاول ليشرب ،يتم ذلك بسرعة اول مرة وثاني مرة وفي المرة الثالثة يرمي المتعمد الماء خلفه من جهة الكتف الايسر ،ثم يضع الشيخ يده فوق راس المتعمد ويبدأ بالتلاوة ، ثم يمد المتعمد والشيخ ذراعيهما اليمنى باتجاه مكان التعميد (النهر او الحوض) وتبدأ قراءة الشهادة، ثم بعد ذلك يتصافحان ويأخذ الشيخ من المتعمد العهد للمرة الثالثة .

وبذلك يكون التعميد "الصباغة" عبارة عن : ثلاث غطسات في الماء الجاري، وثلاث ارتماسات لجبهة المتعمد في الماء الجاري ،وشرب ثلاث جرعات من الماء الجاري تعطى بكف الكاهن اليمنى الى المتعمد ،ويؤخذ العهد منه، ثم يتوّج بأكليل مظفور من الآس ويضع الشيخ يده اليمنى على رأس المتعمد ويؤخذ العهد منه مرة اخرى، ويخرج المتعمد والكاهن الى ضفة النهر، حيث يتم مسح جبهة المتعمد بزيت السمسم المقدس "مشا" ليعبّر عن بركة الخالق ،واخذ العهد منه ثالثة ،ثم تقديم الخبز المقدس "بهثا" ،واعطاؤه الماء المقدس "ممبوها" واخذ العهد منه رابعة بالاخلاص والثقه "كشطا" ،وبعدها يشهد المتعمد شهادة التعميد ، ويعطي الكاهن العهد

---

١. انظر ملحق (١) الملابس الدينية "رسته "ص١٩٥ من الرسالة

الى المتعمد وكذلك يعطي الكاهن العهد الى الشاهد "اشكندا" ، وتصاحب كل هذه الطقوس صلوات وادعية وتراتيل ،كما شرحناها سابقاً .

ويتعمد المندائيون في حالات عديدة: ،اول طفولتهم –اي بعد شهر من ولادتهم– والشيوخ في كل مناسبة دينية،والكبار قبل الزواج ،وبعد الزواج باسبوع ،كما وتعمد المرأة بعد شهر من ولادتها ،ويكون التعميد عادة يوم الاحد وفي الاعياد والمناسبات الدينية . ولايختلف التعميد بين الرجال والنساء،ولكن تعميدهم يكون منفصلاً ،فالشيخ الذي قام بتعميد رجل لايحق له ان يعمد امرأة في الوقت نفسه ،والعكس صحيح. ولا يجوز للكاهن ان يعمد نفسه ، وكذلك لايجوز له تعميد زوجته لانها تعد مكملة له حسب الدين المندائي[1] ، ولايجوز للمرأة الحامل ان تتعمد وحدها اذ يجب ان تصاحبها بعض النسوة كي يساعدنها في حالة حدوث أي طارئ، كما لايجوز للكاهن ان يعمد في الايام المحرمة "المبطلات" التي عددها (٣٣) يوماً كما سبقت الاشارة.

و "المصبتا" التعميد له عدة انواع ،منه التعميد المنفرد، والتعميد الجماعي ،والتعميد الذي يسمى "تلاثا داري"، أي تعميد ثلاثي يقوم به ثلاثة كهان في الوقت نفسه لتعميد شخص واحد لكي يصبح طاهراً جداً ،مثل تعميد المرشح للتكريس قبل تكريسه ،وغير ذلك. والتعميد الذي يسمى "شيتر وهمشا مصبتا" أي خمسة وستون تعميدة ،وهو اعلى مما سبقه ،اذ يتعمد الشخص المرة بعد الاخرى بواسطة ثلاثة كهان ،ويستعمل هذا التعميد للشخص المدنس تدنيساً كبيراً جداً ، والتعميد الذي يسمى "تلثما وشتين مصبتا" أي ثلاثمائة وستون تعميدة وهو اعلى من كل التعميدات ،اذ يعمد فيه الكاهن المرة بعد الاخرى بواسطة سبعة كهان ، وهنا يجب ان نقول ان التطهر من خطأ كبير جداً قام به رجل دين وليس مندائي عادي هو الذي يتطلب هذا النوع الشاق من التعميد .

منسّق:متوسط

(١) الشيخ رافد الشيخ عبد الله ،التعميد المندائي ،مصدر سابق ،ص٨

المبحث الرابع : طقوس الزواج

يؤكد الدين المندائي بشدة على ضرورة الزواج واهميته ، بل ويعدتبر الاعزب الذي يرفض الزواج مقترفاً لذنب كبير دينياً ،ويعدتبر الانجاب جزءاً متمماً للدين ،فالاولاد هم الذين يحملون الجنازة، ويقومون باجراء الطقوس الدينية الواجبة للاباء بعد الوفاة مما يساعد الميت على بلوغ عالم الانوار في اخرته. والرهبنة في الدين المندائي محرمة غاية التحريم ،لانها ضد الحياة ،والحياة في العقيدة المندائية هي محور الدين وجوهر العقيدة ،بل ان رجل الدين اذا كُرس في اولى درجات الكهنوت ثم تزوج ولم ينجب فأنه يخرج من السلك الكهنوتي ،اذ يجب على الشيخ ان يكون متزوجاً ومنجباً .اما بالنسبة للمندائي العادي ،فلا يصح للاعزب ولا للمتزوج العقيم ان يترأس حمل الجنازة او ان يكون وكيلاً للعروس في مراسم العرس. والخلاصة هي ان الزوجة في الدين تكمّل الزوج بحسب العقيدة المندائية في الدنيا ،وفي الآخرة تعود لزوجها وتسكن معه بعد ان تنهي النفوس مرحلة التطهر في "المطراثا" المطهر[١] .

ويؤكد الكتاب المقدس المندائي "كنزا ربا" على الزواج فنقرأ فيه[٢] :

باسم الحي العظيم

ايها العزاب ،ايتها العذارى ... ايها الرجال العازفون عن النساء ،ايتها النساء العازفات عن الرجال ،هل وقفتم على ساحل البحر يوماً ؟ ،هل نظرتم الى السمك كيف يسبح ازواجاً ؟ ،هل صعدتم الى ضفة الفرات العظيم ؟هل تأملتم الاشجار الواقفة تشرب الماء على ضفافه وتثمر؟ فما لكم لاتثمرون ؟

افلا نظرتم الى الانهار اليابسة كيف تذبل الاشجار على شطآنها وتموت ؟

كذلك العذارى اللائي لايذكرن اسم الحي ،نفوسهن تموت .

الرجال الزاهدون في النساء والنساء الزاهدات في الرجال ،كذلك يموتون،ومصيرهم الظلام حين من اجسادهم يخرجون ،ايها الاصفياء الذين اصطفيتهم اقيموا اعراساً لبناتكم،وامنوا بربكم .. ان العالم الى زوال ،ولاتكونوا كالذين يكرهون الحياة فيعزفون عن الانجاب فيها، اثمروا ان اردتم ان تصعدوا حيث النور .

ويفضل في الدين المندائي عدم تعدد الزوجات ،الا ان تعدد الزوجات موجود لديهم حتى عند رجال الدين ،وبعضهم يذكر شروطاً معينة لتعدد الزوجات ، ومع هذا نرى في بعض الحالات زواجاً ثانياً بدون ايما سبب او شرط من هذه الشروط . ومن اهم الاسباب التي تدعو الى الزواج الثاني والثالث ...الخ ،هي العقم او المرض المعدي ، ويشترط على الزوج في هذه الحالات ان

---

(١) غضبان رومي ،الصابئة ،مصدر سابق ،ص١٦٤

(٢) كنزا ربا ،يمين الكتاب الثاني ،التسبيح الرابع ،الدعوة الى الزواج ،طبعة بغداد ،ص٣٨

يعدل بين زوجاته . وفي حالة تعدد الزوجات تكون المرأة الاولى هي ذات الحضوة في كل مناسبة دينية ودنيوية [١].

ويجوز للصابئي الزواج بالمراة الصابئية اذا لم تكن من المحرمات عليه ،والمحرمات هن نفس المحرمات في الدين الاسلامي بالضبط ،ويضاف الى ذلك عدم جواز الزواج من خارج الطائفة المندائية ، بل ان ذلك سيؤدي الى طرد الفرد من الطائفة وعدم السماح له بالعودة حتى اذا انفصل عن الزوج او الزوجة غير المندائية .ولكنني سمعت من بعض افراد الطائفة ان حالات رجوع الازواج بعد انفصالهم عن نساء غير مندائيات بات اليوم مقبولا ولو بصعوبة وفي حالات قليلة،ويشترط على العائد الى الدين المندائي ان يخضع لتعميد من نوع عال ، اما النساء المندائيات فلا يسمح لهن بذلك وسنناقش الامر في مبحث قادم .

لقد ذكر بعض الباحثين انه قد ورد في ديوان " الف ترسر شيالة"–وهوكتاب تعليم رجال الدين الاجراءات والطقوس الدينية– انه يجوزالزواج من المرأة المسيحية انما بعد اجراء طقوس خاصة وصعبة عليها [٢] ولكني عندما حاولت التأكد من الامر وسألت "يلوفا" (مثقفا دينيا) قال : لاوجود لمثل هذا الامر،وعندما عدت الى ديوان "الف ترسر شيالة" لم اجد مثل ذلك الامر وبالتالي فأن زواج المندائي والمندائية من خارج الطائفة يخرجه من الدين المندائي.

وتتم اليوم في عمليات الزواج طقوساً دينية ثابتة،واجراءات متغيرة بسبب التغير الاجتماعي الذي تعرضت له الطائفة. اذ تبدأ عملية الزواج بأجراءات الخطوبة اولا ، وهي ليست ذات خصوصية عند المندائيين فهي تتم كما هي لدى غيرهم ،ويتم الاتفاق على المهر وتقام الافراح وتقام وليمة للاقارب والاصدقاء ثم تبدأ الاستعدادات للزواج .

وهناك نقطة مهمة في الاستعداد للزواج وهي التأكد من بكارة العروس ، اذ يولي المندائيون اهمية كبيرة للعذرية ، وتقوم بهذه المهمة امرأة من طرف الشيخ الذي سيقوم بعقد الزواج –كأن تكون اخته او زوجته او امه – وتبلغه بالامر. لان العروس اذا لم تكن باكراً لايقوم بعقد زواجها شيخ بدرجة "كنزفرة" وانما يقوم بذلك شيخ من مرتبة اوطأ يطلق عليه "ابيسق" هو المختص بعقد الزواج للثيبات ،وفي حالة الخطأ ،أي اذا أُبلغ الشيخ بأن المراة باكر وعقد لها "الكنزفرة" على انها باكر، فانه يكون قد ارتكب خطأ دينياً جسيماً ،ويوقف عن العمل الديني حتى يتعمد العماد الاكبر الذي تعمد به "هيبل زيوا " بعد رجوعه من عالم الظلام، وهو (٣٦٠) عماداً خلال سبعة ايام ،وقد ذكرت الليدي دارووز حادثة مشابهة حدثت مع الشيخ "الكنزفرة" (دخيل

---

(١) غضبان رومي ،الصابئة ،مصدر سابق،ص ١٦٤

(٢) المصدر نفسه ،ص ١٦٥

عيدان) ،ويكفي ان نذكر ان مثل هذا العماد قد يؤدي الى الوفاة خصوصاً اذا اجري في فصل الشتاء[١] .

ومن الجدير بالذكر ان من مظاهر التغير لدى الطائفة فيما يخص احد طقوس الزواج، انه في بدايات القرن العشرين ، كانت عملية فحص عذرية العروس والتأكد من بكارتها "البهارة "تتم في بيت الشيخ ، اذ كانت العروس تبيت مع بعض النسوة من اهلها عنده قبل ليلة العرس ،لتقوم امرأة قريبة منه بفحصها،اما اليوم فأن هذه العملية تتم بسرعة اثناء اجراء مراسم الزواج في غرفة في المندي معدة لهذا الغرض ،وتكون قريبة من مكان اجراء طقوس الزواج ،وما ان تتم عملية الفحص بنجاح (اي حينما تكون المرأة باكرا، تسمع الزغاريد والاهازيج تعبيرا عن الفرح بطهارة العروس.

تبدأ الطقوس الدينية صباح الاحد ،اذ يذهب العريس والعروس مع عائلتيهما الى المعبد (مندي الطائفة المندائية) او الى بيت رجل الدين او أي مكان يمكن اجراء الطقوس فيه، وتبدأ المراسم المقدسة بالتهيئة لتعميد العروسين ومن يرغب من اقاربهم واصدقائهم، وفي هذه الاثناء تهئ "الاندرونة" وهي هيكل قصبي مغطى بقطعة قماش بيضاء يمثل رمزاً لبيت الزوجية القادم ، ولاتتجاوزمساحته الصغيرة الـ (٢م×٢م) ، تهئ فيه الموائد لغرض اقامة "زدقه بريخه" (وجبة مقدسة) ،فيها انواع من الطعام مع (٢٦) رغيف خبز وسمك وملح وماء.

وتبدأ اجراءات التعميد ،اذ يعمد الزوج والزوجة كل على انفراد من قبل احد الشيوخ. وعادة يكون التعميد مرتين ،ويسمى التعميد الاول "زهريثه" والثاني "نشميثه"، فالاول اذا كان الفرد غير متعمد وهو بالتالي للدخول في الدين، اما اذا كان الفرد متعمداً سابقاً فلا يحتاج الى هذا التعميد ،والتعميد الثاني إلزامي لاكمال تطهير العروسين من كافة مخالفاتهما الدينية السابقة او من نجاستهما . وبعد ان تتم الطقوس تستبدل ملابس العروس والعريس المبتلة بملابس دينية اخرى جافة (اذ ان كل الطقوس تجرى وقد ارتدى العروسان ملابسهما الدينية "الرسته")،وبعد التعميد يجب ان تهيأ الاشياء الاتية قبل عقد الزواج[٢] :

١. حضور شيخان احدهما بدرجة "كنزفرة" بملابسهما الدينية "رسته" ، و قد يقوم "الترميذة" بالعقد بدل "الكنزفرة ".
٢. يجب حضور شخص متزوج ومنجب ليكون وكيلاً للعروس (ويسمى الاب) .
٣. يحضر صبيّان او شخصان لحمل سلتين مليئتين بملابس العروس والعريس مخلوطة .
٤. يحضر الزوج نفسه ولايجوز التوكيل عنه في عقد الزواج .

منسّق:بعد: 0 سم، تعداد رقمي + المستوى: ١ + نمط الترقيم: 1، 2، 3، ... + بدء الترقيم بـ: ١ + المحاذاة: أيسر + محاذاة عند: 0 سم + علامة جدولة بعد: 36.0 سم + مسافة بادئة: 36.0 سم

(١) عبد الحميد عبادة ،مندائي او الصابئة الاقدمون ،تقديم وتعليق رشيد الخيون ،مصدر سابق ص٢٥
(٢) غضبان رومي ،الصابئة ،مصدر سابق ،ص١٧٣

٥. يحضر عدد من الاشخاص كشهود على عملية الزواج .
٦. يعد احد الكهان "ترميذه" وجبة الطعام المقدسة والمكونة من لب جوز ولوز وزبيب وفواكه وسمك.
٧. يهيأ ابريق معدني مملوء بماء من "اليردنا" ويلف بقطعة قماش ابيض
٨. يهيأ قليل من نقيع التمر في قنينة صغيرة يسمى "همرة" ، وهي رمز للخمرة ولكنها غير مخمرة .
٩. يهيأ (٢٦) رغيفاً من الخبز.
١٠. تحضر "سكين دوله" وهي اداة طقسية لدفع الشر سنأتي على ذكرها بالتفصيل في مبحث قادم ،على ان تبقئ عند العريس مدة اسبوع بعد العرس .
١١. يحضر "اكليلة" اكليل من الآس ،وهو يمثل رمزاً للخصب ،وكلمة "آسا" في المندائية تعني المُشفي .

وبعد ان تهيأ الاشياء المذكورة انفاً، يقف الشيخ الذي يقوم بالعقد في باب "الاندرونه" ويقف على يمينه العريس بملابسه الدينية البيضاء ممسكاً بـ "نصيفة" الشيخ (وهي قطعة قماش طويلة وجزء من الرسته يضعها الشيخ حول رقبته) بعد ان يكون قد اكمل "الرهمي" أي طلب الرحمة والغفران ،ثم يأتي الصبيان اللذان يحملان سلتي الملابس(وفيها ملابس للعروس والعريس مخلوطة مع بعضها) ويتقدمان نحو باب "الاندرونه" ، يتقدم الصبي الاول رافعاً سلته وهو يقول (باسم الحي واسم عارف الحي ،في الزواج السلامة) ،ثم يأتي الصبي الثاني ويفعل ما فعل الاول ،ثم توضع احدى السلتين (وتحتوي على وشاح اخضر) ، في "الاندرونه" بينما تؤخذ السلة الاخرى الى غرفة العروس حيث تكون جالسة مع اقاربها في غرفة مجاورة قريبة (وهي الغرفة نفسها التي تم فيها فحص عذرية العروس) ،ثم يقول الشيخ الذي يقوم بالعقد للشيخ الذي يساعده (اذهب وتفقد المتطلبات الدينية كالملابس والمفروشات والبس العروس الخاتم ذو الفص الاحمر في اليمين وذو الفص الاخضر في اليسار وطهر يديها واعطها لتأكل وتشرب واقرا لها سورة "باسم الحي" وسورة "هثيمة بصر هيي" لحفظها من النوائب).

يذهب الشيخ المساعد– بحسب ما امر به– يتفقد ملابس العروس ويوصي بان تبقى في محلها ، والا تخلع ملابسها الدينية في اثناء مدةفترة العقد ، ويسألها امام الشهود فيما اذا كانت موافقة على الزواج من (فلان بن فلانه) ، ثم يلبسها الخاتمين (وهما يعبران عن هدية العريس بمناسبة الزواج) ، ويسأل عن عذريتها من الفاحصات ، ثم يصب على يدها اليمنى ماءً طاهراً من الابريق الذي نوّهنا عنه ، ويقدم لها لقمة من لب الجوز والزبيب لتأكلها ، ويقرأ عليها – العروس–التراتيل، ثم يتركها ويعود الى "الاندرونه" حيث يجد الشيخ والعريس واقفان ببابها المتجه باتجاه الشمال ،فيسأل الشيخ مساعده ، فيجيب المساعد (ذهبت الى غرفة العروس وتفقدت

طهارتها وعفتها وملابسها وطهرت يدها والبستها الخاتم الاحمر في اليمين والاخضر في اليسار واعطيتها هبة الاكل ،فاكلت وشربت وقرأت عليها باسم الحي بدون زيادة ولانقصان) .

بعد ذلك يلتفت الشيخ الى الحاضرين قرب "الاندرونه" ويعيد عليهم ~~نفس~~ الجمل نفسها التي ذكرها للشيخ المساعد الذي ذهب الى العروس ،وكذلك للعريس الممسك بنصيفة الشيخ ،ويبدأ بفتح كتاب (القستا) الخاص بتراتيل الزواج ويقرأ بعض الادعية ، ثم يؤشر للطفل الواقف عند باب "الاندرونه" ،فيقوم الطفل بكسر مشربتين فخاريتين (تنكه) ،وهو رمز لذهاب الشر، وتستمر قرأءة التلاوات.

وبعد الانتهاء من قرأءة التراتيل يجلس الشيخ والعريس في "الاندرونه" وتكون وجوههم متجهه نحو الشمال ويجلس وكيل العروس مقابلاً لهم ووجهه للجنوب، ويبدأ الشيخ بترتيب "الطرايين" الصحون الطينية وتُوزع عليها الارغفة والسمك والخضرة والفاكهة و "الهمرة" نقيع التمر ، وبعد التوزيع يطلب الشيخ من مساعده رايه ،فيجيب الشيخ المساعد (ابتهلنا لله لغفر خطاياك) ثم يسأل وكيل العروس (لمن اقيمت هذه المائدة ؟) فيجيب الوكيل (اقيمت هذه المائدة بمناسبة زواج فلانه ابنه فلانه زواجاً شرعياً بالعهد) ، ثم يعيد الشيخ السؤال على وكيل العروس ثلاث مرات ويجيبه الوكيل ~~نفس~~ الاجابة نفسها ،وتكون الاسئلة والاجوبة لثلاث مرات بصوت مسموع .

ثم يلتفت الشيخ الى العريس الواقف امام الوكيل ويقول له :(لقد نصبناك زوجاً على فلانه ابنة فلانه زواجاً شرعياً بالعهد ،بشهادة الله الحق الازلي وبشهادة ملائكته الابرار وبشهادة الحاضرين من الشيوخ والمندائيين ،على ان لا تنقض عهدك ، ولا ترجع عن رأيك ولا تتكل بزوجتك فهي مُسّلمة اليك بموجب العهد النازل من الله سبحانه وتعالى) ثم يلتفت الى وكيل الزوجة ويلقنه باعادة الالفاظ وراءه : (اني اسلمك اياها بالعهد الذي امرنا به الله) ،وهنا يتصافح العريس والوكيل ويقبل كل منهم يده ثلاث مرات.

بعد الموافقة يقول الشيخ للعريس (قبلت الزواج من فلانه بنت فلانه بمهر قدره كذا بشهادة هؤلاء الكهان والمندائيين الحاضرين في المجلس) ويردد العريس هذه الصيغة وراء الشيخ ،ثم يمد الشيخ يده الى سلة الملابس الموجودة في "الاندرونه" ويأخذ منها الشال الاخضر الذي تكون الفتاة قد استعملته في بداية الطقوس كبرقع لها، ويعطيه الى الزوج ليلفه حول خصره كهدية من الزوجة في اشارة الى الخير والصلاح والانجاب ،عندها يتقدم الجالسون فيأخذون الخبز الموجود ويأكلونه ، ويجلس العريس و وكيل العروس ويصب احد الشيوخ الماء من الابريق على ايدي الشيخ الذي يعقد والعريس، ثم يُكشف الغطاء عن الطعام الموجود على "الطريانه" الصحن الطيني الذي كان مغطى بقطعة قماش بيضاء ، ويأخذ الشيخ منها بعض الجوز واللوز والزبيب ، ويكسر رغيف خبز مناصفه ويعطي الزوج لقمة ويرسل لقمة الى الزوجة بعد ان يضع قليلاً من التمر في يد الزوج وهذه العملية تدل على المشاركة في الحياة القادمة .

ثم يرفع الطعام المتبقي وتعاود التلاوة من تراتيل "القلستا" ،وفي هذه الاثناء يسقى العريس سبع مرات من "الهمرة" عصير التمر ، وتهدى الى ام العروس قطع فضية وقطع صابون وغيرها من العريس ويقول لها الشيخ (تستحقين يا ام العروس هديتك على تلك التربية وحفظ الطهارة) ، بعد ذلك يذهب الشيخ والعريس الى غرفة العروس ،وقبل الدخول تكسر مشربتين فخاريتين (تنكه) عند الباب لطرد الشرور ، واعلانا بقرب نهاية العقد،ثم يدخل الشيخ والعريس مع عدد من الحاضرين ، ويجلس العريس على فراش العروس على ان يكون ظهره ملاصقاً لظهرها ، وتقرأ عليهم بعض الادعية ،ثم يقوم الشيخ بعملية (طك الروس) اذ يضرب راس احدهما بالاخر ضرباً خفيفاً سبع مرات تنبيهاً للزوجين بفرحة سبع ايام الزواج وتذكيراً لهم بوجوب التطهر بعد هذه الايام السبعة .

ثم يعود الشيخ والعريس الى "الاندرونه" ويبدا بقراة الادعية والوصايا ثم يدوّر حول العريس "المركنة" (صولجان الشيخ) ، وهي عصا يستعملها في طقوسه تصنع عادة من شجر الزيتون،يقوم الشيخ بتدويرها حول العريس ثلاث مرات دليلاً على ان طقوس عقد الزواج قد انتهت وان العروسين قد دخلا في مرحلة نجاسة ، و يكون على العريس ان يبقى محتفظاً بالـ"سكين دولة" ذات الختم الطلسمي ليحميه من قوى الظلام . وعندما يذهب العريس الى عروسه ويحلّ لها الزنار ، يقوم كل من لبس ملابس دينية من العرسان و الاهل والاصدقاء بتغيرها ولبس ملابسهم الاعتيادية والتهيؤ للمغادرة .

ويجب ان نشير هنا الى بعض النقاط وهي :

منسّق:بعد: 0 سم، تعداد رقمي + المستوى: ١ + نمط الترقيم: 1، 2، 3، ... + بدء الترقيم بـ: ١ + المحاذاة: أيسر + محاذاة عند: 0 سم + علامة جدولة بعد: 36.0 سم + مسافة بادئة: 36.0 سم

١. كان الشيوخ يتقبلون بعض الهدايا مقابل عقد الزواج ،بقصد مساعدة الشيوخ في معيشتهم لان الكثير منهم يكون متفرغاً للعمل الديني ، رغم ان البعض منهم يعمل في مهن معينة. الا ان هذه العملية صارت تنظم اليوم بشكل اخر عن طريق ادارة المندي. واخر عقد زواج حضرته كانت اجور العقد وفق الوصل الذي اصدر من الادارة (٧٥ الف دينار) .
٢. يمثل عقد الزواج الديني العقد الاساسي في جعل الزواج شرعياً ،بينما يسعى المندائيون الى محاكم الاحوال المدنية بعد ذلك لاثبات الزواج لاسباب قانونية وتنظيمية ،فاذا تم عقد الزواج في المحكمة فقط ،فان ذلك يعني انه زواج غير شرعي ويجب ان تجرى طقوس الزواج المذكورة انفاً .
٣. تعتبر العروس بعد عقد الزواج الديني ثيباً سواء أدخل بها الزوج ام لم يدخل .
٤. يجب ان يعيد الزوج والزوجة عمادهما بعد اليوم السابع، للتطهر من النجاسة.

وحري بنا ان نذكر اخيراً ، انه رغم كل التغيرات التي طرات على حياة المندائيين ،فان هذه الطقوس مازالت تعامل حتى اليوم باحترام وتقديس ، وتزينها علامات الفرح والابتهاج، ويرى المندائيون انها ضرورية جداً لاتمام الزواج الشرعي .

المبحث الخامس : طقوس الموت ومصير الانسان

يعتقد المندائيون بان الجسد من تراب وانه فانٍ، ولا اهمية له بعد خروج النفس منه، وان الجسد هو وعاء النفس، ومن هنا تأتي اهميته ،وان النفس هي نسمة من ذات الله ،وانها لابد عائدة الى عالم الطهر والنقاوة عالم الانوار[1] .ويجب ان يهيأ المندائي المريض وهو على فراش الموت التهيئة اللازمة من تطهر ولبس للملابس الدينية ليكون الجسد جاهزاً لتغادره النفس، فأذا ماوصل المريض الى المراحل الاخيرة من حياته تبدأ مراسيم تهيئته ،اذ يطلب من احد الشيوخ ان يحضّر اكليلاً من اغصان الآس ،ويقوم باجراء "الرشامه" ، ويلبس الاكليل في خنصرة الايمن، وبعد قرأءة بعض الادعية والتلاوات وطلب الرحمة للمحتضر ،يودع الشيخ الاكليل لدى اهل المحتضر ليكون جاهزاً للاستعمال عند الضرورة .

وحين تقترب المنية (في بعض الاحيان يكون المحتضر واعياً لما يدور حوله وقد يطلب هو ان تعمل له الاجراءات اللاحقة) ، يُجلب ماء حي "يردنا" من الماء الجاري ،وتخلع عن المحتضر ملابسه ويُغسل ثلاث مرات من رأسه الى اخمص قدميه ،واذا كان الطقس بارداً يمكن ان يسخن قسم من الماء ويخلط بالباقي ، يرفع المحتضر بعد ذلك ويوضع فوق فراش نظيف ورأسه متجه الى الجنوب ،بحيث يكون مواجهاً للشمال في حالة نهوضه ،ويلبس "رسته" جديدة بدون عقد الزنار ، وحين يدرك من حوله انه يموت فعلاً (يطبقون جفنيه دلاله على ذلك) ، ويعقدون عقدة الزنار ويضعون "الاكليلة" في مكانها تحت العمامة واوراقها الخضراء تتدلى فوق الصدغ الايسر ، ويثبتونها بخياطتها في العمامة لكي لا تتزحزح من مكانها، كذلك ترتب "الرسته" وهي مشابهة للـ "الرسته" العادية ، الا ان "النصيفه" التي توضع حول الرقبة تكون اطول كثيراً حتى تلف بها الاقدام ،كما تثبت قطعة ذهبية او خيط ذهبي على الصدر في الجهة اليمنى ،كما تخاط قطعة فضية او خيوط فضية على جانب الصدر الايسر. اما اذا كان المحتضر رجل دين فان "رستته تدفن معه" كامله وبضمنها "المركنه" العصا او الصولجان ، و"التاغه" التاج الحريري والـ "شوم ياور" خاتمه الذهبي . وبعد هذه الاجراءات كلها اذا عاش المريض فان هذه الملابس لا تصلح للاستعمال مرة اخرى من قبل الشخص لا لأمور طقسية ولا حتى لحالة وفاة اخرى.

وقد سمعت من كثير من الناس البسطاء ممن لايعرفون المندائيين معرفة جيدة ، بأن (الصُبة) يقومون بخنق المحتضر عند اجراء طقوس الوفاة ،واعتقد ان ذلك متأتٍ من الفهم الخاطئ ، اذ ربما رأى احدهم اجراءات الطقوس التي تقام للمحتضر من غسل وتكفين وهو يحتضر، فذهب الى الاعتقاد بان عملية شد الزنار مثلاً او التأكد من اجزاء "الرسته" هي عملية

---

[1] ناجيه مراني ،مفاهيم صابئيه ،مصدر سابق ،ص١٣٥ .

خنق ،وهم القوم المسالمون الذين اذا قام احدهم بذبح طير للاكل يؤدي بعد ذلك صلاة استغفار وطلب رحمة ،لانه لم يقتل ذلك الحيوان الا بما احله الله للاكل .

وحين تتم وفاة الشخص المحتضر، يقوم بعض الحاضرين بعقد "زناره"عقدة اخيرة، ودس طرفيه في الجانبين. وتهيأ اعواد من القصب والبردي وسعف النخيل والحبال وتغسل طقسياً، ليقوم بعد ذلك شيخ اوحلالي بأستخدامها لبناء الـ"مندلتا " ،وهي هيكل ثلاثي بأرتفاع (٤٠سم) يقام في ساحة دار المتوفي .ويلي نصب الهيكل صقس ديني كامل من قرآت وادعية وتراتيل ،ولاترفع الـ"منداتا" الا بعد مرور ثلاث ايام على الوفاة .

اما الدفن ،فأنه لايتم الا بعد الوفاة بفترة ساعات للتأكد من حصول الوفاة، واذا كان حدوث الوفاة في ساعات الغروب فان الدفن لايتم في الليل ، وانما يؤجل حتى الصباح. وعندما تتم الوفاة فأن الواجب الديني يمنع النواح والبكاء وشق الملابس ، اذ أن الكتاب المقدس "الكنزاربا" يذكر[1] :

لا تبكوا موتاكم ، ولا تقيموا عليهم الاحزان، ان من مزّق ثيابه على ميت فقد دنسه ،ومن قلع شعرة على ميت فسيربط بجبل الظلام بحبل لايبيد .

كلما طالت اعماركم زادت خطاياكم فلا تحزنوا على نشماثا اذا فارقت الحياة فمن الحزن تولد الارواح الشريرة ، فتسبق نشماثا في عروجها وتضايقها في دار الحساب .من احب موتاه فليطلب لانفسهم الرحمة ،واقيموا عليها الصلاة والتسبيح واقرأوا الابتهالات واقيموا مسقثا الرحمة من اجلها ،عندئذ يسير الضياء امامها ويأتي النور وراءها ورسل الحي عن يمينها وملائكه النور عن شمالها فتنجوا من مطراثا ومن مراجل النار.

ولكن واقع الحال وتأثر المندائيين بمن حولهم جعلهم يبكون ويلطمون على موتاهم رغم معرفتهم بحرمة ذلك .

اما الذين يقومون بحمل جنازة الميت فيجب ان يكونوا طاهرين طقسياً "حلاليه"، ومرتدين لملابسهم الدينية "الرسته"، وان يكون رئيس الموكب متزوجاً ومنجباً ،ويحمل معه السكين الطقسية "سكين دولة"، وهي سكين صغيرة بدون مقبض مثبتة بسلسلة ، في نهاية السلسلة ختم طلسمي دائري يمكن ان يلبس بالاصبع ويختم به ، يحوي على رسوم حيوانية ترمز لقوى الشر، وهذه الرسوم هي الاسد والعقرب والدبور، تحيط بهم جميعاً الافعى .

وعندما تبدأ حركة الموكب الجنائزي يكون وجه المتوفي –اذا نهض –بأتجاه الشمال دائماً،ويتم وضع الميت في سيارة نقل الموتى التابعة للطائفة لتتجه به الى المقبرة ،(وتقع المقبرة

---

[1] **الكنزاربا ،اليمين ،الكتاب الاول ،التسبيح الثاني الوصايا ،ص١٧**

المخصصة للطائفة اليوم في ضاحية ابو غريب من ضواحي بغداد /الكرخ)،عندما يصل الموكب الجنائزي الى المقبرة يكون القبر قد تم تجهيزه ، وهو عبارة عن حفرة مستطيلة ليس للعمق تحديداً معيناً فيها، وعند الرأس تعمل حفرة تترك خاليه تسمى لحداً و توضع الجثة في القبر وهي متجهة دائماً الى الشمال و توضع بعض الاحجار فوق "رستة" المتوفي كما توضع حجرة على فمه .

وتقول اسطورة شعبية انه حدث ان توفى احدهم ،فداهم الموت عائلته فرداً تلو الاخر بعد وفاتة ، وحين أخبروا الشيخ بذلك ، قال لهم : احفروا قبر ميتكم ولنفحص جثته ، وعندما حفروا القبر وجدوا ان قطعة القماش التي توضع حول الرقبة قد اندست في فمه أي ان هناك خطأ طقسي قد ارتكب في مراسيم الدفن . كما ان البعض يقول ان نفس الميت تبقى معلقه بأهله ، وبهذه الطريقة (أي بوضع الحجر على فمه) تنقطع نفسه عن اهله .

وبعد ان يهال التراب على الجثة من كل الجهات، يتم عمل تل صغير يكاد الا يميّز عن باقي الارض ويرش بالماء ، ويحدد رئيس الموكب الجنائزي القبر بالـ"سكين دولة" ويختمه من زواياه الاربع بالختم الطلسمي لحبس قوى الظلام عنه ، و بعد اليوم الثالث يمسح عن القبر هذا الختم، فقد انتهى دوره. ومن المهم الاشارة هنا الى ان قبور المندائيين هي من الدوارس، لان الجسد الفاني لاقيمة له بعد مغادرة النفس ، لذلك فلم يكونوا في السابق يبنون اضرحة او شواهد على قبورهم ،الا ان تأثرهم بمن حولهم جعلهم اليوم يبنون قبوراً متواضعة عليها شواهد .

عند الانتهاء من عملية الدفن ، تبدأ اجراءات الوجبة الطقسية على روح المتوفي "لوفاني" وتدعى "لوفاني سامرايي" أي الوجبة الطقسية لحملة الجنازة ،اذ تفرش قطعة قماش او حصيرة نظيفة وتوضع عليها ارغفة الخبز والسمك او قطع من اللحم المشوي او الطيور المشوية ناهيك عنبالاضافة الى الخضروات والفواكه ،وقبل البدء بالاكل تقرأ تراتيل الترحم والصلوات الخاصة على روح المتوفي، وبعد ان يأكل الحاضرون ما بدا لهم ، يتم التصدق بالباقي حتى لايتبقى من الاكل شيئاً. ويتم عمل "لوفاني" ايضاً في اليوم الثالث وفي اليوم السابع وفي اليوم الخامس والاربعين ،لان المعتقد المندائي يفيد ان رحلة الروح في (المطهر) تستغرق (٤٥) يوماً في صعودها من العالم الارضي الى عالم المطهر "المطراثا" ،اذ يقوم الملاك المقدس صاحب الميزان "اباثر" بوزن اعمال الانسان.

و تجدر الاشارة هنا الى ان المحك الذي تقارن به الارواح البشرية هو "شيتل" بن ادم، اذ يعتبر انقى واصفى روح في البشرية، لذا تستعمل روحه كمعيار او محك لوزن ارواح البشر. ويعدتبر اليوم الاول والثالث والسابع والخامس والاربعين محطات مهمة في رحلة الروح في المطهر، لذا يفضل اقامة الوجبات الطقسية "لوفانيات" في هذه الايام لزيادة الترحم على الميت وقراءة الادعية والتراتيل له لتساعده، بل لتكون مثل الضياء الذي ينير له الطريق .ويجب ان

نشير ان هناك اكثر من مطهر في الادب الديني المندائي ، فقوى الخير لها مطاهر ، وعدد من قوى الشر لها مطاهر "مطراثا"ايضاً ، مثل "مطراثا اد نيرغ" و"مطراثا اد بيل" وان تحديد المطهر يتبع نوع الخطايا التي ارتكبتها هذه النفس في الحياة . اما انواع التعذيب في الميثولوجيا الدينية ، فهي الاخرى بحسب خطايا النفس ، وتتراوح من الكي، الى الالقاء في ثلج، الى الربط بسلاسل حديدية الى اطلاق الوحوش ...الخ . و بعد التطهر تأخذ قوى النور النفس الى عالم الانوار، بعد ان تعمد في "اليردنا" السماويه "فرات زيوا" ،اذ تستقر مع ارواح الاسلاف المقدسين في عالم الانوار الا مرتكبي بعض الخطايا الكبيرة ، فأنهم يذهبون الى عالم الظلام ، ويقف على رأس هؤلاء الخارج من الدين المندائي .وجدير بالذكر ان مدةفترة البقاء في المطهر تعتمد على حجم الخطايا والذنوب فأذا كانت النفس لانسان تقي فانها لن تبقى في المطهر طويلاً ،اما اذا كانت النفس لمرتكبي ذنوب كبيرة فأنها تبقى في المطهر حتى تتطهر من خطاياها .

الفصل السابع

النظام الاجتماعي

المبحث الاول: طبيعة الكيان الاجتماعي

المبحث الثاني: نسق القرابة

١. نظام العلاقات القرابية

٢. نظام الزواج

٣. نظام الاسرة

المبحث الثالث: نسق الضبط الاجتماعي

١. الجانب السياسي

٢. الضوابط الاجتماعية

منسّق: المسافة البادئة: السطر الأول: 31.1 سم، تعداد رقمي + المستوى: ١ + نمط الترقيم: 1، 2، 3، ... + بدء الترقيم بـ: ١ + المحاذاة: أيسر + محاذاة عند: 56.1 سم + علامة جدولة بعد: 25.2 سم + مسافة بادئة: 25.2 سم

منسّق: المسافة البادئة: قبل: 51.3 سم، معلقة: 57.0 سم، تعداد رقمي + المستوى: ١ + نمط الترقيم: 1، 2، 3، ... + بدء الترقيم بـ: ١ + المحاذاة: أيسر + محاذاة عند: 56.1 سم + علامة جدولة بعد: 25.2 سم + مسافة بادئة: 25.2 سم، علامات الجدولة: ليس عند 25.2 سم

الفصل السابع
النظام الاجتماعي

المبحث الاول: طبيعة الكيان الاجتماعي

ان مفهوم البناء الاجتماعي اخذ يفرض نفسه بشكل واضح على معظم الدراسات الحديثة ، بعد ان كان مجرد فكرة غامضة تراود عقول بعض الكتاب في القرن الثامن عشر.وان شيوع استخدام هذا المفهوم انما يرجع في المحل الاول الى بعض التغيرات التي طرات على اهتمامات ونزعات واساليب دراسة المجتمع[١].

فهل ان دراسة البناء الاجتماعي ستنصب على ثقافة المجتمع المندائي؟ ام انها ستركزعلى دراسة النظم والعلاقات الاجتماعية ؟ ان التداخل بين الاثنين كبير جداً، والتمييز الذي يحدده ايفانز بريجارد بين دراسة الثقافة والنظم الاجتماعية غير واضح المعالم في دراسة طائفة الصابئة المندائيين[٢].

ان الثقافة المندائية هي ثقافة فرعية (sub-culture) من الثقافة العراقية العربية، وكذلك البناء الاجتماعي للطائفة، فأنه يتشابه بشكل يكاد يكون متطابقاً مع المجتمع المحيط بالطائفة.

وهذا لا يعني انه ليس هناك خصوصية في البناء الاجتماعي للطائفة، اذ ان الطائفة هي اقلية دينية ، وبالتالي فأن انعكاس ذلك على البناء الاجتماعي امر مفروغ منه ،وكذلك انعكاسه على علاقة الطائفة بمحيطها ، فهو امر لايكاد يخفى على احد .

ومن الواضح انه لا بد من وجود درجة معينة من الاطراد والاتساق في الحياة الاجتماعية وتوفر نوع ما من التنسيق في المجتمع ، والا استحال على اعضائه العيش معاً. فالناس لا يستطيعون في الواقع الانصراف الى شؤونهم ، الا لانهم يعرفون نوع السلوك الذي يتوقعه الاخرون منهم، وكذلك نوع التصرفات التي يتوقعونها هم انفسهم من الاخرين في مختلف مواقف الحياة الاجتماعية، كما انهم ينظمون نشاطهم تبعا لقواعد مرسومة ، وبحسب قيم متعارف عليها .فهم يستطيعون التنبؤ والتكهن بالاحداث ، وبذلك يمكنهم ترتيب حياتهم بما يتفق ويتماشى مع حياة الاخرين . ولكل مجتمع نسق او بناء يعيش فيه افراده وينزلون عند مستلزماته ،واستخدام كلمة (بناء) بهذا المعنى يتضمن وجود نوع من التماسك والتوافق بين اجزائه ، الى الحد الذي يمكن معه تجنب التناقض الصارخ او الصراع المكشوف ،وانه يتمتع بدرجة من الديمومة والبقاء

---

[١] احمد ابو زيد، البناء الاجتماعي مدخل لدراسة المجتمع، الجزء الاول المفهومات الطبعة الخامسة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦ القاهرة،ص١٠.

[٢] ايفانز بريجارد، الانثروبولوجيا الاجتماعية، ترجمة د. احمد ابو زيد، منشأة المعارف، الاسكندرية ١٩٦٠، ص٤٠.

اكبر مما تحظى به معظم الاشياء العابرة السريعة في الحياة الانسانية .وقد لايفطن افراد المجتمع نفسه الى ان لمجتمعهم بناءاً متميزاً.[١]

ان طائفة الصابئة المندائيين عاشت ضمن وحدات قرابية كبيرة هي (العشيرة)، والعشيرة المندائية تختلف اختلافاً بنيوياً– وظيفياً عن العشيرة العربية المجاورة لها في عدة وجوه ؛اولها عدم امتلاك العشيرة اراضي او مكان خاص بها (ديرة او ربع) ، ومع ان الصابئة كانوا يعيشون في احياء خاصة بهم في الناصرية وسوق الشيوخ والعمارة وغيرها ، الا انها لم تكن احياء مغلقة ، ولم تمثل (غيتوات) خاصة بهم . وحين سألت شخصاً كان يسكن في الناصرية عن محلات الصابئة قديماً ، وهل هي مغلقة ، أجابني : كلا ابدا ان محلتنا كانت تسمى (محلة الصبة والبطاط) والبطاط هم من عشائر الاهوار التي توصف بالسادة أي المتحدرين من نسل الرسول الكريم (ص).

ان النقطة الجوهرية في البناء الاجتماعي للعشائر المندائية هي انها عشائر تسكن المدن والقصبات فهي تتواجد على الاغلب في مراكز الاقضية والنواحي،ولذا يعتبر الصابئة (مدينيون) ، وحتى من سكن منهم في القرى البعيدة في عمق الهور ،فأنه يسكنها مؤقتا لاسباب اقتصادية ،أي بسبب ظروف العمل ،اذ يتطلب عملهم كحرفيين (حدادين او نجارين او صانعي قوارب) الذهاب الى القرى والبقاء لفترة هناك مدةً من الزمن للاسترزاق.

ونستطيع القول ان اهم ما يبلور شكل البناء الاجتماعي من الانساق ،هو النسق الديني اولا، ثم يليه النسق الاقتصادي ، بحكم كونهم حرفيين ولا يعملون في الزراعة او الرعي او حياكة الحصر او المنسوجات ، ولذلك تأثيراته الواضحة التي سنبينها لاحقاً.

ان العوائل المندائية معروفة ومحددة ويمكن ان نعددها مع مناطق تواجدها الاصلية وكما يلي: [٢]

١.	المندوية	ومناطقهم الاصلية في العمارة والناصرية
٢.	الخميسية	ومناطقهم الاصلية قلعة صالح وسوق الشيوخ
٣.	المسودنية	ومناطقهم على ضفاف المجر الكبير
٤.	البو زهرون	ومناطقهم بين عشائر ميسان والكحلاء والشرح
٥.	البو كلمش	ومناطقهم في الكحلاء
٦.	الخفاجية	وهم موزعون بين الاحواز ومناطق الاهوار العراقية شرق دجلة

(١) ايفانز بريتشارد،الانثروبولوجيا الاحتماعية، مصدر سابق ، ص٤٢.

(٢) غضبان رومي، الصابئة، مصدر سابق، ص١٣٦-١٣٧.

.٧	الكياليون	ومناطقهم الاصلية البصرة ونواحيها الشمالية
.٨	الدهيسية	ومناطقهم في الناصرية ونواحيها
.٩	البو سبتي	ومناطقهم في سوق الشيوخ
.١٠	المهناويون	ومناطقهم في سوق الشيوخ
.١١	الفريجات	ويستوطنون العمارة
.١٢	الجيازنة	ومناطقهم في البصرة وسوق الشيوخ
.١٣	الجحيلية	ومناطقهم في البصرة
.١٤	السهيلية	ويسكنون في سوق الشيوخ
.١٥	البريجية	ويسكنون في قضاء الجبايش
.١٦	السيفية	وموطنهم الاول سوق الشيوخ ثم العمارة وقلعة صالح
.١٧	البنكانية	وموطنهم في البصرة

وهذا لا يعني ان كل افراد العائلة او العشيرة المندائية تتواجد في المكان المحدد اعلاه، اذ قد ينتقل افراد من العشيرة وراء اعمالهم او رزقهم ، ولكن الغالب ان يعود الافراد للسكن قرب اعمامهم ، وهي اشارة او كنية عن (العشيرة)، وحتى الذين يسافرون الى القرى البعيدة في عمق الاهوار فانهم يعودون الى مناطقهم الاصلية في الاعياد والمناسبات الدينية.

والمندائيون – ولاسباب دينية – مسالمون، فهم اقلية صغيرة ، وقد اضطرتهم الظروف الى العيش في وسط اسلامي عشائري، الوحدة السياسية والاجتماعية فيه هي العشيرة، مما اضطرهم بالتالي الى اتباع نظام اجتماعي تكافلي معروف في الوسط العشائري يسمى (ذب جرش)، وهو يعني الدخول في حمى قبيلة مقابل الاتفاق مع شيخها على دفع بدل مالي.

وهذا النظام يوجب على العشيرة المحتظنة ان تدافع عن العشيرة المندائية ، وتمنع الاعتداء عليها وعلى اموال افرادها من غزو العشائر الاخرى، وعلى وفق هذا العرف يصبح الفرد المندائي كانه منتمٍ الى العشيرة العربية ، مع عدم مشاركته في الامور الحربية، وانما تكون المشاركة مالية فقط مثل المشاركة في الدية (الفصل) ، او بناء مضيف او تجهيز حملة عسكرية.. الخ.

لكن هذه المشاركة لم تؤدِ الى المساواة او العدالة الاجتماعية، بل بقي ابناء الطائفة يعانون من عزلاً اجتماعياً وتصنيفاً يضعهم في ادنى سلم الطبقات الاجتماعية في المجتمع العشائري . ففي تصنيف د. شاكر مصطفى سليم في دراسته الرائدة (الجبايش) ، يقسم مجتمع الجبايش الى ست طبقات ، ياتي (الصبة) في اخر طبقة منها بعد (العبيد) ، ويتعامل معهم مساكينهم على انهم (انجاس) أي غير طاهرين دينياً . ومع كل ذلك فقد كان عددهم كبيراً في

منطقة دراسة الدكتور شاكر مصطفى سليم، ثم رحلوا بسبب الاضطرابات السياسية بين (١٩١٤-١٩٢٤) المصاحبة للاحتلال الانكليزي و تاسيس المملكة العراقية . فقد تعرض ابناء الـ(١٢٠) عائلة التي كانت تسكن في الجبايش الى الاعتداء والسلب والنهب رغم انهم (ذبّابة جرش) مع شيوخ المنطقة (آل خيون) ، مما دفعهم الى الهجرة الى سوق الشيوخ والقرنة ، ولم يبقَ في الجبايش مطلع الخمسينات وقت اجراء الدراسة سوى ثلاث عوائل نفوسها لا تتجاوز الـ(١٣) نسمة فقط[١].

وعلى الرغم من ان الصابئة يدخلون في حلف او (يذبون جرش) مع عشيرة او فخذ او حمولة قوية ، الا انهم لا يلجأون اليها عادة في حل مشاكلهم ، بل يسعون الى اللجوء الى الحكومة الممثلة بمديرية الناحية او مركز الشرطة للشكوى والمطالبة بحقوقهم . وهذا اختلاف مهم واساسي بين العشيرة المندائية وما يحيط بها من عشائر عربية مسلمة، لان الوسط العشائري يعدتبر الشكوى للحكومة (طريق الضعيف) ، والرجل الحقيقي هو الذي ياخذ حقه بيده . وهناك عدة اسباب وراء سلوك الصابئة ذاك ، الاول هو انهم قوم مدينيون يؤمنون بسلطة القانون، والثاني انهم اقلية صغيرة ، فحتى لو لجأوا الى حلفائهم لاخذ حقوقهم فلن يأمنوا من انتقام الطرف الاخر، بينما الحكومة لا يستطيع احد الانتقام منها ، والامر الثالث هو عدم اهتمامهم بنعتهم بالجبن وعدم القتال لاخذ حقوقهم، لان ذلك موجوداً اصلاً في التعامل معهم من الطرف الاخر. بينما ينظر الصابئة من طرفهم الى الموضوع من وجهة النظر الدينية الوادعة المُحبة للسلام ومحاولة العيش بسلام وبساطة ، مع وجود هامش من حرية اداء الطقوس الدينية.

وتجدر الاشارة هنا الى ان هذا التعامل (العزل الاجتماعي) والايذاء من قبل العشائر المحيطة بالصابئة بقي قائماً مع العوائل التي خرجت من الديانة ودخلت الاسلام، ففي حالات طلب الزواج من احدى العوائل المسلمة يقابل الطلب بالرفض والازدراء او تفرض فيه شروط مبالغ فيها مثل المهر العالي[٢]، وعندما سالت احد رؤساء الافخاذ من عشيرة السواعد عن حالات مماثلة، قال لي ان في عشيرته احد البيوت (وهي بدنه اصغر من الفخذ) التي كان جدهم صابئياً ، وهم معزولون اجتماعياً حتى الان ، فلا يتزوجون من بقية افراد العشيرة ولا احد يتزوج منهم ، بل ويعيرون في الكثير من الحالات بانهم (صبة) رغم مرور حوالي القرن على اسلامهم.

وهناك عشائر مسلمة عربية كبيرة ذات اصول مندائية فالزهيرات في الجنوب وديالى اصلهم من البوزهرون ، وكذلك هناك عشائر مثل الخميسية والسيفية وبعض افخاذ السواعد مثل

---

[١] د. شاكر مصطفى سليم، الجبايش، دراسة انثروبولوجية لقرية في اهوار العراق، مطبعة الرابطة بغداد، ١٩٥٦، ص١٦٨ وما بعدها.

[٢] د. شاكر مصطفى سليم، الجبايش، مصدر سابق،ص ١٠٧

بيت ابو سعيدة من اصول مندائية، لكن والتغير في التعامل مع هذه الوحدات العشائرية يستغرق وقتاً طويلاً عادة.

يمثل وكل ما تطرقنا اليه سابقاً يمثل مرحلة تاريخية تمتد حتى منتصف القرن العشرين تقريباً، اذحيث كان يعيش ابناء الطائفة يعيشون في بيئاتهم التقليدية، في كنف عوائلهم او عشائرهم التقليدية ، يدير امورهم رجال دين عارفين بحاجات مجتمعهم التقليدي البسيط ، وقادرين على ذلك من خلال الاعراف والتقاليد وبعض المواعظ الدينية، لكن التغيرات ابتدأت في الحقبةفترة الواقعة بين الحربين ومع بدءانتشار هجرة ابناء الطائفة الى المدن الكبرى ، وهذا ما سنناقشه بتفصيل اكثر في الفصل التاسع.

عند استقرار الطائفة المندائية في بغداد (وفيها الثقل الاكبر للطائفة اليوم) ،عاشوا حياتهم على وفق النمط الحديث . وهذا لم يكنا يعني انقطاع الصلة مع عشائرهم ، بل لقد حدث تحول في نمط التعامل مع البدنة العشائرية ، اذ انهاحيث لم تعد تمثل القشرة الواقية للفرد في ضمن حي او سلف محدود ، بل تحولت الى انتماء الى عائلة كبيرة اكبر من العائلة البايولوجية ، ويتم التعامل معها بتكافل في الافراح والاحزان لكن دون فرض سطوة على الافراد .، ومع ذلك نلاحظ ان ابناء الطائفة تجمعوا في سكنهم مثلاً في جانب الكرخ اكثر من جانب الرصافة، لان رجال دينهم والمهاجرين الاوائل سكنوا هناك وكونوا نواة لاقاربهم المهاجرين، اذحيث يسكن في قضاء الكرخ (٥٤%) من سكان بغداد من الطائفة ، بينما يسكن (٢٢%) منهم في قضاء الرصافة ، وفي مدينة الثورة (١٦%) ،ولايسكن في الاقضية الاخرى من بغداد مثل الاعظمية والكاظمية والمدائن والمحمودية يسوى كن (٨%) فقط[١].

وانيعود اول تعامل رسمي مع وجود الطائفة في العراق الى كان ايام الاحتلال البريطاني للعراق، اذ حيث أُصدرت وثيقة صدقها الميجر براون حاكم القرنة والميجر مارك حاكم العمارة والميجر دكسن حاكم الناصرية جاء فيها هذه الوثيقة: _(صدر امر بتنظيم وترتيب عمل رؤساء الدين، وتعيين الشيخ دخيل عيدان رئيساً على ملة الصابئة وهو بدرجة "كنزفرة" ، وبمساعدة " الترميذي " الشيخ زهرون والشيخ عبد ، مع كيفية تنظيم رواتب لرجال الدين ومساعدتهم مادياً لقاء تقديم الخدمات الدينية لافراد الطائفة في كل مكان، والطلب من رجال الدين اقامة "مندي "معبد في كل مكان يتواجد فيه الصابئة... هذا امر)[٢].

وبعد تاسيس الحكم الوطني في العراق وتتويج الملك فيصل الاول عام (١٩٢١)م ملكاً على العراق ، بعث الشيخ دخيل الشيخ عيدان برسالة تهنئة وتعريف ومطالبة بحقوق طائفته

---

[١] التوزيع الديني للسكان العراقيين، تقرير مديرية الامن العامة، مركز الاعداد والتطوير، مكتب العلوم النفسية والاجتماعية صدر كملحق في كتاب رشيد خيون الاديان والمذاهب في العراق، دار الجمل ،المانيا،٢٠٠٣.

[٢] مجلة افاق مندائية، العدد الثالث عشر، مايس (ايار)٢٠٠٠.

وجاء في نهايتها (واجتمع رؤساء الامور في هذه الملة ، وقدموا عرائض للحكومة الانكليزية منذ احتلال العراق ، وطلبوا منهم المصادقة على ترشيحي رئيساً دينياً لهذه الملة، ارجو والتمس من مراحمكم السامية ان يصدر امركم بتصديق رئاستي لاحظى بذلك ، هذا والامر كله منوط بجلالة مليكنا اطال الله عمره وتعالى نصره ١٨ شباط ١٩٢٢)[١].

ومع تزايد الهجرة من الجنوب الى المدن الكبرى مثل بغداد والبصرة وحدوث التغيرات السياسية والاجتماعية في العراق، انخرط ابناء الطائفة في الاحزاب السياسية وابتعدوا بشكل واضح عن محور الهوية الدينية ، واستمر هذا الحال حتى منتصف السبعينات تقريباً، اذ بدأ التفكير بين مثقفيهم بشكل جدي لايجاد هيكلة تنظيمية اجتماعية تبلور هوية المندائيين ، فشكلت اول هيئة مندائية تحت اسم (هيئة التولية) ، وكان مركزها بغداد . وقد أشترك فيها رجال الدين والافراد المندائيين المدنيين وترأسها هذه الهيئة رئيس الطائفة انذاك " الكنزابرة" الشيخ عبد الله الشيخ سام ، وبعد وفاته اصبحت رأيسها لها" الكنزابرة" الشيخ عبد الله الشيخ نجم[٢]. وبالنظر لعدم قيام هذه الهيئة بما كان متوقعاً منها عند انشائها،فقد تم حلها ، ويقال ان السبب وراء ذلكحلها كان هو محاولة تقليص دور رجال الدين ، اذحيث توسعت اتجاهات العمل المندائي الاجتماعية والثقافية ، وبرز دور المثقفين المندائيين في الطائفة وتم تاسيس مجلسهيئة عوضاً عن الهيئةها ترأسها الشيخ "كنزابرة" عبد الله الشيخ نجم تحت اسم (المجلس الروحاني الاعلى لطائفة الصابئة المندائيين) و قد كان مقره هذا المجلس في بغداد وتشكلت عضويته المجلس بمشاتركة بين رجال الدين والنخبة المثقفة من المندائيين.

استمرت هذه المنظمة تقود الطائفة على مدى عشرين سنة تقريباً، وكان عملها يتسم ببعض التوتر بين رجال الدين والمثقفين المندائيين، وكانت هذه الحالة تمر بأوقاتفترات تتراوح بين الشد وفترات الوئام .، ومن قرارات المجلس الروحاني المهمة في بلورة صورة الطائفة عدم السماح بنشر أي معلومة او مطبوع او دورية عن الطائفة في العراق بدون موافقة المجلس الروحاني ، كونباعتباره المرجعية الدينية والمدنية للطائفة .، فعندما اصدر الاستاذ غضبان رومي كتابه (الصابئة) خُتم بختم على اكثرمن صفحة من صفحات الكتاب بعبارة تقول (تنبيه هام... ان المجلس الروحاني الاعلى لطائفة الصابئة لاعلاقة له بهذا الكتاب ولا يتحمل مسؤولية ما يحتويه.. كما انه لا يتفق والمؤلف في كثير مما ورد فيه.."المجلس الروحاني الاعلى")،مع العلم ان الاستاذ غضبان رومي من المثقفين المتميزين في الطائفة ، وكان يشغل في زمنفترة

---

[١] مجلة افاق مندائية ،العدد١٣، مايس ٢٠٠٠ المصدر نفسه.

[٢] حكمت السليم، كيف بنى المندائيون جمعياتهم؟، مقال منشور في (بحزاني) صحيفة يومية الكترونية تعنى بالعلمانية والاقليات www.bahzani.org بتاريخ ٢٠٠٥/٣/٢٠.

صدور كتابه منصب نائب رئيس المجلس الروحاني الاعلى[1]. ومن الجدير بالذكر ان الاستاذ غضبان رومي كان اول مندائي يتخرج من المعاهد العليا في بداية العشرينات ، واول مندائي يتوظف في الحكومة في سلك التدريس، وهذا يشير الى مدى الصراع الموجود داخل المجلس الروحاني الاعلى بين المدنيين والشيوخ.

وحينما اشتد الخلاف بين القيادة الدينية والمدنيين حول تسيير شؤون الطائفة ومصالحها تم الاتفاق على فصل المؤسسات ، على ان يصار الى تكوين مؤسسة خاصة برجال الدين اطلق عليها (المجلس الروحاني) تهتم بشؤون الدين ، فضلا عن مؤسسات اخرى تدار من المدنيين ، وتم الاتفاق على كتابة نظاماً داخلياً للطائفة تحدد فيه المسؤوليات ، وتم ذلك في عام ١٩٩٦ وقد اجيز من قبل وزارة الاوقاف.

لقد واجه هذا النظام الداخلي الكثير من الاعتراضات مما ادى الى تعديله مرتين، وبالنتيجة آل اليوم الى تشكيل ~~اليوم هي تكوين~~ ثلاث مجالس سنناقشها بالتفصيل في مبحث لاحق وهي:

١. مجلس عموم الطائفة: ويتكون من (١٨٠) عضواً ، ينتخب اعضاؤه من العوائل او العشائر المندائية بنسب متناسبة مع الحجم السكاني لهذه العوائل، وهو يمثل برلمان الطائفة.
٢. مجلس شؤون الطائفة: وهو الجهة المسؤولة عن متابعة شؤون الطائفة ورعاية افرادها في المجالات الثقافية والاجتماعية والتربوية والمالية فضلا عن مراجعة الجهات الحكومية، ويشرف هذا المجلس على عدد من اللجان الفرعية.
٣. المجلس الروحاني: ويضم رجال الدين ومهمته ادارة الشؤون الدينية والطقسية للطائفة، مع ايجاد صيغة للتعاون والتشاور بين المجالس الثلاثة.

وبعد عقد التسعينات من القرن العشرين ، ونتيجة للضغوط الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، هاجرت اعداد كبيرة من ابناء الطائفة الى المهاجر في انحاء العالم، مما دفعهم الى تشكيل اكثر من (٢٠) جمعية مندائية في انحاء العالم تهتم بشؤون الجاليات المندائية وتنسق تعاونها مع مركز رئاسة الطائفة في العراق.

ان جميع التشكيلات والمؤسسات الاجتماعية والثقافية والدينية المشار اليها سابقاً ، تؤكد على الهوية العراقية لابناء طائفة الصابئة المندائيين ، كما وتؤكد على الخصوصية الدينية الثقافية لهذه الشريحة من ابناء العراق ، وهي ترفع شعار (الصابئة المندائيون عائلة واحدة) ، وتحاول ان تنسق جهودها على تعميق العلاقة بين جميع مكونات ابناء الطيف العراقي، هذه العلاقة القائمة على احترام خصوصية الاخر، ورفض التهميش والتذويب في ثقافة الكل ، واشاعة

منسّق:بعد: 0 سم، تعداد رقمي + المستوى: ١ + نمط الترقيم: 1، 2، 3، ... + بدء الترقيم بـ: ١ + المحاذاة: أيسر + محاذاة عند: 0 سم + علامة جدولة بعد: 36.0 سم + مسافة بادئة: 36.0 سم

منسّق:الخط: دون غامق، خط اللغة العربية وغيرها: دون غامق

[1] غضبان رومي، الصابئة، مصدر سابق،ص١٩٣-١٩٩.

مفهوم (القوة في التنوع) ، كما ان كل الجمعيات والمؤسسات المندائية اليوم تحاول ان تفتح ابواباً للحوار مع ثقافات واديان العالم ، وذلك من خلال المؤتمرات والندوات والمراكز البحثية، وتسعى لتعريف الاخر بخصوصيتها من خلال الجهود المبذولة في استثمار كل وسائل الاتصال الحديثة كافة .

المبحث الثاني : نسق القرابة

اولا:نظام العلاقات القرابية

ان النسق القرابي لطائفة الصابئة المندائيين مشابه او يكاد يكون مطابقاً للنسق القرابي في عشائر جنوب العراق العربية ،فالقرابة مبنية على اساس خط النسب الابوي (Patrilineal Kinship) ،بالرغم من ان النسب الحقيقي او الاصلي بالنسبة للمندائي هو الانتساب الى الام. ففي "ملواشة" المندائي –وهو الاسم الديني المصاحب للانسان المندائي من ولادته حتى وفاته– تتيكون من الاسم متكوناً من اسمه واسم الامووالدته ، وربما يشير ذلك الى ان الام التي ولدت الطفل تكون بألتاكيد امه، بينما قد يكون هناك شك في نسبه لابيه ، وهي حالة معروفة في بقية الاديان ،ولكن بعض الباحثين يرون في النسب الى الام اشارة الى مرحلة قديمة كان فيها النسب الاومي (Matrilineal) هو السائد .

ان مكانة المرأة دينياً لدى المندائيين جيدة ، ففي ميثولوجيا الخلق لم تخلق من ضلع ادم وانما خلقت من نفس الطينة التي خلق منها ادم . وعلى صورة ادم الذي خلق بدوره على صورة "ابثاهيل" الملاك الذي قام بعملية الخلق بتكليف من الحي العظيم ،ومع هذا فثمةلكن هناك بعض الاشارات الدينية لتدني مكانة المرأة . [1]

ينتمي الفرد المندائي الى واحدة من العشائر المندائية السبع عشرة التي تم الاشارة اليها سابقاً ، ولكن هذا الانتماء مختلف عن الانتماء العشائري السائد في اماكن سكنى المندائيين ،لان العشيرة المندائية فاقدة للكثير من وظائف العشيرة في الحياة القبلية ،فهي لاتملك (ربع او ديرة) أي اراضي خاصة بها للزراعة او الرعي ، وذلك لعدم ممارسة المندائيين مثل هذه المهن ،وهي ليست وحدة دفاعية او قتالية لانها لاتملك هذه القدرة ، وبالتالي تصبح العشيرة الصابئية المندائية وظيفياً اقرب الى العوائل المدينية ، اذحيث تؤدي وظائف التكافل الاجتماعي والتواصل والمساعدة في اوقات الفرح والحزن . ورغم الاشارة الى المناطق الاصلية لتواجد هذه العشائر ،الا ان ذلك لايمنع من تواجد خليط من العشائر في المناطق ذات التواجد الصابئي الكثيف . فقد كانت حدثني مخبري المندائي ان محلة الصابئة في سوق الشيوخ كانت تحوي ازقة، وكانت كل عشيرة تسكن في زقاق ذو بيوت متلاصقة ،مثل زقاق السبتية وزقاق السهيلية وزقاق السيفية ..الخ ،ولكن هذا التقسيم لايعني الانعزال او التفريق الدقيق ،وانما وجد هذا النمط من السكنى لحتى يكون الفرد قريبالقرب من الاخوة او ابناء العمومة .

ان المكانة الاجتماعية (Social Status) في المجتمع المندائي تكونها عدة عوامل لا يدخل في ضمنها الانتماء الى عشيرة معينة ،أي ليس هناك عوائل اشراف او عشائر مختصة او

---

[1] كورت رودولف ،النشوء والخلق في النصوص المندائية ،مصدر سابق ،ص١٦١

محتكرة للكهنوت . ورغم ان سلك الكهنوت مفتوح لكل مندائي تتوفر فيه الشروط اللازمة مثل سلامة الجسد وسلامة النسب من كون أي من الاسلاف ليس ابناً من زواج ثان ،الا ان الواقع العملي الذي رأيته هو انحصار الكهنوت في عوائل معينة من خلال انتقال المعلومات والدروس الكهنوتية من الاب الى الابن ، ولكن ذلك لايعني بحال ان تمتلك عشيرة معينة تمتلك حق دخول افرادها الى سلك الكهنوت وبالتالي تحظى بمكانة اجتماعية متميزة على اساس الانتماء القرابي.

ورغم ان نسق القرابة لدى المندائيين يتبع النمط الابوي ،الا ان اقارب الام ولاسيما خاصة الاخوال لهم مكانة جيدة ايضا ،وذلك يعود لنمط الزواج الداخلي ، وعلى هذا الاساس بذلك غالباً ما يكون الاخوال هم ابناء عمومة ، وكذلك يعود لصغر حجم العشائر المندائية ، فأن هناك تداخلاً كبيراً بين علاقات المصاهرة والقرابة . كما واننا لا نرى في العشيرة المندائية ظاهرة اعطاء نساء او اخذ نساء كعقوبات على جرائم (فصلية) ، لانهم نادراً ما يتعرضون لمثل هذه المشاكل ، وفي حالات حصول مشاكل كبيرة مثل القتل نراهم يلجأون الى سلطة القانون واجهزة الدولة التي تنفذ هذا القانون .

لكننا قد نرى نمط زواج المقابلة ، أي تزوج فردين كل منهما بأخت الاخر او ما يسمى (كصة بكصة) رغم ان هذه الحالات قليلة ايضاً .

لقد تعرض انتماء الفرد المندائي الى عشيرته الى تغيرات تبعاً لتغير نمط حياته ولاسيما خصوصاً بعد الهجرة من مدن وقرى الجنوب الى المدن الكبرى مثل بغداد والبصرة . اذ رأينا في منتصف عقد السبعينات عندما حاول المندائيون بلورة هوية عصرية لجأوا الى اقامة مؤسسات عصرية ،وهي مجالس الطائفة . وفي انشائهم لهذه المجالس تم الاعتماد على العشائر او العوائل المندائية .

ان مجلس عموم الطائفة هو الهيئة العليا للطائفة والممثلة فيه جميع (العوائل–العشائر) المندائية المقيمة في بغداد ، فضلا عن وكذلك ممثليوا المجالس الفرعية في المحافظات[1] .وتجدر الاشارة الى طريقة تشكيل مجلس عموم الطائفة ،اذ يتكون من ممثلي جميع (العوائل /العشائر) المقيمة في بغداد والمجالس الفرعية في المحافظات وكما يلي :

١. خمسة أعضاء لكل عائلة يزيد عدد اسرها على (٥٠) اسرة ، وخمسة اعضاء احتياط .
٢. عضو واحد لكل عائلة يقل عددها عن (٥٠) اسرة ، وعضوان احتياط .
٣. عضو واحد من كل مجلس فرعي في المحافظات ،فضلا عن اضافة الى رئيس المجلس الفرعي او من ينوب عنه من اعضاء المجلس ويكون بصفة مراقب .

منسّق:بعد: 0 سم، تعداد رقمي + المستوى: ١ + نمط الترقيم: 1، 2، 3، ... + بدء الترقيم بـ: ١ + المحاذاة: أيسر + محاذاة عند: 0 سم + علامة جدولة بعد: 36.0 سم + مسافة بادئة: 36.0 سم

[1] النظام الداخلي المعدل لطائفة الصابئة المندائيين ،بغداد ،سنة ٢٠٠٠م مادة (١)

ان الاعضاء الذين يمثلون (عوائلهم /عشائرهم) يتم انتخابهم بطريقة الانتخاب الحر المباشرمن قبل هذه العوائل ، ويتم ذلك قبل شهر من انتهاء دورة مجلس عموم الطائفة او حله. ان انتخاب الفرد ليمثل عائلته يعتمد و يجلب في الاالوقت نفسه يجلب المكانة الاجتماعية (Social Status) ، اذ لا يتقاضى الفرد عن عمله في هذا المجلس دخلاً ، ولايمكنه ان ينفذ امراً دون موافقة (عائلته/عشيرته)، ومن الشروط والمواصفات الخاصة بعضو مجلس العموم: ÷

١. ان لا يقل عمره عن (٢٥) سنة .
٢. ان يكون صابئياً مؤمناً بالدين المندائي .
٣. ان يكون حسن السيرة والسلوك وغير محكوم عليه بجناية او جنحة مخلة بالشرف .
٤. ان يضع مصلحة الطائفة فوق مصلحته الشخصية والعائلية .
٥. ان يجيد القراءة والكتابة وعلى قدر مقبول من الثقافة والاطلاع .
٦. ان يلتزم بتنفيذ مواد النظام الداخلي وقرارات مجلس العموم[١] .

ان لهذا المجلس المكون من ممثلين للعوائل، واجبات وسلطة عليا في نفس الوقت نفسه، اذحيث يقوم بانتخاب رئيس الطائفة من بين المرشحين من رجال الدين حصراً ، والذين يرغبون بترشيح انفسهم ، والمتوفرة فيهم الشروط لهذا المنصب . ومن سلطات مجلس العموم سحب الثقة من رئيس الطائفة في الحالات الاتية :

١. خروجه من الديانه المندائية .
٢. عدم التزامه بواجباته الدينية ومسؤولياته تجاه الطائفة بموجب هذا النظام .
٣. عند فقدانه احد الشروط المخله بكونه رجل دين مندائي وهي محددة في النظام الداخلي تفصيلياً.

ان مدة دورة مجلس العموم هي ثلاث سنوات ، ويمكن تمديدها عند الضرورة باقتراح من المجلس الروحاني او من مجلس شؤون الطائفة ،علماً ان مجلس عموم الطائفة ينتخب من بين اعضاءه سكرتيراً او مقرراً بالانتخاب الحر المباشر وبالاغلبية[٢] .

وتتجلى سلطة الجماعة الاجتماعية في النظام الداخلي الذي ينص على عدم النظر بأي مقترح يقدم اليه من أي فرد مندائي ، اذا لم يقدم عن طريق مجلس (عائلته) او من خلال المجلس الروحاني او مجلس الشؤون[٣] .

منسّق:بعد: 0 سم، تعداد رقمي + المستوى: ١ + نمط الترقيم: 1، 2، 3، ... + بدء الترقيم بـ: ١ + المحاذاة: أيسر + محاذاة عند: 0 سم + علامة جدولة بعد: 36.0 سم + مسافة بادئة: 36.0 سم

منسّق:بعد: 0 سم، تعداد رقمي + المستوى: ١ + نمط الترقيم: 1، 2، 3، ... + بدء الترقيم بـ: ١ + المحاذاة: أيسر + محاذاة عند: 0 سم + علامة جدولة بعد: 36.0 سم + مسافة بادئة: 36.0 سم

[١] النظام الداخلي المعدل لطائفة الصابئة المندائيين ،بغداد ،سنة ٢٠٠٠ مادة (٣) ص٣
[٢] المصدر نفسه ،المادة (١١)
[٣] المصدر السابق ،المادة (٢٢)

لذا فالفرد غير موجود، بل هو جزء من عائلته التي من خلالها فقط يمكن ان يسمع صوته، وتظهر غلبة مصلحة المجموعة على مصلحة الفرد ، أذ يتجلى ذلك في آلية الانتخاب الديمقراطي،وهي ألية انتخاب ممزوجة بسلطة الكتل الاجتماعية .

وبما ان مجلس العموم هو السلطة العليا للطائفة ،فأن –على رئيس الطائفة المنتخب – لفترة انتخابية مدتها (٣) ثلاث سنوات قابلة للتجديد – ، تأدية اليمين امام مجلس العموم ،وهذا مؤشر واضح على تحولٍ في ميزان القوة الاجتماعية من الكهنوت في المرحلةفترة التقليدية الى التجمع العائلي الاجتماعي –وهي الكتلة الممثلة بالانتخاب الحر – في المرحلةفترة المعاصرة المعاصرة. ويتضح من ذلك عمل الطائفة على بلورة حقيقية لهوية الطائفة المندائية العصرية المبنية على اسس دينية .

وان هذا لا يعني تهميش رجال الكهنوت ، فالمجلس الروحاني هو اعلى جهة دينية لطائفة الصابئة المندائيين في العراق والعالم ، ويضم جميع رجال الدين المعتمدين رسمياً في العراق ،ويقوم باجراء المراسيم والشعائر الدينية لابناء الطائفة والمساهمة في تسييرها وتطويرها بما يتلاءئم وروح العصر شرط عدم المساس بجوهر الديانة المندائية ، ويتولى الاشراف والتوجيه والارشاد والتوعية الدينية[١] .

ثانيا :نظام الزواج

يحتل موضوع الزواج والاسرة مركزاً رئيسياً في الدراسات الاجتماعية ولاسيما خاصة الانثروبولوجيا التي تهتم في المحل الاول بدراسة المجتمعات التقليدية . ،وربما كان السبب الرئيسي وراء هذا الاهتمام هو ذلك –الدور –الذي تلعبه علاقات وروابط الاسرة والقرابة في حياتنا اليومية ، اضف الى ذلك ، بالاضافة الى طرافة الموضوع ذاته وعلى الاخص ما يتعلق بعادات الزواج المختلفة واشكال العائلة في مختلف المجتمعات ، مما يجعل موضوع الزواج والاسرة والقرابة من اكثر موضوعات علم الاجتماع والانثروبولوجيا جذباً ولفتاً لانتباه العلماء واهتمامهم[١] .

وهذا ما لاحظضناه من اهتمام الكثيرين عديد بطقوس الزواج المندائية ، لما فيها من غرابة وجمال ورمزية عالية ،فالناظر غير المختص يشير الى ان (الصبة) يتزوجون في الماء ،وهو الامر المثير في عقد الزواج ،بينما الباحث المدقق في الامر ،يرى ان طقوس الزواج هي عقد وشهود واشهار يسبقة تطهر للعروسين بعملية تعميد يمكن اجراءها لاي فرد مندائي وفي أي وقت .

---

[١] المصدر نفسه ،المادة (٥٧)

[١] د. احمد ابو زيد ،البناء الاجتماعي ،الجزء الثاني ،الانساق ،مصدر سابق ،ص٢٧٤

ان اول سمة من سمات نسق الزواج المندائي هي كونه (زواجاً داخلياً) (Indogamy). فهو اولاً يجب ان يكون محصورا داخل الطائفة ، اذ لايجوز زواج المندائي او المندائية من خارج الطائفة ،وكذلك يعدتبر الزواج داخل العائلة او العشيرة هو المفضل في المرحلةفترة التقليدية، عندما كان ابناء الطائفة يسكنون مدن الجنوب . والمحرمات والمحارم (Incest) في الدين المندائي قريبة جداً من الدين الاسلامي ،اذحيث تحدد المحرمات بالام وام الام والاخت وذريتها وابنة الاخ وذريتها والعمة والخالة او الجمع بين الاختين –، كما ويسمح بزواج الرجل من اخت الزوجة بعد وفاتها بالرغم من انها حالة مكروهة ، ولايسمح بزواج الارملة من اخ زوجها لان الاخ لايجوز ان يطأ فراش اخيه .

اما ما يخص ،ان تعدد الزوجات دينياً فأنه غير مسموح به دينيا –عند لدى المندائيين ، غير مسموح ،لكن الواقع الاجتماعي فرض تغيراته ، وسمح بتعدد الزوجات ،اذ حيث نجد اليوم مندائيين متزوجين بأكثر من زوجة ومنهم شيوخ . ويعزى ذلك الى الكثير من الكوارث التي تعرضت لها الطائفة والتي كانت تودي بحياة الرجال ،وعندما سألت عدد من ابناء الطائفة بينهم مثقفين دينياً عن موضوع تعدد الزوجات ، اجابوني بأنه غير جائز دينياً ،بل ان بعض رجال الدين يشير الى ان المندائية اكثر تشدداً حتى من المسيحية في هذا الموضوع ، فالزواج هو علاقة شرعية بين رجل وامرأه وما يربطه الله لايحله انسان الا بالوفاة ، هذا بحسب وجهة النظر المسيحية ، بينما لدى المندائيين ة حتى الوفاة لاتحل هذه الرابطة لانها علاقة بين نفسين والنفس خالدة تنتقل من طور الى طور بعد الوفاة .. ويشير بعض رجال الدين الى ان الطائفة المندائية مرت بأزمنةفترات كان محرماً فيها الزواج الثاني حتى بالنسبة للارامل[1] . ويمكن ان نرى بقايا هذا التشدد، في عقد الزواج للثيبات والصعوبات التي تكتنفه، اذ لايجوز ان يعقد لـ"ترميذةا" او "كنزافرةا" يضع على راسه "تاغه" (تاج النور) ان يعقد زواجاً لامرأه ثيب ،لان تاجه سيلوث – بحسب الميثولوجيا الدينية –ولذلك فقد استحدثت درجة دينية خاصة، تعدتبر –دينياً– اوطأ من "(ترميذةا")" يطلق عليها "ابيسق"، وهو اصلاً "(ترميذةا")" يقوم بعقد قرآن لامرأه ثيب فتنزل مرتبته الدينية ، ويسمى بعد ذلك "ابيسق" ويختص عندها بعقد قرآن النساء غير العذراوات ، ولا يجوز له عقد زواج لفتاة عذراء . ويذكر ان اخر من كان بهذه الدرجة المرحوم الشيخ ادم، الذي اختار انزال درجته الدينية خدمة لابناء الطائفة لعدم وجود رجل دين يعقد للثيبات ، واليوم وبعد وفاة الشيخ ادم وعدم وجود رجل دين برتبة "ابيسق" لجأ رجال الدين الى تغيير في الطقس ،وهو ان

[1] الترميذا يوحنا النشمي ،الزواج المندائي بين الشكل والمضمون ،موقع اتحاد الجمعيات المندائية في المهجر com ٢٠٠٥/٣/١٩

رجل الدين– غير النازل –(اي المحتفظ يحتفظ بدرجته) يعقد زواجاً لللامرأة الثيب دون ان يضع تاجه على رأسه اثناء طقوس عقد القران !!.

كذلك نرى التشدد حيال موضوع الزواج الثاني ،في عدم جواز دخول ابن المرأة الثيب الى سلك الكهنوت ،بل ان "الحلالي" يجب ان يكون سالماً من هذه المسأله –اي ان لايكون ابنا لثيب سبق لها الزواج قبل ابيه– حتى في سلسلة نسبهة الى الجد السابع ،أي اذالو تزوجت امرأة ارملة او مطلقة وانجبت من زوجها الثاني فأن اولاد هذا الزواج يعتبرون غير مؤهلين طقسياً حتى احفاد احفادهم .

ثالثا : نظام الاسرة

ان نمط العائلة المندائية التقليدي مشابه لنمط العائلة العراقية بشكل علم عام. فهي عائلة ابويه (Patrilineal Famly) ،يمثل الاب فيها السلطة المركزية ،ثم يأتي دور الذكور من الاولاد ثم بعد ذلك الام والبنات ،وهذه السيادة الذكورية في العائلة تعزى لاسباب اجتماعية واقتصادية،بالرغم من المكانة هـ المتميزة للمرأة في الادب الديني المندائي، ولكن واقع الحال يشير الى تأثر المندائيين بالبيئة الاجتماعية المحيطة بهم ،ومع ذلك فالمرأة المندائية في المجتمعات التقليدية كانت اقل معاناة من جارتاها المسلمات ،لان جارتها المسلمة كانت تعمل في الزراعة والرعي بالاضافة الى مسؤليات المنزل، و–مع ذلك فمكانتها الاجتماعية واطئة ، بينما كانت المرأة المندائية تكاد تكون متفرغة لادارة اعمال المنزل .

ومثلها مثل كحال العائلة العراقية ، تأثرت العائلة المندائية بالتغيرات الاجتماعية والثقافية والسياسية التي حدثت في المجتمع نتيجة شيوع النمط الحديث من الحياة الحياة ، ونتيجة لانتشار التعليم وزيادة وسائل الاتصال من صحف ومجلات وتلفزيون وغيرها ،كل ذلك جعل العائلة المندائية عائلة عصرية ،ولكن على الرغم من ازدياد الحرية في علاقات الابناء بالإباء مثلاً ، إلا إن نمط العلاقة البطريركية مازال قائماً .

ورغم وجود حالات تعدد الزوجات لدى ابناء الطائفة اليوم ، الا انها لا تمثل حالة شائعة ، وان خصوبة الاسر المندائية –أي عدد الابناء فيها– رغم انخفاضه عما سبق بسبب متطلبات الحياة العصرية ، الا ان العائلة المندائية ما تزال تعدتبر ذات خصوبة عالية . اذ تنجب المندائية (٤) اطفال أو اكثر ، وهذه الخصوبة جزء من حالة (الدفاع عن الوجود) لدى الاقليات ، في محاولة منها لمقاومة الاندثار. كما ان الدين المندائي يشجع بل ويدفع نحو الزواج والانجاب ،لان الرجل غير المنجب يعدتبر ناقصاً طقسياً ودينياً ، كما مر بنا في فصل الطقوس الدينية. ان مشاكل التحول من النمط التقليدي الى النمط العصري تظهر ايضاً في حالات الطلاق في العائلة المندائية . اذ ان الطلاق غير مباح دينياً الا في حالات محددة مثل

الخروج من الدين المندائي او الزنا او الاصابة ببعض الامراض والتي تصبح معها المعاشرة الزوجية متعذرة ، مثل الامراض المعدية او الجنون او العقم .لكن ضغوط مشاكل الحياة العصرية ادت الى ازدياد معدلات الطلاق[1] .

ونتيجة للتغيرات التي شهدتها حياة ابناء الطائفة ،حاولت قيادتها الدينية والمدنية ان ترسخ نمط تعامل عصري مع المشكلات التي تعترض حياة المندائيين ، فلقد أُسست (المحكمة الشرعية المندائية) في ١٩٩٦/١١/١١ ،وتم تشكيلها على وفق التنظيم الاتي :

١. **رئيس المحكمة** : شخصية مدنية معروفة بنزاهتها ومركزها في مجالس الطائفة.
٢. **رجل دين** : عضو المحكمة ،يساعد الرئيس في البت في الشؤون الدينية .
٣. **رجل قانون** : يكون عضواً مدنياً ،مستشاراً قانونياً للبت في المسائل القانونية
٤. **رجل ادارة** : يكون عضواً مدنياً ،مديراً للادارة ومتولياً للشؤون الادارية في المحكمة .
٥. **باحثة اجتماعية** : عضوة مدنية ،وظيفتها دراسة الحالة الاجتماعية للمشكلة المقدمة .

منسّق:بعد: 0 سم، تعداد رقمي + المستوى: ١ + نمط الترقيم: 1، 2، 3، ... + بدء الترقيم بـ: ١ + المحاذاة: أيسر + محاذاة عند: 0 سم + علامة جدولة بعد: 36.0 سم + مسافة بادئة: 36.0 سم

وقد قدمت المحكمة خدمات كبيرة لابناء الطائفة عبر تنسيقها مع الجهات الحكومية وشبه الحكومية في المجتمع ،كما انها قدمت خدمات لابناء الجاليات المندائية في المهاجر، وذلك في تسهيل الزواجات بينهم وبين ابناء الطائفة في الوطن الام ،عن طريق ارسال الوكالات الرسمية المصدقة بشكل رسمي ومعتمد من السفارات والقنصليات العراقية في الخارج .

ان وجود محكمة شرعية عصرية لدى الطائفة يمنحها القدرة على مواجهة العديد من مشكلات الاسرة والزواج ، وذلك بدراسة هذه المشكلات والتحرك باتجاه ~~على~~ حلها . ،وتمثل ~~ان~~ هذه المحكمة ~~تمثل~~ تغيراً في نمط التعامل مع مشكلات حياة الاسرة من كونه نمطا تقليديا يتم فيه الرجوع الى رجال الدين او وجوه الطائفة ذوي المكانة الاجتماعية في حل المشاكل ، فتحوله الى نمط عصري يتم عبر مؤسسة عصرية تتوفر فيها امكانات قانونية واجتماعية ودينية لدراسة المشكلة ومحاولة وضع الحلول لها .

ويعد تغير وضع المرأة جزءاً لايتجزأ من تغيرات نسق الاسرة والزواج لدى المندائيين . فالمرأة بعد ان درست واشتغلت وحققت استقلالها الاقتصادي ، تغيرت مكانتها الاجتماعية وتعددت الادوار التي تؤديها في حياة الاسرة . ولكن لايخفى علينا ان هناك جانباً اخر في هذه المعادلة، فخروج المرأة للدراسة ومن ثم العمل ،اخّر سن زواجها، وأدى الى ازدياد حالات العنوسة في المجتمع المندائي ، بل ان بعض ابناء الطائفة ممن سألتهم عن الموضوع اجابني : ان تغير مكانة المرأة وتنافسها مع الرجل في الدراسة والعمل هو الذي أدى إلى غرورها واعتزازها

[1] حمودي الهلالي .رئيس المحكمة الشرعية المندائية ،المحكمة الشرعية المندائية ،مجلة افاق مندائية ،العدد (١٧) السنة السادسة تموز ٢٠٠١ ،ص١٥

بأمكاناتها ، و ولّد لديها حالات رفض واختيار وانتقاء في عملية الزواج ، وهذا كله يؤدي الى تأخر سن الزواج او عنوسة الفتاة .

ان الاسرة المندائية مثل أي اسرة عراقية تراوح بين التقليدية والحداثة ،فقد تغيرت مكانة المرأة في هذه الاسرة واصبح لها دوراً فعالاً فيها . الا ان مقياس الشرف مازال مقياساً بايولوجياً ،اذ يتعلق شرف وسمعة الاسرة كلها رجالها ونسائها بعذرية ابنتهم ،فالبنت التي تفقد عذريتها قبل الزواج تعرض سمعتها اولاً وسمعة عائلتها الى تهديد حقيقي .

فالعلاقات الجنسية قبل الزواج محضورة نهائياً في المجتمع المندائي ،بل وهناك شروط وفحص للتأكد من "بهارة" (عذرية) الفتاة قبل عقد الزواج لها، كما مر بنا في مبحث طقوس الزواج ، وهي ما يسمى (الكشافة) . وقد يحاول بعض الجريئين من رجال الدين التخفيف او الغاء هذا الجزء من عقد الزواج مقدمين حججاً بأن ليس هنالك نص ديني على ذلك، وانما (الكشافة) جاءت من تقاليد اجتماعية . وان مثل هذه الاراء الجريئة تأتي من رجال دين يعيشون في المهاجر ، ويستشعرون معاناة ابناء جاليتهم جراء ضغوط الحياة والثقافة المهجرية على هويتهم الثقافية ، ويحاولون ان يجدوا مخارج دينية عقلانية لذلك[1] .

ان نمط الأسرة المندائية اخذ بالتحول من الأسرة الممتدة (Extended Family) الى نمط الأسرة النووية (Nuioclear Family) ، وذلك ضمن سياقات التغير من التقليدية الى المعاصرة . فقد كانت الأسرة المندائية التقليدية الممتدة تتكون من الاب وزوجاته وابنائه المتزوجين متحدين في وحدة اجتماعية واقتصادية ، يرأسها الاب وفي بعض الحالات –عند وفاة الاب– الاخ الاكبر ،اما اليوم فنجد ان العائلة المندائية مكونة من الزوج والزوجة والاولاد . ورغم ان الظروف الاقتصادية السيئة التي مر بها البلد خلال العقدين الاخرين دفعت ببعض الابناء الى الزواج والاستقرار مع عائلته الاصلية ،الا ان الزوجين الشابين يعدتبران ذلك حالة مؤقتة ريثما تتوفر لهم فرصة مناسبة للاستقلال بسكن منفصل .

ان سطوة الاب في العائلة المندائية، اليوم على افراد أسرته اقل بالتأكيد مما سبق ، الا ان علاقات الابناء بالاباء ماتزال تتسم بالاحترام الشديد والتعامل وفق سلوكيات فيها حفظ لادوار كل فرد من الافراد في العائلة ، مع هامشٍ للحرية ازداد بالتأكيد بالنسبة للاولاد في اختيار مستقبلهم ودراستهم وعملهم والى حد ما شركاء حياتهم .

منسّق:متوسط

[1] الترميذا يوحنا النشمي ،الزواج المندائي بين الشكل والمضمون ،مصدر سابق ويلاحظ بالذات الموضوعات التي طرحها الشيخ في مقاله للدراسة مثل الزواج من خارج الديانه وحالات الطلاق وتعدد الزوجات و"البهارة" (العذرية) وزواج الارملة والمطلقة.

المبحث الثالث: نسق الضبط الاجتماعي

بوسعنا العثور على العشرات من التعريفات التي وضعت لتشرح الضبط الاجتماعي (Social control) ،لان كل علم تناول المفهوم من زاوية معينة ،لكننا نستطيع ان نستخلص من التعاريف العديدة فكرة مجملة عن الضبط الاجتماعي بأنه :(تلك العملية التي يستطيع المجتمع بواسطتها السيطرة على الافراد وتنظيم سلوكهم بالشكل الذي يؤدي الى اتساق هذا السلوك مع التوقعات الاجتماعية ، كما انها تعمل على المحافظة على استمرارية الكيان الاجتماعي في الاوضاع الاعتيادية ، وتعالج تخلف بعض المؤسسات خلال التطور التدريجي والتغير المفاجئ)[1] .

عند دراستنا لنسق الضبط الاجتماعي في البناء الاجتماعي لطائفة الصابئة المندائيين، وجدنا انه يعمل على وجهين محددين ؛الاول هو ضبط نمط السلوك المتوقع داخل الطائفة وهذا مبني على عدد من وسائل الضبط مثل المعتقدات والطقوس والعادات الاجتماعية وحسابات المكانة الاجتماعية والدور الاجتماعي ،اما الوجه الاخر فهو ضبط السلوك المتوقع بين الطائفة ومحيطها ~~الاجتماعي~~ الاجتماعي ، وهو قائم ايضاً على التقاليد الاجتماعية والعادات فضلا عن ~~بالاضافة الى~~ القوانين الوضعية . ،ويمكن ان نميز بين الاثنين في نقطة جوهرية هي تعرض نسق الضبط الاجتماعي الذي يعمل على ضبط علاقة الطائفة مع محيطها الى تغير اجتماعي واضح، ،ويتمثل هذا التغيير في تحول واضح من وسائل الضبط شبه الرسمية –الداخلية–

[1] د. خالد الجابري ،الضبط الاجتماعي ،محاضرات منهجية للمرحلة الثالثة في قسم الاجتماع ،بغداد ،بدون تاريخ ،ص٤ .

(المعتقدات ، العادات ، الضمير، الاعراف..الخ) الى عوامل الضبط الرسمية–الخارجية– مثل (القانون ،المحاكم، الشرطة ..الخ) ، بينما في الوجه الاول من نسق الضبط الاجتماعي والذي يشتغل على ضبط سلوك الافراد داخل الطائفة نلاحظ استمرار وسائل الضبط غير الرسمية او الداخلية تعمل حتى لحد الان ، والسبب في ذلك يعود الى تعامل ابناء الطائفة فيما بينهم بروح العائلة الواحدة وهم يطلقون على طائفتهم (العائلة المندائية) ، لذا وفي حالات النزاعات بين افراد الطائفة نراهم يلجأون الى الطائفة والاعتماد على العادات والاعراف قبل اللجوء الى القانون والشرطة والمحاكم في بعض الحالات النادرة ،بينما في حالات حدوث مشاكل في تعاملهم مع افراد من خارج الطائفة نراهم يسعون الى القانون، وذلك متأت من تراكم الاضطهادات التي تعرضوا لها فهم يلوذون بقوة الدولة لحمايتهم ومنع تعرضهم لاضطهاد جديد .

منسّق:بعد: 0 سم، تعداد رقمي + المستوى: ١ + نمط الترقيم: 1، 2، 3، ... + بدء الترقيم بـ: ١ + المحاذاة: أيسر + محاذاة عند: 0 سم + علامة جدولة بعد: 96.0 سم + مسافة بادئة: 96.0 سم

١-١ الجانب السياسي :

في بدايات القرن العشرين ، بدأ تحول الطائفة من الانعزال الى الفعالية والاشتراك في الحياة العامة في العراق . وان تعامل الدولة العراقية التي تكونت في عشرينات القرن الماضيعشرين مع مختلف الطوائف كان تعاملاً يمكن ان يوصف بأنه علماني ، في محاولة لاعطاء الاقليات الدينية والعرقية حقوقها في دستور مدني لدولة حديثة . الا ان طائفة الصابئة المندائيين لم تكن قد بلورت وجوداً مجتمعياً او سياسياً متميزاً ،وانما كانت اقلية دينية تعيش على هامش المجتمع وتهتم بأمورها الدينية الدينية ، وتعيش في هامش التسامح الممنوح لها من مراكز القوة في المجتمع. ومع التغيرات التي طرأت على ابناء الطائفة نتيجة دخولهم المدارس الحديثة وشيوع الثقافة الحديثة بينهم– وكان ذلك في اوضح صوره في اربعينات وخمسينات وستينات القرن العشرين– كما سبق الاشارة الى ذلك ،وان انخراط ابناء الطائفة في التيارات الايديولوجية الموجودة في الساحة العراقية في ذلك الوقت، ولم يكن ذلك ليبلور هوية او وجودا للطائفة ، وانما كان يمثل حلولاً فردية ، ولا يتبين منه ضغطاً متأت من هوية دينية لاقلية عراقية ، وبذلك لم نجد في تلك المرحلةفترة الا مطالبات بسيطة بالاعتراف بأيام اعياد الطائفة كأيام عطل اسوة ببقية الطوائف الدينية في العراق . اما اليوم فأن هوية الطائفة المتبلورة والقائمة على اسس المواطنة، فالمندائيون ادركوا انهم عراقيون ويجب ان يتمتعوا بنفس بالحقوق نفسها طالما انهم يؤدون نفس الواجبات نفسها تجاه مجتمعهم، وقد تجلى لي ذلك في اوضح صورة بالمطالبة الشجاعة لابناء الطائفة بوجود من يمثلهم في البرلمان العراقي الجديد الذي تم انتخابه في كانون الثاني ٢٠٠٥م ، ورفضهم تغييب المندائيين من المعادلة العراقية ،لانهم عنصر فاعل في المجتمع العراقي .

ويتمثل ان الجانب السياسي من الضبط الاجتماعي كذلك يتمثل بسلطة الدولة على افراد المجتمع من خلال اجهزة الدولة ، مثل المحاكم والاجهزة الامنية والسجون ..الخ ، وان فكل ذلك يحمي الاقليات من الحيف الذي قد يقع عليها من الاغلبية ، وهذا جانب يصب في مصلحة الاقليات التي وتسعى باستمرار للمطالبة والتمسك به . ولكن في المرحلة فترة التي غابت فيها سلطة الدولة – بعد سقوط النظام – رأينا تحرك قيادات الطائفة نحو القوى المجتمعية من احزاب وحركات ومرجعيات وقيادات دينية في محاولة لدرء الخطر عن ابناء طائفتهم .

منسّق:بعد: 0 سم، تعداد رقمي + المستوى: ١ + نمط الترقيم: 1، 2، 3، ... + بدء الترقيم بـ: ١ + المحاذاة: أيسر + محاذاة عند: 0 سم + علامة جدولة بعد: 96.0 سم + مسافة بادئة: 96.0 سم

٢-٣ الضوابط الاجتماعية :

ان المنبع الاساس للضوابط الاجتماعية في طائفة الصابئة المندائيين هو المعتقد الديني ، وهذا امر مفروغ منه بالنسبة لاقلية دينية.

ويمكننا ان نقرأ في محرمات الديانة المندائية الكثير من الضوابط الاجتماعية وفمن هذه المحرمات مثلا :

منسّق: المسافة البادئة: قبل: 0 سم، السطر الأول: 72.1 سم

مثلاً : القتل ،السرقة ،الخداع ، الكذب ،شهادة الزور، خيانة الأمانة ،الزنا (وهو من الكبائر العظمى المؤدية الى النار في الاخرة والنبذ في الدنيا) ، الربا ،الاجهاض ، والانتحار .. الخ[1] .ولكل تلك المحرمات جانبها الاجتماعي، ويلعب التحريم الديني دوراً وظيفياً مهماً في منعها مجتمعياً .

اضف الى بالاضافة الى ذلك فأن وسائل الضبط الاجتماعي في المجتمع العراقي ككل تفرض نفسها على ابناء الطائفة كونباعتبارهم جزءاً من هذا المجتمع . وان عوامل الضبط الاجتماعي بنوعيها الرسمية وغير الرسمية تفرض نفسها على المندائيين ، ففي بعض الحالات يخضع المندائيون لقوانين وضعية مشتقة من الدين الاسلامي لان قضاياهم تنظر امام المحاكم العراقية التي تعتبر الدين الاسلامي دين الدولة الرسمي ، وعلى سبيل المثال ، ليس هناك تقسيم ديني للميراث في الدين المندائي وبالتالي هم يخضعون للقوانين الوضعية للبلد الذي يعيشون فيه للبت في هذا الموضوع .

ان تحولاً مهماً حدث في وسائل الضبط الاجتماعي ، وقد تمثل ذلك في التحول من اجواء المجتمع المحلي البسيط الى فضاء مجتمع المدينة الكبيرة ،اذ حيث تلائم النوع الاول وسائل الضبط غير الرسمية بينما تلائم وسائل الضبط الرسمية المجتمع الثاني . وقد كانت خطوة انشاء المحكمة الشرعية المندائية معلما واضحا في هذا المضمار . وكما اشرنا سابقاً الى فان هذه المحكمة تنظر في حل الاشكالات الشرعية في نزاعات الاحوال المدنية ،واذا اطلعنا

[1] الشيخ الترميذة علاء النشمي ،اسئلة واجوبة عن الديانه المندائية ،مقال منشور في موقع اتحاد الجمعيات المندائية في المهجر ، www. mandaeanunion.org ، ٢٠٠٥/٣/٧

على الفصل السابع من النظام الداخلي المعدل للطائفة ، نجد تحديداً يقترب من اصدار القوانين في مواضيع مثل الخطوبة والزواج والمهر ونفقة الزوجة والتفريق والعدة والحضانة والرضاعة وحق مشاهدة الاطفال وحضانتهم في حالات التفريق والوصية والميراث .....الخ . و في كل ذلك تتحول الاعراف او القيم الدينية الى قوانين وضعية تنظر على اساسها المحكمة في دعاوى الخصومات بين المندائيين .

وعلى العموم ، يمكن ان نشير الى ان الفرد المندائي غير ميال للخصومات وقليل المشاكل ، يتغاضى عن الاساءة اليه ،ملتزم بالقوانين والاعراف . وتكاد تكون الجريمة في اوطأ معدلاتها في مجتمع الطائفة المندائية ، وذلك دليل على قوة التزام الفرد المندائي بالضوابط الاجتماعية .

الفصل الثامن

النسق الاقتصادي

المبحث الاول: النشاط الاقتصادي في البيئات التقليدية

منسّق:الخط: ٣٠ نقطة، خط اللغة العربية وغيرها: Andalus، ٢٤ نقطة، (العربية وغيرها) العربية (المملكة العربية السعودية)
منسّق: المسافة البادئة: قبل: 56.1
منسقة: تعدادات نقطية ورقمية

~~١-المبحث الثاني : المهن في البيئات التقليديةمصادر الحياة المعيشية اليومية~~

~~٢-١.~~الصناعات المعدنية

٣.٢.النجارة

٣.٤.الصياغة

المبحث الثاني: الواقع الاقتصادي في المدن الكبرى

الفصل الثامن
النسق الاقتصادي

تتفاعل الانساق (systems) المكونة للبناء الاجتماعي (Social structure) فيما بينها لتكون الصورة النهائية لذلك البناء. وقد يكون احد الانساق اكثر تاثيراً او اكثر وضوحاً في التفاعل تبعاً لمجموعة من الظروف، فالنسق الايكولوجي يكون اكثر تاثيراً في البيئات قليلة التكنولوجيا ، بينما يقل تاثيره كلما تطور المجتمع تكنولوجياً. والنسق القرابي مهم جداً في المجتمعات القروية والبدوية . لان القبيلة او العشيرة او البدنة تمثل الوحدة الاساسية التي يعيش الافراد في كنفها ، بينما يقل تاثير النسق القرابي في مجتمعات المدن نظراً لطبيعة العلاقات الاجتماعية في المدينة ،تلك العلاقات المبنية على اساس العلاقات الرسمية.

وفي مجتمعنا قيد البحث (طائفة الصابئة المندائيين) ، نستطيع ان نؤشر نسقين اساسيين للعبا الدورا جوهريا الاساسي في بلورة شكل البناء الاجتماعي لهذا المجتمع، وهذان النسقان هما: النسق الديني لانه يمثل الاساس في تشكيل مجتمع الاقلية الدينية ، ومن ثم النسق الاقتصادي وهو كما سنناقشهري في هذا المبحث.

و يشير النسق الاقتصادي في ابسط معانيه يشير الى توفير السلع المادية اللازمة لاشباع الحاجات البايولوجية والاجتماعية. وهذه امور عامة تشترك فيها جميع المجتمعات ومن مختلف المستويات الثقافية ، كما ان تحقيقها يتطلب توفير درجة معينة من التعاون المنهجي المنظم من افراد المجتمع لاستغلال موارد الطبيعة ، وذلك باستخدام بعض الاساليب والوسائل

الفنية والآلات والادوات التي تكفل تحقيق نتائج اقتصادية معينة بالذات، سواء اكانت هذه النتائج هي جمع الثمار امو صيد الحيوانات امو زراعة الحبوب امو الصناعة اليدوية امو الآلية ، ثم يأتي بعد ذلك توزيع السلع المنتجة بعد ذلك[1].

فكل العمليات الاقتصادية التي تتم داخل نطاق معين تتطلب بالضرورة قيام درجة معينة من التعاون والاعتماد المتبادل بين افراد ذلك المجتمع ، وذلك بحسب نمط معين من الحقوق والالتزامات[2].

وكما اشرنا في مباحث سابقة الف ان الصابئة لم يمثلوا مجتمعاً معزولاً خاصاً بهم وانما كانوا جزءاً من مجتمع كبير يعيشون فيه ويتفاعلون معه ، وبالتالي وبالتالي فأن فالنسق الاقتصادي لبنائهم الاجتماعي قد يمثل جزءاً من النسق الاجتماعي لمجتمع قرى ومدن الجنوب في المرحلةفترة التقليدية ، ثم جزءاً من النسق الاقتصادي في المدن العراقية الكبرى.

المبحث الاول: النشاط الاقتصادي في البيئات التقليدية

منسّق:الخط: ١٤ نقطة، خط اللغة العربية وغيرها: ١٤ نقطة

منسقة: تعدادات نقطية ورقمية

منسّق:الخط: ١٤ نقطة، خط اللغة العربية وغيرها: ١٤ نقطة

منسّق:الخط: ١٤ نقطة، خط اللغة العربية وغيرها: ١٤ نقطة

منسّق:الخط: ١٤ نقطة، خط اللغة العربية وغيرها: ١٤ نقطة

~~١.~~لقد كان مصادر الحياة المعيشية اليومية:

ان نمط الحياة في قرى ومدن جنوب العراق في بدايات القرن العشرين اقرب مايكون الى البدائية في بدايات القرن العشرين تكاد تكون بدائية الى حد بعيد، فالمجتمعات المحلية مجتمعات ذات مستوى تكنولوجي واطئ وذات اقتصادات في اولى خطوات تحولها من اقتصاد الاكتفاء الذاتي الى اقتصاد السوق المرتبط بالاسواق العالمية بالنسبة للمحاصيل الرئيسية مثل الحبوب والتمور. وان التحولات الاجتماعية المبنية على اسس اقتصادية لم تكن واضحة المعالم بعد، اذ نترى ان المجتمع يراوح بين قيمه القبلية البدوية التي تمثل جذراً للقبائل الساكنة في مدن الجنوب ، وبين التحول نحو مجتمع حداثي يتعامل وفق منطق السوق.

ان مصدر الحياة الاساسي كان الزراعة التي مرت في هذه المرحلةفترة بتحولات خطيرة غيرتها من زراعة قبيلة همها الاكتفاء الذاتي الى زراعة تمول السوق المحلي والعالمي بمحاصيل استراتيجية مثل الحنطة والشعير والذرة والرز . وقد كان ذلك مصاحباً لتغير في البناء الاجتماعي والثقافي للسكان القبليين ، اذحيث تغير نمط العلاقة بين الفلاح والارض من جهة، وبين الفلاح وشيخه القبلي من الجهة الاخرى . فقد كانت الارض كانت قبل ذلك مشاعاً او (ديرة) للعشيرة يزرعها ابناؤها للاكتفاء من محاصيلها ، ولكن ايجاد نظام التملك العقاري (الطابو) او الايجارات

---

[1] احمد ابو زيد، البناء الاجتماعي، الجزء الثاني (الانساق)، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر الاسكندرية، ١٩٦٧،ص٩٢.

[2] dalton, G. Economic Theory and primitive Society, American Anthropologist, LXIII, 1961, P.6.

طويلة المدى(اللزمة) والذي احتُكر تقريباً من قبل شيوخ العشائر مما جعل نمط العلاقة بين الشيخ وافراد عشيرته يتغير الى نمط اقطاعي فيه جانب كبير من الاستغلال، وتعامل يقترب من القنانة.

اما مايخص المحاصيل الزراعية التي كانت تنتج ان اهم المحاصيل التي كانت تزرع في هذه المنطقة ، فتتلخص اهمها في ؛هي (الحنطة، الشعير، الرز ، والذرة، بالاضافة الى النخيل، وبعض الخضراوات) ، وقد كانت هذه المحاصيل تكفي لسد حاجة السوق المحلي .، وبالتاكيد كانت الزراعة تتم بوسائل بدائية في عمليات حرث التربة وتنعيمها وبذر البذور وسقيها وحصاد المحصول وتهيئته.

كذلكو من المعروف ان منطقة جنوب العراق ذات الوفرة المائية– حيث مجاري الانهار ومسطحات الاهوار الدائمية والمؤقتة – تمثل موطناً شتوياً لهجرات انواع عديدة من الطيور فضلا عن بالاضافة الى الوفرة في الثروة السمكية ، مما جعل الصيد مورداً ثانياً للمعيشة ، فالطيور والاسماك تعد مصدراًوردا اساسياً لغذاء سكان المنطقة.

كما ان غابات القصب والبردي جعلت سكان المنطقة يعتمدون على هذا النبات في الصناعات البسيطة مثل حياكة الحصر وصناعة بعض الاثاث البسيط منه . وقد مثلت هذه الصناعات مصدراً معيشياً لا بأس به للسكان ، ولاسيماخصوصاً في الحقبةفترة ما بين الحربين، حيث اذ تتصنع ع هذه الحصر من القصب ، وتعد من المنتجات الرئيسية التي تتم المتاجرة بها مع مدن العراق الرئيسية مثل بغداد والبصرة[1].

وبما ان اصل الكثير من قبائل هذه المنطقة متحدر من صحراء شمال الجزيرة العربية، فقد مثلت مهنة رعي الابل مهنة اساسية بالنسبة لهم .، بيد انهم ما لبثوا ان تخلوا عنها تاقلماً مع الواقع الايكولوجي الجديد ، او انهم استبدلوها برعي الاغنام والابقار .، اما سكان الاهوار الاصليين (المعدان) فقد كانوا انهم وعلى الدوام كانوا مربين للجاموس، لان بيئة الاهوار بيئة مثالية لتربية هذا الحيوان الضخم ذو الانتاج الوفير من الحليب ، فغذاؤه من غابات القصب والبردي ، والمياه التي يحتاجها متوفرة جداً ، ورعيه بسيط حتى ان بعض الاطفال يقومون بذلك.

ولم يبقَ في هذا العرض الوصفي الا هامشاً صغيراً يتمثل في الصناعات الحرفية البسيطة التي تجهز هذا المجتمع بما يحتاجه اليه من ادوات للزراعة وآلات للصيد ، ناهيك عن ووسائل النقل البدائية وكذلك بعض كماليات الحياة مثل الاثاث البسيط والحلي ، وقد شكل هذا الهامش النشاط الرئيسي لطائفة الصابئة المندائيين، الذين لم يكونوا يمتهنون الزراعة او الرعي ، لاسباب سبق الاشارة اليها تتعلق بعدم قدرتهم على القتال والنزاع ، اذ تكون وهذه المهن

[1] شاكر مصطفى سليم، الجبايش، مصدر سابق،ص٣٤٠.

تكون مصحوبة عادة بصراعات قبلية على كميات المياة او الارض او حق الرعي في مراعي معينه ، وهم كاقلية صغيرة مسالمة لا تملك من القوة ما يؤهلها للدخول في النزاعات القبلية.

ان المهن الحرفية التي امتهنها الصابئة وفرت لهم وضعاً لا باس به في المجتمع الزراعي الرعوي العشائري .. اذ انهمحيث يقومون بتوفير المستلزمات البسيطة لهذا المجتمع ويدفعون بسخاء من اموالهم للشيوخ و مراكز القوة في هذا المجتمع ، لقاء الحفاظ على امنهم وعدم الاعتداء عليهم ، ناهيك عن وترك هامش بسيط للحرية بسيط لهم لاداء طقوسهم الدينية .. لكنهم وكانوا مع ذلك كانوا يعانون من عزلاً اجتماعياً وتعاملاً بفوقية من قبل الاخرين مبني على اساس كونهم غير مسلمين ، وبالتالي فهم (انجاس) ، ولا يسمح بمشاركتهم الطعام اوالشراب ، اما الزواج فهو شبه مستحيل بين المندائيين ومجاوريهم ، اذ لا يكون الا في حالات خطف العروس من اهلها(النهيبة).

ان المكانة الاجتماعية في هذه المجتمعات لا تعتمد فقط على مستوى الملكية الملكية ، بل تدخل فيها الكثير من العوامل مثل الكرم والشجاعة والنسب القبلي الشريف والتمسك بالأعراف العشائرية . لذا فان المكانة الاجتماعية للصابئةي لم تكن لترتفع مهما تحسنت احوالهم الاقتصادية لانهم اولا غير مسلمين ، وثانيا لان ايا من العوامل التي ذكرناها لاتنطبق عليهم غير مسلم، وهم بدورهم لم يكونوا من الباحثين ، بل اننا عن ذلك بل لا نبالغ اذا وصفناهم بالزهد والتمسك بالتعاليم الدينية التي تحض الانسان على الاجتهاد والعمل ، ولكنها – التعاليم الدينية – دائمة التذكير بان الحياة على الارض هي جزء بسيط من دورة الحياة ، اذ ان حيث النفس محبوسة في جسدها الارضي الفاني والحياة الحقيقية الكريمة هي حياة الصادقين الخيرين في عالم الانوار.

منسّق:عنوان 2، إلى اليسار، بعد: 0 سم

منسّق:الخط: ١٨ نقطة، دون غامق، خط اللغة العربية وغيرها: U_S habyaT SCM normal،. ١٨ نقطة، دون غامق

منسّق:الخط: ١٨ نقطة، دون غامق، خط اللغة العربية وغيرها: U_S habyaT SCM normal،. ١٨ نقطة، دون غامق

منسّق:مضبوطة

المبحث الثاني :المهن في البيئات التقليدية

لقد امتهن الصابئة المندائيين بعض المهن الحرفية في بيئاتهم التقليدية مثل الحدادةوالنجارة والصياغة البسيطة .وقد عكست هذه المهن على بساطتها صفات المندائي التي تتمثل في كونه دؤوبا مجدا محبا للعزلة ومتطلعا دائما الى التميز ، وذلك كتعبير عن خصوصيته في انتمائه لطائفته الدينية.

منسّق:الخط: ١٤ نقطة، دون غامق، خط اللغة العربية وغيرها: ١٤ نقطة، دون غامق

ويمكننا ان نحدد اهم المهن التي امتهنها – واجادها وتميز بها –الصابئة فيما يلي:

١.الصناعات المعدنية:

منسّق:مضبوطة

تمثل الصناعات المعدنية حرفة اساسية امتهنها الصابئة المندائيون ، وفي بعض الاماكن كن كانت تكاد ان تكون حكراً عليهم.

منسّق:مضبوطة، المسافة البادئة: قبل: 0 سم، السطر الأول: 0 سم

فكانت حرفة الحدادة كانت تجهز المجتمع الزراعي البسيط بما يحتاجه اليه من عُدد ، وكان فالحداد الصابئي يصنع رماح الصيد (الفالة) ويصنع ادوات الزراعة مثل (المسحاة والمنجل وسكينة تفشيق القصب "المشك" التي يفلق بها حائك الحصر القصب في عملية تهيئته للحياكة). كما يقوم الحدادون بصناعة منتجات وسيطة لحرف اخرى مثل صناعة المسامير المستخدمة في صناعة و اصلاح الزوارق.

منسّق:مضبوطة

كما ويقوم بعض الحرفيين المهرة من الصابئة باصلاح الاسلحة النارية من البنادق والمسدسات المستعملة كاسلحة شخصية في النزاعات التي تنشب بين القبائل ، وكذلك في قتل الحيوانات التي تهاجم مزارع الفلاحين مثل الخنازير البرية ، وقد كانت هذه الاسلحة على الاغلب من الانواع القديمة والكثيرة العطلات.

ان امتهان هذه الحرفة كان يتيح لممتهنها الاتصال بالمدن الكبيرة القريبة ولاسيما خصوصاً البصرة ، اذ يجلب الحديد المستعمل من هناك[1]. وهذا يعني رحلات منتظمة الى هذه المدن وتعامل مع تجارها مما يولد بذرة حراك اجتماعي كان له ان يصبح احد الاسباب المهمة في الهجرة التي حدثت بعد ذلك بحثاً عن رزق اوفر ومجتمعٍ اكثر انفتاحاً ، وهذا ما تمثله المدن الكبيرة.

وقد كانت ان اعمال الحدادة كانت شاقة ومرهقة لانها بدائية ويدوية وذات عُدد بسيطة جداً، فالوقود المستخدم في عمليات تسخين المعادن وتشكيلها هو عبارة عن قطع من القصب يشتريها الحداد ويحولها الى فحم في (كورة) بدائية يقوم هو بعملها ، اذ ان توفر الوقود النفطي

[1] شاكر مصطفى سليم، الجبايش، مصدر سابق،ص٤١٨.

كان نادراً ومكلفاً . ومع ذلك فقد كانت لكن تلك الاعمال البدائية توفركان توفر دخلاً معقولاًمتوسطا لممارسيها، اذ قُدّر دخل الحداد في منتصف القرن العشرين (٧) دنانير شهرياً[١] ، وهو دخل جيد يعادل ضعف دخل الفلاح من اعمال الزراعة مثلا، كما ان هذا الدخل يكاد يكون منتظما ومستمرا وغير متذبذب مع مواسم الزراعة ومشاكلها من فيضانات وآفات زراعية قد تؤدي في كثير من الاحيان الى خسارة الفلاح .

وبالرغم من ان نمط العمل الحرفي قائم على أسس اولية بسيطة في تقسيم العمل الاجتماعي في المجتمع ، الا ان هذا النمط يمثل عادة حرفة الذكور من العائلة باجمعهم .، فيكون المعلم او (الاسطة) هو رأس العائلة ممثلا بالاب او الاخ الكبير ، يساعده في عمله اولاده الذكور واخوته وابناء اخوته . وتكون هذه الحرف حكراً على الرجال لاسباب بايولوجية واجتماعية، فمهنة الحدادة تحتاج الى قوة عضلية كبيرة ، كما ان من المعيب اجتماعياً ان تختلط نساء الصابئة مع الاغراب في التعاملات التجارية في السوق، ولا يقوم بذلك الا نساء المعدان ، وهذا مايولد نظرة احتقار من قبل سكان مدن وقصبات الجنوب للمعدان الذين يسمحون لنسائهم بالقيام ببيع المنتجات في الاسواق مثل الحليب ومشتقاته والطيور والاسماك وغيرها.

وقد اشرنا الى ان التعامل مع الصابئة كان يتم على اساس مكانتهم الاجتماعية الواطئة بسبب الاختلاف الديني ، الا ان مهنهم لم تكن من المهن المحتقرة في ذلك المجتمع، فلم يمارسوا حياكة الاقمشة او زراعة الخضراوات (الحساوية) ، او مهن المعدان مثل صيد السمك بالشباك او الجاروف (البربرة) ، ولم يشتغلوا في بيع الاسماك او الطيور او الحليب ومشتقاته ، وكل تلك الاعمال محتقرة اجتماعياً، وذات مكانة واطئة ولا يمكن التزاوج مع من يقوم بها مثلاً ، بينما نرى ان اعمال الصابئة هي حرفية بحتة يحتاجها المجتمع الذي يعيشون فيه ، بل وقد منحتهم شيئا مناعطتهم الاهمية في بعض الاحيانحالات.

٣. ٢. اعمال النجارة:

اما النوع الثاني من المهن الحرفية التي مارسها الصابئة فهي اعمال النجارة . ويمكن ان تنقسم هذه الاعمال الى قسمين رئيسيين ؛ يتمثل الاول في هو صناعة و اصلاح الزوارق بانواعها المختلفة ، اما الثاني فأنه يتمثل فيو صناعة الاثاث المنزلي البسيط الذي يحتاج اليهه البيت في مدن وقصبات الجنوب. ان المندائيين ابناء بيئة الاهوار منذ مئات السنين ، لذلك فأننا نجد للزوارق وجودا مهما في موروثهم الديني والثقافي . وهذا مانراه جليا يظهر ذلك في الرسوم التي تزين المخطوطات الدينية مثل "ديوان اباثر" ، اذحيث يحتوي هذا الكتاب على رسوم لسفن

---

[١] شاكر مصطفى سليم ، الجبايش ،المصدر سابقنفسه،ص٤١٩.

تمثل نوعاً من السفن الفضائية ، مهمتها نقل الارواح بين العالم الارضي وعوالم "مشوني كشطة" (ارض العهد) و "المة اد نهورا" (عالم النور او الفردوس المندائي) . واذا امعنا النظر في هذه التخطيطات نجد انها رسمت على شكل مقطع عرضي في السفينة او الزورق ، وان الشخصيات الموجودة في السفن رسمت بطريقة تكعيبية بدائية ، وان مواصفات الزورق المصنوع في جنوب العراق موجودة فيها من حيث استعمال المجاذيف والمردي (قصبة طويلة يتم بها دفع الزورق في المياه قليلة العمق) ، وكذلك نلاحظ وجود الصوراي وقد ثبتت عليها اشرعة ، وهذه الطريقة موجودة في الزوارق الكبيرة التي تنقل البضائع والحمولات باتجاه الشمال اذ كانت حيث تسيّر بالاشرعة قبل ان يتم التحول الى استعمال مكائن الدفع (الماطورات).

ان كتاب "دراشة اد يهيا" (مواعظ وتعاليم يحيى بن زكريا (ع)) ، وهو الكتاب الثاني من حيث الاهمية الدينية لدى الطائفة بعد الكاتب المقدس "كنزاربا" ، يحتوي على الكثير من اجواء جنوب العراق المليئة بالزوارق –وشباك صيادي الاسماك والصيد بالسم (الزهر) والصيد بالفالة والقصب والبردي وطلاء الزوارق بالقير .+ ففي النصوص :{ النص (٣٣) الصياد، والنص(٣٤) الصياد الملاك ، والنص (٣٥) صياد برداء النور ، والنص (٣٦) الصياد الطاهر} نقرأ بوضوح أجواء اهوار جنوب العراق .+ وففي مطلع النص (٣٣) من كتاب تعاليم يحيى بن زكريا (ع) الذي يحمل عنوان الصياد ، نقرأ:

انا امهر الصيادين وافضلهم.. رئيس الموانئ انا... اعرف الاهوار حتى تلك الصغيرة منها والكائنة في الاعماق الداخلية، كما اعرف التلال واكتشف المصائد والكمائن... اطوف حول الاهوار واصل اليها وادخلها.. اعبر المستنقعات بالعبّارات والزوراق وسفينتي لا يعوقها عائق.. ارى السمك في الليالي تحت سطح المياه الطينية وانا اجتاز طريقي بعبارة ليست من حديد العوائق ،ابعدت النباتات التي تسد طريق المياه .. السمك يعاني بين السيقان ،الحربية التي بيدي مركنه مختارة ..انها عطاء الماء الطاهر ..يلمحها الصيادون، فيعتريهم الفزع[1] .

ان الصابئة المندائيين ابناء بيئة جنوب العراق هم صناع زوارق منذ القدم ،وظلوا يمارسون هذه المهنة حتى وقت قريب ،ويشهد لهم بأن الزوارق التي يصنعوها ممتازة ومتينة،ه+فألواح الاخشاب تجلب من البصرة والتي تصلها الاخشاب من طرق التجارة مع الشرق الاقصى عبر الخليج العربي ، او يتم الحصول على الاخشاب الجيدة من شمال العراق حيث الغابات الكثيفة التي يتم الاستفادة من اشجارها لهذا الغرض .

(١) "دراشة اد يهيا" مواعظ وتعاليم يحيى بن زكريا (ع) ،ترجمة عن المندائية امين فحيل حطاب ،الطبعة الاولى ،بغداد ٢٠٠١ ،ص١٠٧ الى ص١٢٠.

منسّق:الخط: غامق، خط اللغة العربية وغيرها: غامق

منسّق:الخط: غامق، خط اللغة العربية وغيرها: غامق

منسّق:الخط: غامق، خط اللغة العربية وغيرها: غامق

منسّق:الخط: غامق، خط اللغة العربية وغيرها: غامق

منسّق:الخط: غامق، خط اللغة العربية وغيرها: غامق

منسّق:الخط: غامق، خط اللغة العربية وغيرها: غامق

منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: Arabic deifilpmiS، دون مرتفع/ منخفض

منسّق:خط الفقرة الافتراضي، الخط: دون غامق، خط اللغة العربية وغيرها: deifilpmiS Arabic، دون غامق

منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: Arabic deifilpmiS، دون مرتفع/ منخفض

منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: cibarA deifilpmiS

منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: cibarA deifilpmiS

منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: cibarA deifilpmiS

ومن انواع الزوارق التي تمثل واسطة النقل الرئيسية في بيئة الاهوار والتي يصنعها النجارون المندائيون ما يلي :

١. **الطرادة** : ويبلغ طولها حوالي (٦) امتار وعرضها متر ونصف ، وتكون عادةً عريضة في الوسط وتضيق بالتدريج كلما انتقلنا الى الجانبين ، وتحمل حواليبحدود (٨) اشخاص ، وتكون سريعة السير عند الدفع بالمجاذيف او المردي

٢. **البركش** : وهو يشبه الطرادة من حيث الطول الطول ، الا انه اكثر عمقاً وعرضاً ويسير بواسطة المجاذيف والمردي والشراع او الجر بالحبال في المناطق ذات العمق القليل .

٣. **المشحوف** : وهو زورق رشيق مسلوب الشكل ، يبلغ طوله حوالي (٧) امتار ، وعرضه في وسطه (١) متر واحد وهو ذو مقدمة مرتفعة ومؤخرة مرتفعة، ويساعد شكله المسلوب في هـ هذا الشكل المسلوب من المرور في مضائق الاهوار المليئة بالقصب الكثيف ، و يدفع بالمردي او بالمجاذيف.

٤. **المخيط** : وهو زورق صغير يبلغ طوله حوالي مترين وعرضه متر واحد وارتفاعه ثلاثون سنتمتراً ، يصنضع من الخشب المنشور والمسامير ويزفت بالقير من الخارج ، ويحمل شخصاً واحداً ويستعمل للصيد .

وتطلى كل هذه الانواع من الخارج بالقار من الخارج ،والقار الذي يجلب من هيت او من القيارة في الموصل ، اذحيث يصهر في افران تصنع محلياً وتعمل بالفحم المحلي او بالنفط الاسود.

اما نجارة الاثاث ،فقد اشتغل فيها الصابئة ايضاً وكانت اهم منتجاتهم فيها هي صناديق حفظ الملابس والاشياء الثمينة . ويكاد لايخلوُ بيت في مدن الاهوار من هذه الصناديق ،اذ يعدتبر القطعة الاساسية من الاثاث ، اما الاسّرة او الكراسي او الطاولات فتعدتبر من الكماليات التي لا توجد الا في بعض بيوت اثرياء المدن في مراكز الاقضية والنواحي .

وتبرز مهارة النجار المندائي في هذه المصنوعات ايضاً ، ولاسيماوذلك في اعمال الحفر اليدوي للنقوش الهندسية والنباتية وتزيين الصناديق بالمسامير النحاسية ذات الشكل المهيب .

٣٤. الصياغة :

لقد مثلت المصوغات جزءاً مهماً من اللقى الاثرية في العراق وذلك يدل على قدم فن الصياغة في حضارة وادي الرافدين من العصر السومري مرورا بالعصرالى البابلي والكلداني، وحتى الحقبةفترة الاسلامية والحقبةفترة العثمانية المتأخرة وصولاً الى التاريخ الحديث .

وقد كان فن الصياغة على مر العهود يحتوي على مضامين دينية وأسطورية ،فمثلاً كان الصاغة البابليون والآشوريون يقومون بتزيين تماثيل الآلهة في المعابد والمقابر الملكية، وما آثار المقبرة الملكية في أور الا أنموذج حي لما وصل اليه فن الصياغة من شأن في الإبداع الفني .

ولقد ارتبطت مهنة الصياغة في العراق الحديث بأبناء طائفة الصابئة المندائيين ، فقد فكان احد الاسماء التي اطلقت على الطائفة هو (صاغة الفضة العماريين) في عشرينات القرن المنصرم عشرين.

ويرجع تاريخ مهنة الصياغة لدى طائفة الصابئة المندائيين في العراق الى بدايات القرن التاسع عشر الميلادي ،ومن الصاغة الرواد خضر بن بدران بن قاجار أل زهرون[1] والذي تعلم مبادئ الصنعة من عائلته ، الا انه قام بتطويرها .وبعد وباء الطاعون الذي اجتاح العراق عام ١٨٣١م والذي حصد ارواح الكثير من العراقيين ، منهم نسبة كبيرة من ابناء الطائفة المندائية ، انتقل خضر آل زهرون من مدينة البصرة التي كان يقيم فيها الى مدينة العمارة، وبدأ بتعليم ابن عم له اسمه عوض آل زهرون . وكان الرجلان تقيين ملتزمين دينياً حتى اطلق عليهما الناس لقب (ملا خضر) و (ملا عوض) ، وعند الاستقرار في مدينة العمارة ونتيجة لاتقانهما الصياغة ، فتحا اول محل لصائغ صابئي ، ثم قاما بتعليم اولاد عائلتهما مثل هرمز ال زهرون واولاده زهرون ورشيد هذه المهنة . ومن خلال الاحتكاك ببعض الصاغة الارمن الذين كانوا (اسطوات) في هذه الصنعة ، استطاعوا التعرف على كيفية عمل (المينا السوداء) والتي تسمى عند عموم الصاغة في العراق بـ (المحرقك) . وفقد سافر الملا خضر في اواسط القرن التاسع عشر الى مدينة(وان) في ارمينيا لتعلم هذا الفن ، وهذه المدينة ماتزال الى اليوم مدينة الاعمال الفنية المرموقة ، ولاسيماخاصة في فن الصياغة والحفر . اما المينا الملونة فقد ادخلها الصائغ هرمز بن ملا خضر بعد ان جلب له صديقه الاب انستاس ماري الكرملي فرن حراري من فرنسا في عشرينات القرن العشرين[2] .

بعد ذلك بدأ عدد الصاغة المندائيين يزداد في بغداد ، اذ شهد سوق منتجات الصياغة اقبالاً واضحاً مما ادى الى هجرة عدد كبير من العمارة والناصرية وسوق الشيوخ الى بغداد. وقد سألت اكثر من صائغ صابئي عن سبب اشتغال ابناء الطائفة في هذه المهنة ، فكانت الاجابات متقاربة اذ قالوا : ان الصاغة الذين كانوا يعملون في بغداد على الاغلب كانوا من اليهود ، وان السوق الرئيسي لهذه المهنة في القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين كان (خان الذهب)

---

[1] فؤاد ناجي ال زهرون ،تاريخ الصياغة عند الصابئة المندائيين ،مجلة افاق مندائية شباط ٢٠٠٣م ،العدد (٢٤) .

[2] موسى الخميسي ،تحية الى الفنان اسمر زهرون في ذكرى وفاته الخامسة ،مقال منشور على موقع اتحاد الجمعيات المندائية في المهجر ،٢٠٠٥/٣/٧ في حقل مبدعون مندائيون (www. mandaeanunion .org) .

(والذي يقع خلف المتحف البغدادي الحالي في بغداد قرب شارع المتنبي ، وما زالت ملكية بنايات هذا السوق الى الوقت الحالي تعود الى عوائل يهودية بغدادية) . ولم يكن الصاغة اليهود ليسمحوا بدخول المسلمين او المسيحيين الى هذه المهنة لعدة اسباب لا مجال لذكرها هنا ، وعندما جاء اوائل المهاجرين الصابئة الحرفيين المهرة ،تلّمس فيهم الصاغة اليهود روح المثابرة والامانة والابتعاد عن المشاكل والتصرف بحنكة حسب سلوك الاقليات ،وقد جمع هذا السلوك ما جمع بين الاثنين .. وعندما حدثت الهجرة الواسعة ليهود العراق بعد انشاء دولة (اسرائيل) في منتصف القرن ، حل الكثير من الصاغة المندائيين محلهم الصاغة اليهود، وقد شكلوا في هذه المرحلة فترة اغلبية واضحة في اسواق الصاغة مثل (خان الذهب) وشارع النهر . فلقد نشط ابناء الطائفة في تطوير هذه المهنة ، والبحث عن كل ما هو جديد في العالم لادخاله الى مهنتهم ، وعلى سبيل المثال لا الحصر ، قام الصائغ ناجي ال زهرون – وهو احد احفاد ملا خضر ال زهرون – بتصميم مكبس يعمل بالرجل لطبع القطع الذهبية والفضية على القوالب الحديدية المنحوتة .

وقد لاقيت اعمال الصياغة المندائية شهرة واسعة ليس في العراق فحسب ، وانما في دول المنطقة والعالم . فقد حاز اكثر من صائغ على جوائز عالمية من خلال المشاركات في المعارض العالمية في ايطاليا وفرنسا والولايات المتحدة وغيرها من الدول . ومثال ذلك الصائغ (عباس عمارة) الذي حصل على جائزة في مشاركته في عام (١٩٣٦) في معرض اقيم في (ديترويت) في الولايات المتحدة ، وكذلك الصائغ والفنان الشهير اسمر زهرون الذي درس فن النحت والحفر والصياغة في روما ، وعاد الى بلده ليطور هذا الفن وكانت له الجهوده المتميزة في ذلك .

وحري بنا ان نذكر اخيرا ، انه عندما ابتدأ الصاغة اعمالهم في قرى ومدن الجنوب في القرن التاسع عشر ، كانت مصوغاتهم تتسم بالبساطة وعدم الدقة والبدائية ، لكنهم كانوا دائمي البحث والمثابرة في لتطوير هذه المهنة الفنية ، وعلى الرغم من عُددهم البدائية البسيطة في بدايات القرن العشرين ، الا انهم اخرجوا الى العالم تحفاً حقيقية برزت فيها الرموز العراقية بجلاء ؛ مثل المسكوكات التي تحمل صور طاق كسرى وقباب الجوامع الشهيرة والنخيل والسفن الشراعية والايات والنقوش الاسلامية الهندسية ، كل ذلك جعل مهنة الصياغة تتوطد لدى ابناء الطائفة ، لتصبح صفة تاريخية تلتصق بهما على مر السنين .

منسّق:متوسط

المبحث الثالثالثاني : الواقع الاقتصادي في المدن

ان الواقع الاقتصادي لابناء طائفة الصابئة المندائيين في مدن العراق الكبرى مثل بغداد والبصرة يمثل بشكل دقيق واقع المهاجرين ، فمنذ سقوط السيطرة العثمانية على العراق ودخول البلد تحت السيطرة الانجليزية ،بدأ حراك اجتماعي يدفع بابناء مدن الجنوب بشكل عام وابناء الطائفة بشكل خاص الى المدن الكبرى وما تمثله من وعود بحياة افضل وعلى الاخص اقتصادياً .

وكان لهذه الهجرة مقدمات او عوامل دفعت ابناء الطائفة الى المدن ؛ و في مقدمتها دخول اطفال الصابئة الى المدارس الحديثة سعياً للحصول على الوظيفة الحكومية التي كانت تمثل مكانة اجتماعية مرموقة . ان عدد المدارس القليل والمحدود في نواحي واقضية مدن العمارة والناصرية دفع الطلبة الصابئة للذهاب الى مراكز المدن لاكمال الدراسة الثانوية ، وقد كان التوجه او الرغبة الاكثر وضوحاً تتجه نحو مهنة التدريس الابتدائي او الثانوي . وعندما سألت عن السبب من بعض ابناء الطائفة كانت الاجابة محيرة بالنسبة لي ،اذ قالوا ان المعلم او المدرس يتمتع بالمكانة الاجتماعية اولاً ، وثانيا ان اجازة عنده فترة الصيف التي تمتد الى ثلاث اشهر تساعده على العودة فيها الى اهله او مهنته (الاصلية) = مثل الصياغة . وماحيرني في الامر انه طالما اصبح الشخص معلما او مدرسا وذا مكانة اجتماعية مرموقة فما الذي يجعله يصر على الاحتفاظ بمهنته الاصلية =؟!

وفي مرحلةفترة مبكرة من عشرينات القرن الماضيعشرين تخرج الاستاذ (غضبان الرومي) واصبح معلماً ، وعاد الى مدينته سوق الشيوخ معلماً وتربوياً متميزاً . وكذلك الحال بالنسبة للنساء – رغم رغم الفارق بالتأكيد ، اذ لم يكن عدد البنات الداخلات الى التعليم كثيرات – ففي عقد العشرينات تخرجت (باشة عبد الله) كأول مندائية تدخل سلك الوظيفة في حقل التعليم .

لقد كانت المهن الحرفية هي الشائعة بين ابناء الصابئة ، وعند انتقالهم الى بغداد لم يتعبوا كثيراً في البحث عن عمل ،اذ ان الرواد من المهاجرين من اقاربهم كانوا يسعون لترتيب اوضاع الآتين الجدد ،وكان الذي يصل منهم يجد اوضاعه مرتبة مسبقاً اقاربهم وعند الاتصال بهم ودعوتهم للمجئ الى بغداد تكون أوضاعهم مرتبة ولو بشكل اولي .

وعندما وصل المهاجرين الى بغداد اشتغلوا في حرفهم او حرف قريبة منها ،و ادخلوا اولادهم وبناتهم بكثافة في المدارس الحديثة املاً في حصولهم على وظيفة حكومية ، مما ولد جيلاً من ابناء الصابئة العاملين في قطاعات الدولة المختلفة في عقدي الستينات والسبعينات من القرن العشرين .

ان هذا التوجه نحو الدراسة الحديثة والوظيفة ادى بالتدريج الى انفتاح الطائفة على المجتمع وخروجهم من تقوقعهم في مدن الجنوب .ولكنه وفي نفس الوقت نفسه ادى هذا التغير الى ابتعاد الشباب من ابناء الطائفة عن الالتزام الديني ، اذحيث حلقوا شعورهم ولحاهم ولبسوا الملابس الغربية ، ولم يعودوا يأبهونا بالمتطلبات التي يفرضها الدين عليهم ، وقد كانواهم في سلوكهم هذا ذلك جزءا من المجتمع العراقي الذي كان يشهد فورة عارمة من الحركات السياسية والاجتماعية ذات الطابع العلماني على الاغلب والتي ادت الى انحسار التاثيرات الدينية بشكل عام ، بل وفي النظر من خلال منظار هذه الحركات السياسية الى الدين – بشكل عام – بأعتباره فلكلوراً متخلفاً او بدائياً .وكان قلق الهيئة الكهنوتية المندائية في هذه المرحلة كبيراً على الدين الذي شهد تناقصاً حاداً في عدد الشيوخ ،أضف الى ذلك ،وعدم رغبة الشباب في الدخول الى المؤسسة الكهنوتية.

وكان عقد الثمانينات من القرن العشرين منقطعاً عن مسار الزمن التاريخي بالنسبة للعراقيين الغارقين في هموم حرب ضروس تطحن كل تفاصيل ايامهم ، اذ شلت الحرب الدائرة بين العراق وايران كل تفاصيل الحياة واصبح شعار (كل شئ من اجل المعركة) لافتة معلقة على عقد من عمر العراقيين عموماً ، والمندائيين خصوصاً ، فبألاضافة الى تجنيد شباب الطائفة في الجيش المتمترس على الحدود للقتال ، تعرضت مدن الطائفة الاصلية في جنوب العراق الى دمار الحرب ،لانها مثلت الساحات الخلفية لخطوط القتال ، مما دفع بوجبة مهاجرين كبيرة نحو بغداد من هذه المدن –العمارة والناصرية والبصرة – لتصبح بغداد في هذا العقد وبعده مركز الثقل السكاني للطائفة في العراق ، مع وجود اعداد قليلة من المندائيين في المدن الاخرى.

وتجدر الاشارة هنا الى ان عقد السبعينات من القرن العشرين شهد ارتفاعاً واضحاً في مستوى دخل الفرد العراقي ، ولاسيماعلى الاخص بعد تأميم شركات النفط العالمية العاملة في العراق .وقد انعكس ذلك الارتفاع على قدرة الفرد العراقي على شراء الكماليات ، مما ادى الى ازدهار الاسواق التجارية ومنها مهنة الصياغة ، وقد انتج ذلك حالة من تمسك ابناء الطائفة بمهنة ابائهم واجدادهم ، اذ اصبح بالامكان ملاحظة الفرد المندائي موظفاً او طالباً ولكنه يمتلك الخبرة والمعرفة في مهنة الصياغة التي مثلت خطوط انسحاب امنة يلجأ اليها المندائي في حالات تعرضه لازمات حياتية اقتصادية .وهذا ما حصل في عقد التسعينات الذي طُبع بطابع الازمة الاقتصادية الخانقة نتيجة العقوبات التي فرضت على العراق ، فوفي هذه المرحلةفترة شهد البلد اقصى حالات التضخم المالي وانهيار العملة ، صاحبه تدني دخل الموظف الحكومي الى اوطأ المستويات .

وفي هذه المرحلة يمكننا ان نلاحظ عند الدخول الى أي محل من محلات الصاغة الصابئيينة ،ان الصائغ لم يعد ذلك الحرفي الامي الذي تعلم المهنة عن والده ، بل نجده –

الصائغ – وقد اكمل دراسته الجامعية في مختلف الاختصاصات مثل التربية او الهندسة او الاداب او المعاهد الفنية ، ثم ترك الوظيفة الحكومية ورجع الى مهنة الصياغة –التي كما اشرنا – مثلت ملجأ امناً ينسحب لها المندائي في الازمات .

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو : لكن هل اثر ذلك على اقبال المندائيين على الدراسة في المدارس الحديثة بحيث لم يعودوا يرسلوا اولادهم الى المدارس ؟ ويأتينا الجواب : كلا ، لان الدراسة بقيت تتمتع بلها مكانتها الاجتماعية المتميزة ، ونستطيع ان نأخذ كمؤشرا على ذلك عدد الرسائل واطاريح الدراسات العليا التي قام بها طلبة مندائيون في مختلف الاختصاصات ، وهي بالعشرات ، وهذا دليل على بقاء الاهتمام الكبير بالدراسة لدى ابناء الطائفة .

كما وكذلك ارتبط بالوضع الاقتصادي لابناء الطائفة موضوع اخر ، يتمثل في وهو تعرض الصاغة الصابئة (في المرحلة التي اعقبت سقوط النظام التي اتسمت بفقدان الامن) الى الكثير من عمليات الابتزاز والخطف والسرقة المسلحة ، مما دفع بالكثيرين منهم الى الهجرة الى المهاجر ، فمن المعروف ان (رأس المال جبان) وصاحب مهنة مثل الصياغة لايستطيع العمل الا في اجواء آمنة يستطيع معها ان يعرض بضاعته في معرض المحل وهو مطمئن . والصابئة المندائيون بما هو معروف عنهم من مسالمة ، وبعددهم القليل كانوا عرضه لكل هذه التهديدات . اذ لجأ الاخرون الى البنى الاجتماعية التقليدية –مثل العشائر– لحمايتهم من اخطار تهديدات فقدان الامن ،وهذا مالم يستطيع المندائيون القيام به ، اذ كما عرفنا في مباحث سابقة انهم كانوا يلجأون الى طلب الحماية من العشائر القوية التي يعيشون بالقرب منها ، ولكنهم ومع التغيرات التي حصلت في المجتمع اعتمدوا على سطوة القانون وهيبة الدولة ،فلما فقدت هذه العوامل بعد سقوط النظام لاحظنا لجوء قيادات الطائفة الى من تستطيع ان تفتح حواراً معهم من مراكز قوة جديدة في المجتمع مثل الاحزاب والحركات السياسية والمرجعيات الدينية والقيادات العشائرية[1] ، في محاولة منها لشرح اوضاع ابناء الطائفة وما يتعرضون له من اعتداءات ومظالم ، تنسب في كثير من الاحيان الى نفر ضال من ابناء المجتمع .

عندما ندرس النسق الاقتصادي للطائفة نلاحظ ان هناك تراتباً اجتماعياً (Social Stratification) ، فالملكية تمثل احد المعايير المهمة في تحديد المكانة الاجتماعية (Social Status)،ولكنها بالتأكيد ليست المعيار الوحيد .

ان المكانة الاقتصادية المرتفعة ، وبالتالي المكانة الاجتماعية المهمة ، تمنح الفرد فرصة اكبر في العمل المجتمعي في مجالس الطائفة ولاسيما خصوصاً مجلس عموم الطائفة

[1] عند الاطلاع على اعداد مجلة افاق مندائية (الدورية المركزية للطائفة) التي صدرت بعد سقوط النظام ،نقرأ نشاطات مجالس الطائفة وهي تشير بوضوح الى ما اشرنا اليه .

ومجلس الشؤون العام . فرؤساء العوائل المندائية التي تُمثل في هذه المجالس تخضع بالتأكيد لحسابات المكانة الاجتماعية والوجاهة (Prestige) ، وقد اشرنا سابقاً الى ان هذه المجالس لاتمنح اعضاءئها ارباحاً مادية وانما تمنحهم او تزيد من مكانتهم الاجتماعية ، وبالتالي فأن هناك علاقة تفاعلية دائرية . فالمكانة الاجتماعية تسهل الدخول لهذه المجالس ، والمجالس تزيد من المكانة الاجتماعية وهكذا.

ان اغلب اعمال مجالس الطائفة تعتمد بشكل اساسي على الاعمال التطوعية وعلى التبرعات ، مما يزيد من فعالية ذوي المكانة الاقتصادية المرتفعة فيها .. وكذلك يجب التأكيد على اهمية المشاريع التكافلية بين المستويات المختلفة للتراتب الاقتصادي والاجتماعي في الطائفة -. واوضح مثال على ذلك انشاء (الجمعية المندائية الخيرية) ، ومقرها في معبد الطائفة المركزي في بغداد ،اذ يعدتبر من اهم نشاطاتها دعم العوائل المتعففة من ابناء الطائفة بطريقة مؤسساتية ومنهجية ، ولا تؤدي الى المساس بكرامة المستفيد من مساعدات هذه الجمعية ،و وتبتعد ان خطط عملها تبتعدعن الاستعراضية والعشوائية التي قد تحدث في حالات النشاط الفردي .

ان عمل ابناء الطائفة الدؤوب ومثابرتهم ، ناهيك عن وتكوينهم الديني والثقافي والاجتماعي الذي يحث على العمل ويمجد النشاط ويرفض الكسل والاتكال ،كل ذلك جعلهم ابناء الطائفةيرتبون حياتهم في احلك الظروف التي مروا ويمرون بها بطريقة انسانية لائقة .

الفصل التاسع
التغير الاجتماعي

المبحث الاول: البيئات الجديدة والتأقلم

المبحث الثاني: الواقع الجديد لبناء القوة والقيادة الاجتماعية والروحية

١.الشيخ الجديد

٢.التغير في المعبد

٣.تأثير التعليم والثقافة على التغير الاجتماعي

المبحث الثالث: تغير موقع المرأة

المبحث الرابع: تغير موقف الطائفة في الانفتاح على المجتمع

منسّق:متوسط

الفصل التاسع
التغير الاجتماعي

ان أية حالة من التغير الاجتماعي لابد وان تكون نتاج اقتران خاص وربما فريد لظروف كثيرة متنوعة. ومن ذلك فان تفسير التغير الاجتماعي عمل تحف به صعوبات كبيرة لان العوامل المتفاعلة مع بعضها تنتمي لانساق مختلفة تشكل بدورها البناء الاجتماعي.

وقد عولجت هذه المشكلة الاساسية والواضحة بطريقتين ، ولكن كان هناك بعض المآخذ عليها. فقد بسّط بعض الباحثين المسألة بافتراض ان كل العوامل المتفاعلة في موقف ما يمكن معالجتها على انها قوى يمكن قياسها كمياً ، ومن ثم ردها الى صور قابلة للمعالجة الاحصائية او الرياضية . وقد كان هذا الراي متاثراً بالمغالاة العلمية التي تدفع بالعلوم الاجتماعية نحو العلوم الصرفة . اما الطريقة الثانية فقد بسطت المشكلة باعتبار ان احد العوامل هو المحدد الاساسي او (المتغير الاساسي) ، بينما تبوب العوامل الاخرى ضمن ما اطلق عليه (المتغير التابع). وهذه الطريقة ايضاً عانت من الكثير من الصعوبات بسبب المقاربة التجريبية التي انتجتها العلوم المختبرية في العلوم الاجتماعية[1].

ان خطر افتراض امكانية استخدام طرق العلوم الصرفة ينشأ من حقيقة ان المشكلة في حد ذاتها تختلف من ناحية مهمة عن المشكلات التي تتناولها العلوم الصرفة ، فنحن لا نستطيع اجراء تجربة على الحالات الاجتماعية مثلما يقوم باحث البايولوجيا بتجاربه على الفئران او ذباب الفاكهة !.

وكذلك فأننا كأنثربولوجيين لا نقتنع بجمع بسيط لتاثير العوامل الداخلة في التفاعل وباي حسابات لمعاملات الارتباط ، اذ ان الطرق الكمية لا تعطي سوى نتائج كمية ، فنحن هنا لا نتعامل مع وحدات متشابهة لقوى متجانسة تتحد معاً لتنتج كلاً، والخدمة التي تؤديها الطرق الاحصائية في دراسة السببية الاجتماعية هي انها تمهد الطريق وتكشف بدقة اكثر طبيعة العوامل الداخلة في التفاعل ، اضف بالاضافة الى ذلك انها تعزل رموزاً كمية لكل جوانب الموقف ، وتبين درجة ارتباطها او عدم ارتباطها بنتائج التغير. ولكن هذه الرموز الكمية ليست سوى دلائل على تفاعل لا تفسره، فهي ليست العوامل الديناميكية التي نفتش عنها.

---

[1] ر.م. ماكيفر &شارلز بيدج، المجتمع، ترجمة د. سمير نعيم احمد، الجزء الثالث مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة – نيويورك، ١٩٧١،ص١٠٨٩ وما بعدها.

ان وراء كل علاقة اجتماعية اتجاهات ومصالح اجتماعية ، وهي ليست قوى يمكن الفصل بينها، ولكنها مراحل ديناميكية متداخلة، وحتى ننتقل من العلاقات الاجتماعية ذاتها ونتناول مجرد نتاجها الملموس ، فاننا نظل خارج المنطقة التي يمكن فيها تحديد الاسهام الكمي للعوامل ~~المترابطة~~المترابطة . فعلى سبيل المثال: ان الارض والعمل ورأس المال والتنظيم كلها ضرورية لانتاج المنتج (س) ولكن ما هي نسبة كل من هذه العوامل ؟ ان سؤالاً كهذا لا يبقى غير قابل للاجابة فحسب ، ولكنه يظل ايضاً عديم المعنى.

فاذا كان وجود عدد من العوامل معاً ضرورياً لانتاج نتيجة ما ، فلا يمكن أجراء أي تقدير كمي للإسهام النسبي لكل منها[1].

واذا كان ذلك صحيحاً بالنسبة للمنتجات المادية ويمكن اخضاعه بطريقة تقريبية للقياس، فان الامر اكبر بالنسبة للتفاعلات الاكثر تعقيداً، حيث تكون الاستجابات متنوعة للظروف المركبة التي تحدد كل موقف اجتماعي.

[1] ر.م. ماكيفر &شارلز بيدج، المجتمع، ترجمة د. سمير نعيم احمد، الجزء الثالث مصدر سابق، ص١٠٩٢.

المبحث الاول: البيئة الجديدة والتأ قلم

عاش المندائيون مئات السنين في مدن وقصبات الجنوب على ضفاف الانهار وحافات الاهوار الواسعة والتي تمثل سمة من سمات اراضي دلتا دجلة والفرات . لقد عاشوا في تلك المناطق الوفيرة المياه لما تمثله من اهمية طقوسية للدين المندائي ، وهو دين تعميدي حيث يمثل الارتماس في الماء الجاري احد اهم طقوسه ، كما ان البيئة الطبيعية بما تحويه من غابات لاالقصب والبردي ، ومن وفرة غذائية نباتية وحيوانية وفرت ملجأً مثالياً لطائفة غنوصية تعرضت للاضطهاد من مخالفيها في عدة حقب من تاريخ تواجدها في ارض الرافدين ، اذ نرى المندائيين يتوغلون في عمق الاهوار اثر كل مذبحة يتعرضون لها طلباً للامان وفراراً من الاضطهاد ، وبقوا على هذه الحال حتى منتصف القرن العشرين تقريباً.

ومع تاسيس الدولة العراقية الحديثة بعد الحرب العالمية الاولى، انتشر نمط الحياة الغربية ودخل الكثير من مظاهر الحداثة الى حياة العراقيين العراقيين ، ومنها المدارس الحديثة ووسائط النقل ، وتوسعت المدن وصارت هناك حاجة للايدي العاملة الماهرة في العاصمة ، مما شكل حافزاً قوياً للهجرة من الارياف الى العاصمة وبعض المدن الكبيرة مثل البصرة، وكان ابناء الصابئة جزءاً من هذه الهجرة لما توفره المدن الكبرى من فرص اقتصادية جيدة ، وما تمثله حياة المدن الكبيرة من انفتاح تجاه الأقليات الدينية ، اذ ان حيث نمط حياة المدينة اكثر انفتاحاً من المجتمعات التقليدية المغلقة بوما تسببه الاخيرة من عزل اجتماعي لطائفة دينية تم التعامل مع افرادها على انهم غير طاهرين دينياً (انجاس).

لقد كان امتهان ابناء الطائفة للحرف اليدوية مثل الحدادة والنجارة والصياغة عاملاً مهماً في توفر فرص عمل مناسبة لهم في العاصمة مما جعلهم يفضلون العيش فيها.

ويمكن ان نعتبر التغير في مناطق السكن سبباً ونتيجة في ان واحد ، ويعود السبب في ذلك الى عوامل لعدة عواملتفاعلت وانتجت تغيرات واضحة في البناء الاجتماعي لطائفة الصابئة المندائيين.

ان اقبال ابناء الطائفة على الحياة العصرية من وظائف حكومية ، وادخال ابنائهم الى المدارس الحديثة والبحث عن فرص عمل افضل ، كانت كلها اسباباً نتيجتها تغير مناطق السكن، وهذا التغير في مناطق السكن كان سبباً اساسياً في انفتاح ابناء الطائفة على مجتمع المدينة والسعي الدؤوب لاثبات الذات في المجتمع الجديد.

ان التغير الحاصل في نمط الحياة من حياة ريفية بسيطة ومنغلقة الى حياة المدينية المنفتحة ، انتج تغيرات في بناء القوة ومراكز القيادة في الطائفة .، فبينما كان رجال الدين وبعض الوجوه العشائرية يمثلون القيادات التقليدية في مجتمع الريف ، نجد ان قيادات علمانية تتبنى مفاهيم ايديولوجية حديثة برزت في المدينة وخاضت صراعاتً مخفيةً تارة وظاهرةً تارة

اخرى ضد مراكز القوة التقليدية ، وهو امر طبيعي وعادة ما يحدث مع عمليات التغير الاجتماعي والثقافي في المجتمعات.

كذلك حدثت تغيرات في بنية العائلة ، اذحيث بدأت بالتحول من نمط العائلة الممتدة الملائم لظروف الحياة والعمل في الريف ، الى نمط العائلة النووية الاكثر ملاءئمة لحياة المدينة ذات الايقاع السريع والميل نحو العلاقات الرسمية وانحسار دائرة القربى في علاقات العائلة المباشرة ، وهذا ادى الى تغير مهم في مكانة المرأة في المجتمع المدروس، حيثاذ دخلت المدارس الحديثة والوظائف العامة واصبحت مشاركة في قرارات العائلة وتحديد مستقبلها نسبياً.

ان نمط حياة العاصمة بغداد في منتصف القرن العشرين المليء بالحركات الاجتماعية والتيارات السياسية الايديولوجية ، جذب شباب الطائفة وابعدهم عن التمركز حول بؤرة الهوية الدينية التي كانت ترصفهم في بناء اجتماعي تقليدي اكثر تماسكاً في مناطقهم الاصلية، مما اثار مخاوف الكثيرين من ابناء الطائفة ذوي التفكير التقليدي من هذا الابتعاد عن الدور الذي يلعبه الدين في حياتهم ة الطائفة، وقد وقف في مقدمة من استنكر هذا السلوك رجال الدين.

كذلك نستطيع ان نشير الى تغير ثقافي حتى في مجال اللغة اليومية المستعملة ، فبينما كان الصابئة في مدنهم الاصلية يتكلمون فيما بينهم لهجة ارامية مشتقه من المندائية مع كلمات عربية وفارسية تسمى (الرطنة) ، تحول ابناؤئهم في المدن الى التحدث باللهجة العراقية العربية المحكية في بغداد او البصرة، وقد مثل هذا التغير ابتعاداً عن اللغة المندائية ، حتى انهم التي لم يعودوا يفهمونها وتحولت الى لغة الطقوس الدينية التي لا يفقهون منها سوى كلمات محدودة .، وقد مثّل ذلك احد اسباب القطيعية المعرفية والاحساس بالاغتراب لدى المندائي تجاه ثقافته الاصلية ، بل وحتى الشعور بالذنب لدى مثقفي الطائفة الذين حاولوا الكتابة في تاريخ الطائفة وتعريف الاخر بماهية الدين المندائي ، في محاولة منهم للانفتاح على المجتمع وتقديم معرفةمساعدة المجتمع في عملية فهم صحيحة خالية من الأكاذيب وسوء الفهم الذي شاع في كتابات الاخرين عن الطائفة دون معرفة حقيقية[1].

ولم يكن التغير في مناطق السكن مجرد انتقالة جغرافية ، اذ شهد الصابئة المندائيون في العقود الماضية حراكاً اجتماعياً ملحوظاً، فلقد اتجه اغلب شبابهم نحو التحصيل العلمي الحديث، واجتذبتهم المهن الحديثة ، وانصرفوا عن ممارسة حرفهم البدائية السابقة ، ولكنهم –مع هذا – وطوروا الصياغة التي احتفظوا بها وجعلوا منها صناعة عصرية. ومع هذا التحول الاجتماعي قل اهتمامهم بممارسة طقوسهم الدينية الخاصة ، ولم يعودوا يتقيدون بالكثير من المحرمات الدينية التي نشأوا عليها من قبل ، مماالى الحد الذي اوجد ازمة حقيقية بالنسبة لبقائهم كمجموعة

[1] عزيز سباهي، اصول الصابئة (المندائيين) ومعتقداتهم الدينية، مصدر سابق،ص١١.

دينيـة ذات سـمات ومعتقـدات خاصـة. وقـد دفـع هـذا ببعضـهم الـى التفكيـر بتكييـف مفـاهيمهم وطقوسهم الدينية لتساير الحياة العصرية الراهنة، وهكذا، فان هذه المجموعة الصغيرة من الناس حاولت تمزيق غلاف العزلة الذي ظلوا قابعين فيها ~~يعزلها~~ عبر القرون في محاولة للدخول في عصر الحداثة رغم كل ما يكتنفها ~~فيه~~ من تهديدات قد تمس وجودهم كاقلية دينية.

المبحث الثاني: الواقع الجديد لبناء القوة والقيادة الاجتماعية والروحية

ان القيادة الاجتماعية هي توصيف يطلق على من يمتلك القدرة على التحكم في البيئة الاجتماعية والسيطرة على مَن بها من اشخاص والتأثير على ما يجري فيها من احداث وما يتخذ بشأنها من قرارات والتغلب على المقاومة ان وجدت .بينما يشير مصطلح (بناء قوة) (power Structure) الى مجموعة علاقات اجتماعية ثابتة نسبياً، وانماطاً من التفاعل قائمة فيما له علاقة بالقوة ، وهذا بالتأكيد مفهوم تجريدي للمصطلح فيه بعض الغموض، لذلك تبنت هذه الدراسة تعريفاً اجرائياً لذلك المفهوم المفهوم ، اذ نعني به ذلك الشكل الذي يضم اولئك المؤثرين الذين يتولون ضبط البيئة الاجتماعية والسيطرة على مَنا بها من اشخاص والتاثير على ما يجري بها من احداث وما يتخذ فيها من قرارات ، وكذلك طبيعة العلاقات الاجتماعية وانماط التفاعل التي تربط بينهم وبين غيرهم من فئات المجتمع الاخرى.

ويوضح التراث النظري المرتبط بموضوع القيادات الاجتماعية وبناء القوة في المجتمع اتفاق الدارسين والمحللين –رغم اختلاف منطلقاتهم الفلسفية– على مبدأ التوزيع غير المتساوي للقوة داخل المجتمع، كما هو الحال بالنسبة لتوزيع الثروة والسلطة في المجتمع. غير انهم – المحللون – يختلفون في تحديدهم لمصادر هذه القوة والكيان الذي يتخذه توزيعها في المجتمع[1].

فقد ذهب بعض الباحثين الى ان ابنية القوة في المجتمع ما هي الا تعبير عن المكانة الاجتماعية في المجتمع وما يرتبط بها من سلطة وهيبة وقدرة على التاثير او النفوذ، بينما يرى فريق اخر ضرورة ارجاع مصادر القوة الاجتماعية الى محدداتها ، وذلك لان المكانة والسلطة والهيبة ما هي الا مؤشرات لاوضاع اجتماعية قائمة في المجتمع ، ومن ثم يقتضي الوقوف على المصادر الحقيقية للقوة في المجتمع من خلال دراسة وتحليل الواقع الاجتماعي القائم وما يسوده من اوضاع اقتصادية وظروف اجتماعية تحدد اشكال ممارسة القوة.

كذلك نجد نجد ان ثمة خلافاً بين الباحثين في تحديد عناصر القوة الاجتماعية، اذ نجد بعضهم يربط ممارسة القوة بالفاعلين الافراد على اعتبار ان لكل منهم قدراً معيناً من القوة تعبر عن مدى السلطة التي ترتبط بالمكانة التي يشغلها وما يحاط بها من هيبة و نفوذ او مدى التأييد والثقة التي تمنحها له الجماهير. اما الاتجاه الاخر من الباحثين فانهم يرون في ذلك اختزالاً للواقع الاجتماعي الى واقع فردي، ولا يرون أي اهمية في البحث عن قوة الفاعلين كافراد ، وانما كونباعتبارهم ممثلين لفئات اجتماعية معينة ويعبرون عن مصالح واهتمامات طبقة قائمة ، لذلك

---

[1] محمد الجوهري وعلياء شكري، علم الاجتماع الريفي والحضري، دار المعارف، الطبعة الاولى، القاهرة١٩٨٠، ص١٦٧ وما بعدها.

فهم يربطون ممارسة القوة الاجتماعية بالطبقات او الفئات الاجتماعية القائمة كونباعتبارها الوحدات الاساسية في المجتمع[1].

كما ان بعض الدراسات ساوت او خلطت بين مفهومي القيادة و القوة، اذ نجد بعضها يسعى لتحديد الخصائص العامة للقيادة في المواقف المختلفة.

وعلى الرغم من ان كل قوة تمثل بالضرورة قيادة – سواء بطريقة مباشرة امو غير مباشرة – الا ان العكس ليس صحيحاً، وذلك لان هناك قيادات على الرغم من احتلالها لمواقع السلطة والقدرة على التأثير،الا انها في الواقع تخضع لتأثير وظغوط قوى اخرى تمارس تأثيرها و نفوذها على هذه القيادات ، ويجب ان لا نغفل في تحليلنا لتوازن القوى القائم في مجتمع الدراسة البعد البياني لذلك المجتمع كونهباعتباره وحدة في مجتمع اكبر، يتاثر بما يجري فيه من احداث وما يتخذ فيه من قرارات تؤثر بلا شك على اوضاع ومكانة حائزي القوة على المستوى المحلي.

لذا فان التغيرات السياسية والاجتماعية والثقافية التي حدثت في المجتمع العراقي لابد وان تنعكس على مجتمعات الاقليات ومنها المجتمع قيد الدرس (طائفة الصابئة المندائيين)، وهذا ما اشرنا اليه وما سنفصله في المباحث القادمة التي سندرس فيها ظواهر التغير الاجتماعي.

١.٤. الشيخ الجديد:

عندما نطّلع على التاريخ الحديث لطائفة الصابئة المندائيين ، نلاحظ عدم وجود هرم اكليروسي مؤسساتي، بمعنى عدم وجود مؤسسة دينية ذات تدرج صارم وذات سلطات تمارس من خلال هذا التدرج، وانما هناك تدرج ديني محكوم بقواعد طقسية صارمية، وان المحك الرئيسي للتدرج الديني هو الاعلمية الدينية، وكما اشرنا في مبحث سابق (مبحث الهيئة الكهنوتية) ،الى فأن سلك الكهنوت مفتوح امام أي مندائي تتوفر فيه الشروط الجسدية والوراثية، الا ان الغالب على هذا الامر هو انحصار الكهنوت في عوائل الشيوخ، اذحيث يربى الطفل على الالتزام الديني ، فويجري تدريبه في البيت على المناسك والطقوس منذ صغره، حتى اذا ماوصل الىالبلوغ يتم تكريسه كرجل دين مندائي.

ويطلق على رجل الدين المندائي "ناصورائني" ، وهيتعني العارف او المتبحر في العلم اللدني ، لانها مشتقة من "ناصروثا" التي تعني علوم الحقيقة الكامنة والمعروفة اللامتناهية

[1] الى محمد الجوهري وعلياء شكري، علم الاجتماع الريفي والحضري ، مصدر سابقنفسه، ص١٦٩.

وكلمات الحق والصدق الأسمى التي جلبت من كنز عوالم النور الازلية واعطيت للنفس التي دخلت الجسد الفاني عند اتمام خلقه[1].

وبهذا المعنى يكون الشيخ المندائي اكثر ميلاً الى حياة الزهد والعبادة ، وان طريقة عيشه محكومة بقوانين صارمة فيما يتعلق بالمأكل والمشرب ، فالشيخ ممنوع من تناول أي طعام او شراب اذا لم يعده بنفسه ويتأكد من طهارته، ومن غير المسموح لرجل الدين تناول المسكرات او تدخين السكائر، كما ان حياته العائلية محكومة بالكثير من الشروط الدينية التي لها علاقة بالطهارة والنجاسة.

لقد مثل رجال الدين المندائي قيادات اجتماعية لابناء طائفتهم على مدى مئات السنين، بل ونستطيع ان نستشف ان رجال الدين كانوا في الماضي السحيق يمثلون رجال حكم او امارة ، لان رجل الدين يقال له "ملكة بر ملكة" أي الملك ابن الملك، كما تمثل الـ"تاغة" (التاج) رمزاً لتاج النور كونباعتباره ملكاً على شعب المؤمنين. ولكن في الواقع الحياتي نجد ان العلاقة بين رجل الدين والعامة مختلفة ، فالشيخ ذو مكانة اجتماعية وهيبة وله دور قيادي، ولكن هذه القيادة متاتية من الاحترام، أي التزام افراد الطائفة بها طوعاً ، وان قرارات رجال الدين لا تملك قوة التنفيذ ، اي انهم لايملكون الاو ليس لهم سلطات التنفيذية التي تدعم قراراتهم على ابناء الطائفة، وانما تأتي قوة قراراتهم تاتي من احترامهم ومن هيبتهم ومن مكانتهم الاجتماعية .. ففي المرحلة التقليدية من حياة الطائفة قبل الهجرة الكبيرة من المدن الجنوبية الى العاصمة ، كان لرجال الدين سلطات او قيادة اجتماعية لابناء طائفتهم اكثر وضوحاً ، وقد كان يشاركهم القيادة كمركز قوة في المجتمع القيادات التقليدية من وجوه الطائفة او مختاري محلات الصابئة في المدن والقصبات الجنوبية، وهذه الشريحة حائزة على المكانة و الهيبة لاسباب اقتصادية وعائلية، فهم ذو مكانة اقتصادية مرتفعة، وهم ممثلون او رؤوس لعوائلهم.

وقد كان الشيخ في تلك المرحلة، ابن بيئته وزمنه، فتعليمهم العام كان محدوداً اذحيث كان الاهتمام منصباً على التعليم الديني وعلى الاخص الجانب الطقوسي من الدين، فقلما كان يوجد رجل دين متبحر في الفلسفة الدينية، وعند وجود هكذا شيخ من هذا النوع فانه يشكلون حالة ملفتة وكاريزما في الطائفة ، كما هو حال الشيخ كنزبرا دخيل الشيخ عيدان الذي ترأس الطائفة على مدى اكثر من (٣٠) عاماً في مرحلة الانتقال والتغير الحرجة.

ان علاقة رجل الدين بابناء طائفته هي علاقة تكافلية، فاغلب رجال الدين سابقاً كانوا يتفرغون لممارسة الطقوس الدينية لابناء الطائفة، وهذا لا يعني وجوب ذلك على رجل الدين، اذ

---

[1] رمزية عبد الله فندي، الناصروثا علوم الفلسفة المندائية، مقال منشور على موقع اتحاد الجمعيات المندائية في المهجر بتاريخ ٢٠٠٥/٣/٧ www.mndaeanunion.org .

ان من حقه مزاولة الاعمال ، ولكن يجب ان تكون اعمالاً لاتقلل من هيبته ومكانته الاجتماعية .، ولما كان رجل الدين في كثير من الاحوال يعتمد اقتصادياً على ابناء الطائفة الذين يمنحونه الاجور مقابل اجراء الطقوس، فان العلاقة التفاعلية بين الشيخ والرجل العامي تكون متعددة الوجوه وذات خصوصية، فالشيخ يمنح العامي كل اجور دينه الطقسية والتبريكية، أي يمنحه (الاخرة) ، وبالمقابل يمنح العامي الشيخ ما يعتاش به مادياً أي يمنحه (الدنيا).

وقد كان هناك ما يسمى (داره) بيت فلان. حيث يكون الاب رجل دين بدرجة "كنزابفرة" وابناؤه –اثنان او ثلاثة منهم – شيوخ بدرجة "ترميذه" ، وبذلك تكون هذه (الدارة) جاهزة لتنفيذ أي طقس خصوصاً ان مساكنهم كانت مطلة على الانهار ، وبذلك تكون –هذه الدارة – تكون (منظمة) مكتفية ذاتياً وتستطيع تنفيذ أي اجراء طقسي من تعميد الى زواج الى وفاة الى واجبات طقسية او ذباحة، وهي في نفس الوقت نفسه مؤسسة اقتصادية واحدة مداخليها توزع على العائلة المكونة من الاب والاولاد الشيوخ.

ولكنان التغير الكبير الذي حصل نتيجة الهجرة الى بغداد والبصرة، ودخول ابناء الطائفة في معترك الحياة الحديثة من مدارس ووظائف ووسائط اتصال ، كل ذلك اثر على دور ومكانة رجال الدين بل وعددهم .، اذحيث عانت الطائفة في النصف الثاني من القرن العشرين من قلة عدد رجال الدين و ابتعاد شباب الطائفة عن الالتزام الديني ودخولهم المعترك السياسي– وعلى الاخص اليساري– بما يرسمه من يوتوبيا لحقوق الانسان والعدالة الاجتماعية واحترام الاقليات.

ومنذ انتقال الشيخ " كنزابرة ا" دخيل الشيخ عيدان من الناصرية الى بغداد في عام ١٩٥٩، بدأت مرحلة جديدة من علاقة رجال الدين بالطائفة، ورغم وجود بعض رجال الدين في بغداد منذ الاربعينات مثل الشيخ عبد الله الشيخ سام ، الا ان انتقال الشيخ دخيل وهو رئيس الطائفة وبناء معبد "مندي" في منطقة الدورة قرب دار سكنه ، يعأُعتبرد نقلاً لرئاسة الطائفة الى بغداد وايذاناً بعهد جديد اصبحت فيه العاصمة هي مركز التواجد الرئيسي لابناء الطائفة.

بقي حال الطائفة على ما هو عليه منذ مئات السنين أي بدون مؤسسات او واجهات مدنية تمثلهم وذلك لزهدهم في هذه المسألة ،فكانتحيث تقتصر طلباتهم على هامش حرية بسيط للحياة وممارسة الطقوس . وقد سمعت من بعض المطلعين من ابناء الطائفة ان الصائغ عنيسي الفياض قد حصل على عضوية البرلمان العراقي في العهد الملكي – وقد كان صائغ العائلة المالكة – وكان يسعى لان يكون صوت الطائفة في البرلمان، الا ان الشيخ دخيل الشيخ عيدان منعه من ذلك ، ورفض انضمامه للبرلمان لاسباب غير معلنةه ، اعتقد ان جزءاً منها يعود للتنافس الذي حصل في المرحلةفترة الانتقالية بين رجال الدين والعلمانيين على مراكز القوة في الطائفة.

لذا فان انتقال رئاسة الطائفة الى بغداد وفتح "مندي" يعد مركزاً رئيسياً للطائفة فيها بغداد في عقدفترة الستينات ، انتج تنافساً على القيادة الاجتماعية ومراكز القوة في الطائفة . وبعد وفاة جيل الشيوخ الكبار مثل الشيخ دخيلعيدان والشيخ عبد الله الشيخ سام ، آلتصارت رئاسة الطائفة للشيخ عبد الله الشيخ نجم الذي كان يرعى شؤون الطائفة في محافظة البصرة ، هو ووالده الشيخ نجم الشيخ زهرون . وقد كان لهذا الشيخ بعض الاراء التجديدية في الطائفة في محاولة لمواشجة الطقس المندائي الموروث مع متطلبات الحياة العصرية ، مما افرز تطويراً وتغييراً طفيفاً على الطقس بحيث لم يمس الجوهر الديني للطقوس ، ومثال على ذلك السماح باستخدام ماء الاسالة في الوضوء "الرشامة" واستخدام الحوض في التعميد، والسماح بالتعميد الجماعي في مواسم الاعياد... الخ.

في بداية عقد السبعينات دفع التفكير بابناء الطائفة الى تشكيل اول هيئة تمثلهم بشكل رسمي ، وكانت قيادتها تضم رجال دين ومدنيين اطلق عليها اسم (هيئة التولية) ، وكان مركزها بغداد واستمرت بالعمل تحت رئاسة رئيس الطائفة – الشيخ عبد الله الشيخ سام انذاك– .. وتولد شعور لدى المدنيين من ابناء الطائفة بانهم بحاجة الى مؤسسة اجتماعية تمثلهم وتكون فاعلة اكثر من (هيئة التولية) ذات التوجه الديني، فتم تاسيس نادي اجتماعي للطائفة سنة ١٩٧٣م تحت اسم (نادي التعارف) كانت ادارته ومنهاجه وامسياته وندواته تدار بشكل كامل من العلمانيين ، وحتى ان توجهاتهم السياسية اليسارية كانت واضحة في نشاطات النادي في عقد السبعينات.

وحدث تغير اوضح في هيكلية الطائفة وفي دور رجال الدين في بداية عقد الثمانينات، ففي عام (١٩٨١) تم تأسيس (المجلس الروحاني الاعلى لطائفة الصابئة المندائيين) ليكون مسؤولاً عن ادراة شؤون الطائفة في العراق والعالم ويمثل السلطات الدينية والدنيوية .. واللافت ان رئيس المجلس الروحاني هو رئيس الطائفة (الشيخ عبد الله الشيخ نجم) يعاونه (٢٢) عضواً كلهم تقريباً من خارج سلك الكهنوت ، مما يشير الى الدور المتنامي للعلمانيين في ادارة الطائفة مع بقاء السلطة العليا لرجال الدين .. واستمر الحال حتى النصف الثاني من عقد التسعينات، اذ حدثت ازمة بين رئاسة الطائفة والعلمانيين ، مما دفع بـ (الشيخ عبد الله الشيخ نجم) الى ترك رئاسة الطائفة وترك العراق والهجرة الى بريطانيا، وقد تم في هذه الفترة السعي لفصل السلطات الدينية عن السلطات الاجتماعية، حيث فتم الاتفاق على كتابة نظامٍ داخليٍ للطائفة اجيز من قبل وزارة الاوقاف عام ١٩٩٦[١]، وتم على اساسه تشكيل ثلاثة مجالس هي : مجلس العموم وهو

[١] حكمت سليم، كيف بنى المندائيون جمعياتهم، مقال منشور في موقع (بحزاني) صحيفة يومية الكترونية تعنى بالاقليات، ٢٠٠٥/٣/٢، www.bahzani.org .

بمثابة برلمان للطائفة ، ومجلس الشؤون وهو المسؤول عن تسيير شؤون الطائفة ، والمجلس الروحاني المسؤول عن الجانب الديني من حياة الطائفة.

اما مايخص رجل الدين المندائي فقد طرأت تغيرات واضحة عليه ؛ان تغيرات واضحة طرأت على رجل الدين المندائي، فهو لم فهو لم يعد ذلك الشيخ محدود التعليم والذي لا يفقه من امور الحياة الا الجانب الديني ،بل ان معظم رجال الدين المندائيين اليوم انهوا دراساتهم في المدارس الحديثة ، وقسم منهم اتم دراسته الجامعية في الكليات والمعاهد كما هو حال رئيس الطائفة الحالي الشيخ "كنزبفرة" ستار جبار حلو والشيخ الدكتور خلدون ماجد ، كما ان النظام الداخلي الجديد ،حدد وجوب حصول المرشح لرئاسة الطائفة على الشهادة الاعدادية ، كما ان التغير المهم هو عملية الانتخاب الديمقراطي لرئيس الطائفة ،اذ يرشح عدد من رجال الدين انفسهم للمنصب ممن يعتقدون بأنهم اهل لذلك، وان دورة رئاسة الطائفة هي اربع سنوات قابلة للتجديد حسب النظام الداخلي .

ومن مظاهر التغير بالنسبة للشيخ الجديد الجديد : المظهر الخارجي ،فليس لرجل الدين المندائي ملابس مدنية تميزه (وهذا لايشمل الملابس الدينية "الرسته") ، اذ كان يرتدي الشيوخ في المرحلة التقليدية يرتدون الملابس العربية ، وهي القميص مع والثوب الرجالي المفتوح (الصاية) والعباءة الرجالية والكوفية والعقال المشابه للمستعمل في جنوب العراق ، اما اليوم فأنهم يرتدون جلباباً (جبة) مشابهاً لجلباب رجل الدين المسلم مع عمامة بيضاء مكونة من كوفية يلفها على راسه بعد ان يلم شعره الطويل (لان حلاقة الشعر واللحية من المحرمات في الدين المندائي) . وقد رأيت احد رجال الدين وهو الشيخ سلوان القادم من السويد في زيارة الى بغداد وهو يرتدي الملابس الحديثة (القميص والبنطال والبلوفر) مع قلنسوة صوفية على رأسه. .

ما زالت طائفة الصابئة المندائيين تعاني من نقص في رجال الدين ، وذلك للصعوبات التي تكتنفة حياة من يسلك المسلك الكهنوتي ، اذ لايزيدون عدد رجال الدين في العراق اليوم لايزيد عن عشر، واحد فقط بدرجة "كنزبفرة" ، والاخرون بدرجة "ترميذة" . وهذا يعني ان نسبة ما يقارب (٢٠٠٠) مندائي- يطلب خدمات دينية- لكل شيخ ، وهي نسبة تبين النقص الشديد في عدد رجال الدين.

٣

٣. التغير في المعبد :

ان يعد المعبد المندائي ربما يعد الأبسط بين معابد الديانات الاخرى ،وهو نموذج للبساطة المعمارية وصورة حقيقية للارتباط بالطبيعة .

وربما اعتقد من يمر بمنطقة القادسية ببغداد في الشارع المحاذي لمعبد الطائفة المندائية ان ذلك البناء هو معبد الطائفة ،وهو اعتقاد مجانب للحقيقة.

فالمعبد هو " بيمندا " او بيت مندا ، وقد يطلق عليه " مشكنه" ، وهو بناء مكون من غرفة صغيرة جداً في الباحة الخلفية المطلة على النهر من هذا المجمع .

ان اصل التسمية هي "مشكنه" أي المسكن او "بيمندا " بيت المعرفة، اذ ان معنىحيث " "مندا" " هوي التعليم او العقيدة[1] . ويبدو تأثير النسق الايكولوجي واضحاً في بناء المعبد المندائي ،فالمواد المستخدمة في بنائه هي حزم القصب الذي يملط بالطين ،وهو بحجم غرفة صغيرة مساحتهابحجم (٢م×١,٥م) تقريباًليس فيه بلا فتحات او نوافذ ، وانما له فتحه واحدة تستخدم كباب عرضها حوالي (٦٠سم) ، و يكون الداخل يكون فيها بمواجهة الشمال ،وهناك حوض صغير كونكريتي يقع جنوب الغرفة ،ه فيه ماء جارٍ حيث يسحب الماء من مصادر معينة مثل النهر القريب ويخرج من الحوضفرة عائداً الى النهر او الى السقي ، فالمهم هو ان يكون الماء جارياً، وتربط بين كوخ العبادة والحوض قنوات رفيعة صغيرة تمتد من الجدار الى الارض الى الحوض تسمى "ميسري" ، وظيفتها تحديد المنطقة الطاهرة والتي يجب ان لايدخلها أي شئ مدنس . ولاتقام داخل هذه الغرفة أي طقوس دينية سوى طقوس تعميد المندي "مصبتا اد مندا" اذحيث تجرى هذه الطقوس في اليوم الاخير من الايام الخمسة لعيد الخليقة لتخليصه – المندي – مما علق به من نجاسات خلال مرور عام وهي طقوس غسل وقراءات يقوم بها "كنزيفرةا" يساعده شيخان بدرجة "ترميذةا" وشاهدان "شكندا" ، وكذلك يتم فيها تعميد نسخة من "الكنزا ربا" الكتاب المقدس تكون محفورة على الواح من الرصاص ،. ويتم فيها تقديم قربان عبارة عن كبش ،لان اناث الاغنام محرمة على الفرد المندائي ،وهي طقوس طويلة تستغرق يوماً كاملاً تقريباً .

ويتكون ان المعبد التقليدي مكون من ساحة محاطة بسياج قصبي او طيني ، وليس لهذا السياج وظيفة دينية وانما وظيفته حجب الطقوس عن العيون الفضولية . يحوي هذا السياج على الساحة وغرفة العبادة "مندا" وحوض التطهير المربوط بقناتين لتحريك الماء .وان اغلب الطقوس تجري في ساحة المعبد ،مثل اجراء طقوس الزواج او تكريس كاهن او اقامة وجبات طقسية لارواح الموتى "مسخثا".

كان المندائيون في المرحلةفترة التقليدية عندما كانوا في مدن وقصبات الجنوب يسكنون في محلات مطلة على النهر عادة ،وتحوي هذه المحلاتة على بيوت رجال الدين ويكون المعبد

---

[1] خالد كامل عودة والشيخ خلف عبد ربه لفته ،القاموس المندائي ،دار انهر ،بغداد ٢٠٠٤ ص١٤٤

[2] خالد كامل عودة والشيخ خلف عبد ربه لفته ،القاموس المندائي ،دار انهر ،بغداد ٢٠٠٤ ص١٤٤

قريبا من بيت الشيخ ، وكانت مجالس سمرهم او تجمعاتهم تتم في بيوتهم على طريقة (الديوان) الموجود في الجنوب(انظر ملحق الصور) ، اذحيث يهيئ (حوش) المنزل ويفرش بالحصران ويتم استقبال الضيوف وتقديم الشاي او القهوة في هذه الجلسات . وعند انتقال اغلب ابناء الطائفة الى بغداد والبصرة وهي مدن عصرية اصبحوا بحاجة الى اماكن تجمعهم وتقام فيها الواجبات الاجتماعية ، مثل مجالس العزاء فاصبح المكان المناسب لذلك هو المعبد ،حيث يحتوي مجمع معبد الطائفة في بغداد اليوم على قاعة كبيرة تقام فيها مجالس العزاء ، وابنية للهيئات الادارية ولمركز البحوث والدراسات المندائية ، ومقر مجلة افاق مندائية ومكتبة عامة لابناء الطائفة ، وبالتأكيد مقر رئاسة الطائفة ، ناهيك عنبالاضافة الى حوض كبير عصري مغلف بالسيراميك لاقامة طقوس التعميد والذي –الحوض – يعتبر تغيراً كبيراً في الطقوس .

وعندما استفسرت من ابناء الطائفة العارفين بالموضوع حول الحوض، ابلغوني ان الفكرة ولدت في معبد الطائفة في البصرة في السبعينات ، حيث كان المعبد يقع على نهر العشار وقد كان نهراً جارياً ومناسباً لاجراء الطقوس ، ولكن نتيجة الاهمال وعدم الكري تحول ماء النهر الى ماء اسن لايمكن اجراء الطقوس فيه ، مما دفع بالشريحة الارستقراطية من الطائفة في البصرة الى الطلب من الشيخ "كنزابفرة"ا عبد الله الشيخ نجم الموافقة على اقامة حوض للتعميد وجرت الامور وتم بناء الحوض ، الا ان رئاسة الطائفة في تلك المرحلةفترة كانت للشيخ عبدالله الشيخ سام ، وهو من النمط التقليدي من رجال الدين مما حدا به الى رفض هذه (البدعة) جملة وتفصيلاً واعتبر الطقوس التي تجرى فيها باطلة .

وعند تولي الشيخ عبد الله الشيخ نجم رئاسة الطائفة في بداية عقد الثمانينات وانتقاله الى بغداد ،وكذلك الانتقال من المعبد القديم في منطقة الدورة – لانه واقع ضمن اراضي محطة كهرباء الدورة – الى المعبد الحالي في منطقة القادسية ،طلب المندائيون من الشيخ عبد الله اقامة حوض للتعميد لمجموعة اسباب منها ؛ عدم ارتياحهم لتعميد نسائهم في النهر وتعرضهم لعيون الفضوليين ، ناهيك عنبالاضافة الى ما يمثله الحوض من تحديث في التعامل مع الطقوس ،وبما ان الرجل قد حسم الامر مسبقاً في معبد البصرة لذا فقد تمت الموافقة على اقامة الحوض في معبد بغداد .

ويعد المعبد اليوم يعتبر المعبد في القادسية اليوم صغير الحجم فضلا عنبالاضافة الى جفاف فرع نهر الخريجلة الذي يطل عليه هذا المعبد ، مما دفع بابناء الطائفة الى اقامة شعائرهم في ساحة مطلة على النهر تحت جسر الجادرية في منطقة القادسية ايضاً ،وهي قطعة ارض مؤجرة من الدولة لاقامة الشعائر المندائية فيها ، ولاسيماخصوصاً في الاعياد مثل عيد الخليقة "بروانايا"، كما ان هناك قطعة ارض مناسبة جداً من حيث الموقع والحجم منحت للطائفة في

منطقة العطيفية ،الا ان امكانيات الطائفة المحدودة مازالت تحول دون بناء معبد جديد مناسب للطائفة عليها حتى الان .

٣٣. تأثير التعليم والثقافة على التغير الاجتماعي :

لقد لعبت المدارس الحديثة دوراً مهماً في عمليات التغير الاجتماعي الذي حدث في الطائفة ، وتجدر الاشارة بادئ ذي بدء الى ان للدين المندائي موقفاً ايجابياً من طلب العلم والتعلم ، ولا يفرض على معتنقيه انغلاقاً بهذا الاتجاه كما هو حال بعض الطوائف الدينية التي تخاف على التزام ابنائها الديني من التعليم الحديث ، كما هو الحال لدى الشبك واليزيدية في العراق . لذا كان ابناء الطائفة سباقين في ادخال اطفالهم الى المدارس الحديثة وحثهم على التعلم والحصول على شهادة تؤهلهم للتوظف ، بما يمثله ذلك من مكانة ودور اجتماعي وهيبة في داخل وخارج الطائفة ،كما ان نسقهم الاقتصادي المتمثل في امتهان الحرف اليدوية الصناعية البسيطة مثل الحدادة والنجارة والصياغة كان يشكل دافعاً مهماً اخراً لاتجاه التعلم من اجل لتطوير عُددهم وطرق انتاجهم والارتقاء بواقعهم الاقتصادي والاجتماعي ،وقد ذكرنا اشخاصاً في مبحث النسق الاقتصادي سافروا في منتصف القرن التاسع عشر ، رغم ماكان وبما يمثله السفر من مشقه ومعاناة في تلك الايام ، الى ارمينيا للتعلم وتطوير فن صياغة المينا السوداء .

لكن الامر بالتأكيد لم يكن بهذه السلاسة ، فقد نشب صراع بين التقليد والحداثة وهو امر بات من المسلمات في تناول موضوع التغير الاجتماعي ،الا ان الخطوات السائرة بأتجاه الحداثة كانت اكثر ثباتاً واوسع انتشاراً بين ابناء الطائفة الشباب ، وكان وجهها المعبر هو انخراط هؤلاء الشباب في المدارس والجامعات الحديثة ، وهذا ما يقاود بالتأكيد الى الانفتاح على الثقافة العصرية مما ولد اخطاراً حقيقية على الطائفة في عقود منتصف القرن العشرين .

وربما كانت نظرة الطوائف الدينية الاكثر تشدداً في تعلم ابنائها في المدارس الحديثة تعرف حقيقة الصراع الذي سيتولد جراء ذلك فتمنعه من البداية . وقد نال هذا الموضوع نال الكثير من الدرس والبحث في الادبيات الاجتماعية ،ونعني تأثير الحداثة والمعاصرة و نمط الحياة في المدن الكبرى على النسق الديني من جانب المعتقدات وتغيرها من النظرة الماورائية المؤمنة الى النظرة المادية ذات التوجه العلمي، ومن جانب اخر فأن ايقاع الحياة السريع في المدينة لايترك وقتاً للمؤمن للتأمل واجراء الطقوس التي توصله الى مرحلة من الاستقرار والراحة الداخلية . ان القلق الذي يطبع حياة المدن الكبرى ينسحب على كل تفاصيل حياة الانسان التي يعيشها،ويكون الامر اكثر وطأه على المهاجر الذي تجابهه التحديات المتمثلة في اثبات وجوده وتحسين وضعه الاقتصادي والاجتماعي، كما وان دخول ابناء الطائفة الى المدارس والكليات الحديثة جر الكثير منهم الى الدخول للمعترك السياسي الذي كانت تياراته تمور في الجامعات في منتصف القرن ،وقد اكل تيار الالتزام الايديولوجي السياسي الكثير من ضفة الالتزام الديني، مما خلق تهديداً حقيقياً لوجود الطائفة كأقلية دينية صغيرة . بيد انولكن هذه الفورة ونتيجة لعدة اسباب ، ما لبثت ان هدأت وتحول تفكير ابناء الطائفة – في العقدين الاخيرين من القرن

العشرين – الى نحو البحث عن هوية معاصرة للطائفة تبلور كينونتها الثقافية المؤطرة بأيطار ديني، وهي المرحلة فترة التي اطلقنات عليها (مرحلة اكتشاف الذات) ، واليوم ، نرى تمسك الكثير من شباب الطائفة المثقف والدارس في الكليات الحديثة بالطقس الديني ، بل وهناك محاولات جادة نحو مواشجة العصري بالتراثي من مفاهيم وطقوس والتزامات دينية ،وقد لعب مشروع احياء اللغة المندائية من جهة ومشروع ترجمة الادب الديني المندائي الى اللغة العربية من جهة اخرى اخرى ، دوراً مهماً هاماً في هذا الامر وهذا ما سنأتي على ذكره تفصيلاً في مبحث انفتاح الطائفة .

المبحث الثالث : تغير موقع المرأة

يعدتبر وضع المرأة من المواضيع المهمة التي تؤشّر المؤشرات المهمة في دراسة التغير الاجتماعي ، وذلك لان المرأة تمثل قطاعاً مهماً من المجتمع وقع عليه الكثير من الظلم والحيف ، وان إعطاء المرأآة حقوقها الاجتماعية والتعليمية والاقتصادية والسياسية يعد بمثابة مؤشر حقيقي على التغيرات التي تحدث في المجتمع .

ان وضع المرأآة وحقوقها الشرعية في الدين المندائي تعدتبر جيدة مقارنة ببقية الأديان، فهي مكّرمة حتى في ميثولوجيا الخلق الاول ، اذ خُلقت من نفس الطينةه التي خُلق منها الرجل، ومن ثم تزوج اولاد الرجل الارضي الاول " (ادم ") من بنات ادم المثالي "ادم كسيا"،وهن كائنات مثالية خلقن في ارض العهد "مشوني كشطه" .

اما ان تعدد الزوجات من الناحية الدينية فهو غير مسموح به ، ولكن تم التجاوز على هذا المنع . ولا وجود لقوانين شرعية تنظم المواريث ، لذا يلجأ المندائيون الى القوانين الوضعية في حل هذا الموضوع ، ولكنهم غير مقتنعين في حالات قسمة المواريث بأن يأخذ الذكر ضعف ما تأخذه الأنثى بحسب الشرع الإسلامي ، وهذا امر شائك بالنسبة لهم ولم يحل حتىلحد الان.

اما من الناحية الاجتماعية ، فأن واقع المرأة المندائية يمثل جزءاً من واقع المرأة العراقية مع بعض الخصوصية . ففي المرحلةفترة التقليدية من حياة الطائفة كانت المرأة المندائية تعيش في كنف سلطة ابوية فيها صلاحيات الرجال تكاد تكون مطلقة في كل ما يخص حياة المرأة ومستقبلها وزواجها ، وبعد زواجها تنتقل الى بيت الزوجية حيث السلطة الابوية للزوج ومن بعده للابناء الذكور ، بيد ان ولكنالفرق الذي كان بين المرأة المندائية ومجاوراتها من نساء هو ان الاولىها لم تكن عاملة في قطاع الزراعة او الرعي كما هو الحال في العشائر العربية، لان النسق الاقتصادي للطائفة كان مختلفاً وقد امتهن فيه الرجال مهناً حرفية لا مجال فيها لعمل المرأة ، وبذلك فقد كانيكون نطاق عملها محصوراً في المنزل وادارته وتدبير الامور اليومية فيه من اعتناء بالاطفال الى الطبخ والتنظيف والاهتمام بالحيوانات في المنزل مثل الدواجن او بعض الاغنام او الابقار الموجودة للاستعمال في البيت ، وربما قدتمارست بعض النساء في البيوت بعض اعمال الخياطة او الحياكة او التطريز ، ولكن الغاية منها كانت لسد حاجة البيت وليس الكسب المادي ،مع وجود بوادر تعليم بسيطة عند العوائل الثرية التي كانت تسعى لتعليم بناتها على وفق الطريقة التقليدية (في الكتاتيب او الملة) مبادئ القراءة والكتابة .

بيد انلكن التغيرات التي طرأت على الطائفة كانت مبكرة نسبياً في الجانبالقطاع المتعلق بالمرأة اذ حيث ادخل المندائيون بناتهم الى المدارس الحديثة في وقت مبكر مقارنة بمجاوريهم الذين كانوا شديدي الرفض لهذا الامر ، وقد تخرجت معلمات مندائيات في وقت مبكر في عقد

العشرينات والثلاثينات ومارسن مهنة التعليم في المدارس الحكومية ، مثل السيدة (باشة عبد الله) والتي تعد اول امرأة مندائية تدخل سلك الوظيفة الحكومية في التعليم .

وبدأ التغير الواضح في واقع المرأة المندائية مع الهجرة الكثيفة لابناء الطائفة من مواطنهما الأصلية في مدن الجنوب إلى بغداد والبصرة ،إذ اصبح دخول الفتيات إلى المدارس الحديثة والجامعات أمراً مفروغاً منه ،ودخلت المرأة بعد تخرجها معترك الحياة العملية وأصبحت الكثيرات من النساء المندائيات يعملن في مجال الطب والهندسة والتعليم ..الخ ، وكذلك كن قد اقتحمن مجال العمل السياسي ، اذحيث انتمين اعداد منهن النساء المندائيات الى الأحزاب السياسية والمنظمات الطلابية التي كانت تعمل في الوسط الطلابي في منتصف القرن العشرين ،ومن الشخصيات النسائية المندائية النسائية اللائيواتي برزن في هذه المرحلةفترة الشاعرة العراقية المبدعة لميعةه عباس عمارة ، والاستاذه الباحثة والكاتبة ناجية غافل مراني ، والاستاذه الدكتورة والسياسية اليسارية ليلى غضبان رومي وغيرهن .

ولكن يبقى وضع المرأة المندائية في المجتمع العراقي واقعاً تحت تأثير الكثير من الضغوط ، اولها ان هذه الطائفة الصغيرة تعرضت – بوصفها كجزءاً من الشعب العراقي – الى ويلات الحروب والحصار الاقتصادي الذي انتج خللاً ديموغرافيا ً ، فيه عدد النساء يتفوق عدد الرجال بوضوح بما يمثله ذلك من صعوبة فرص الزواج وقلتها، وبالتالي ازدياد حالات العنوسة . كما ان تحديات نمط العيش في المدن يدفع بأتجاه تأخير سن الزواج لحين وصول الرجل الى قدرات اقتصادية تؤهله للدخول في مؤسسة الزواج ، ناهيك عن كما ان هجرة العديد من شباب الطائفة في عقد التسعينات نتيجة الضغوط الاقتصادية ، كل ذلك ادى الى تفاقم وتنوعاردياد انماط من المشاكل التي تواجه المرأة المندائية ، وقد تمثل ذلك في تناقص فرص الزواج ، وتأخر سن الزواج ، ناهيك عن وتعرض المهاجرين وابنائهم وبناتهم الى ضغوط ثقافية تهدد هويتهم الدينية والوطنية والقومية.

يبقيج ان نشير الى موضوع اخر يتعلق بالمرأة المندائية ، وقد اصبح جزءاً من تراث هذه الطائفة : وهو التمسك الشديد بـ(عذرية الفتاة) او ما يسمى "البهارة" ، وما تتعرض له الفتاة من فحص قبل عقد قرانها .، اذ يعدتبره البعض اليوم امراً طبيعياً نتيجة تقبل هذا الامر واعتباره من المسائل المفروغ منها في المجتمع العراقي ككل ، بينما يراه البعض الاخر انتقاصاً من حقوق المرأة بالتأكد منها بهذه الطريقة .،

كذلك يعدتبر البعض من ابناء الطائفة ان هناك تفريقاً بين الرجل والمرأة في موضوع (المندائي/او المندائية) المتزوج من خارج الطائفة ، اذ يسمح للرجل المندائي ان يعود للديانة المندائية اذا انتهى هذا الزواج بالطلاق او الترمل بعد ان يخضع لعملية تعميد جديدة ،= شرط عدم ختانه =، اما المرأة المندائية فلا يسمح لها بالرجوع الى الديانةه بعد انتهاء هذا الزواج.

وعندما سألت افراداً من ابناء الطائفة عن الامر قالوا : ان الامر بات الان مسموحاً به للرجل و المرأة ، بينما قال البعض الاخر ان الخوف من رجوع المراة الى الدين يتركز في احتمالية زواجها من مندائي وان فترزق منه بأطفال ، وان هناك احتمال وارد لدخول هؤولاء الاطفال – عند بلوغهم –افراد الى سلك الكهنوت وما سينتجه ذلك من مشاكل ، الا اني لم اقتنع بهذا التفسير لان المندائيين يهتمون بتسجيل ولاداتهم وان من يدخل السلك الكهنوتي يجب ان لايكون ابناً لثيب اصلاً الى ثلاثة وقيل سبعة اجداد من اجداده وهو امر معروف جداً لدى المندائيين .

وكذلك فأن من مقاييس التغير الذي حصل في موقع المرأة لدى الطائفة المندائية، انخفاض نسبة الامية بين الاناث الى اوطأ معدلاتها مقارنة بغيرهم ،وهذا يمثل فرصاً مستقبلية جدية للمرأة في الاستقلال الاقتصادي وتحقيق ذاتها من خلال الدراسة والعمل وبناء كينونتها كأنسانة اولاً وكأمراة في البيت ثانياً .

ومن الجدير بالذكر ان الحجاب مفروض على المرأة المندائية طقسياً ،اذ لايجوز ان تكون مكشوفة الرأس او الذراعين في اثناء اداء الطقوس، وان ملابسها الدينية "الرستة" مصممة بحيث تؤدي هذا الغرض . ولكنها في الحياة اليومية عادة ما تكون المرأة المندائية سافرة ،وقد تعرضت النساء المندائيات نتيجة ذلك في الاونة الاخيرة – بعد سقوط النظام على وجه الدقة – و مع بروز تيارات راديكالية تكفيرية – الى الكثير من المضايقات بسبب سفورهن ، مما دفعهن الى ارتداء الحجاب على الطريقة الاسلامية في حياتهن اليومية دفعاً لتلك الضغوط ، وقد رأيت بعض النساء المندائيات يرتدين الحجاب ،واعتقد ان المسألة ذات طابع اجتماعي اكثر مما هو ديني كما كان حال امهاتهن او جداتهن اللواتي كن يرتدين الملابس التقليدية (الشيلة او الفوطة والعباءة) لاسباب اجتماعية وتأثراً بالمحيط الاجتماعي الذي يتعيشن فيه وسطه الطائفة.

المبحث الرابع : تغير موقف الطائفة في الانفتاح على المجتمع

تعـدتبر طائفــة الصــابئة المنــدائيين آلخــر الطوائــف الغنوصــية (Gnosticism) ، والغنوصية هي احد المذاهب العرفانية القائلة بأن العلم او المعرفة العليا التي يتلقاها الانسان من خالقه تكون عن طريق الوحي او الالهام او الكشف (Revelation) ، وان كلمة "مندا" المندائية تناظر كلمة (Gnosis) الاغريقية بمفهومها الديني والروحي ، اذ انها تعني المعرفة او العلم الرباني الذي يحرر نفس الانسان في اثناء حياته[1] . ووالعرفانية هي فكرة دينية تمتد جذورها الى الحضارات القديمة في وادي الرافدين ووادي النيل ، كما ذلك وظهرت في الفلسفات الفارسية والاغريقية والرومانية ، ومن اقوى تيارتها الفلسفية المتأخرة (الافلاطونية الحديثة)، التي ظهرت على يد الفيلسوف افلوطين في مدينة الاسكندرية ، والتي تماهت بعد ذلك مع بعض التيارات المسيحية في القرن الميلادي الاول والثاني ، ومن ابرز دعاتها في هذه المرحلةفترة (سيمون) الذي عاش في القرن الاول للميلاد ، و(فالنتينو) وهو فيلسوف لاهوتي عاش في روما في القرن الثاني للميلاد ، وقد تعرضت الغنوصية الى حملات شرسة من رجال الكنيسة الاوائل الذين حاربوها بضراوة واتهموا معتنقيها بالكفر والهرطقة حتى قضوا على اكثر التيارات الغنوصية فيفي العالم. [2]

لقد مثل الاتجاه العرفاني الغنوصي القشرة السميكة التي احاطت بالديانة المندائية وحمتها على مدى مئات السنين من الانقراض ، ولكن وفي الوقت ذاته ، حجب هذا الغلاف السميك الطائفة عن محيطها ومنع تعرف الاخرين على الديانة المندائية بشكل منصف وحقيقي، مما انتج حقباًفترات طويلةً من الاضطهاد تعرضت لها الطائفة بسبب الاتهامات الجاهلة التي تتهم بها ، وعلى رأسها عدم التوحيد او الاشراك او عبادة الكواكب والنجوم او تأليه الملائكة كما مر ذكره سابقاً في هذه الرسالة .

وقد كان لسان حال الطائفة تجاه هذه الاتهامات كلمة "سوفا" المندائية التي تلخص سلوك الطائفة تجاه الاخر وتعني (لاعليك) او (اهمل الامر) او (تغاضى عن الامر) ، لان ما يهم المندائي البسيط ، هو الامان المصاحب لهامش حرية بسيط يستطيع ان يعيش حياته البسيطة في ظله حياته البسيطة ويمارس طقوسهة الدينية ، وهم كطائفة مسالمة ومجدة في العمل ومفيدة لمحيطها الاجتماعي ولاتهدد مجاوريها ، كانوا يتمتعون بذلك الهامش .

---

[1] ناجيه مراني ،مفاهيم صابئية مندائية ،مصدر سابق ،ص١٠٤

[2] The new encevy clopaedia Britannica ,mc ,vol: p.p. 214 -219 اعتمادا على اشارة ناجية مراني ،مفاهيم صابئية مندائية

اعتمادا على اشارة ناجية مراني ،مفاهيم صابئية مندائية -،مصدرسابق ،ص١٠٥.

منسّق:اليسار لليمين

منسّق:خط اللغة العربية وغيرها: Arabic deifilpmiS، (العربية وغيرها) العربية (المملكة العربية السعودية)

لقد بقي حال الطائفة على ما هو عليه حتى مطلع القرن العشرين ، وبعد نهاية الحرب العالمية الاولى ظهرت اولى بوادر انفتاح الطائفة في ظل الاحتلال البريطاني للعراق وزوال الحكم العثماني ، وقد تمثل ذلك في تحديد القيادة العسكرية البريطانية في العراق لرؤوساء الطوائف الدينية وما نتج من مراسلات بين الحكام السياسيين البريطانيين والشيخ دخيل الشيخ عيدان الذي كان يرأس الطائفة ، (هناكوقد تمت الاشارة الى تلك الرسائل في مكان سابق من الرسالة)، وصدرت الكتب العربية التي تناولت حياة الصابئة المندائيين في الحقبةفترة ما بين الحربين مثل كتاب (مندائي) لعبد الحميد عبادة في عام ١٩٢٧ ، وكتاب (الصابئة في حاضرهم وماضيهم) لعبد الرزاق الحسني عام ١٩٣١ ، وكانت لقاءات الكتاب بشيوخ الطائفة احد المصادر المهمة للمعلومات عن الطائفة ،ولكن رُغم هذه اللقاءات، فأن هذه الكتابات جاءت مليئة بالاخطاء .

ومع الهجرة الكبيرة التي قام بها ابناء الطائفة من مدنهم في جنوب العراق بأتجاه البصرة وبغداد بدأت البوادر الحقيقية لانفتاح الطائفة ، وقد كان هذا الانفتاح نتيجة جهود المدنيين من ابناء الطائفة ، لان رجال الدين وحتى المنفتحين منهم كانوا قلقين حيال هذا الانفتاح ، لان هذا الامر كان – بأعتقادهم – يهدد كينونة هذه الطائفة الصغيرة المتمحورة حول هوية دينية تمثل خصوصيتها المميزة لها .

ومع ازدياد مركز قوة العلمانيين في الطائفة ازداد انفتاحها الطائفة، غير ان هذا الانفتاح لاقى عدداً من العقبات اهمها جهل هؤلاء العلمانيين باللغة المندائية ، مما جعلهم قليلي الخبرة بالادب الديني المندائي الغزير ، وقد لجأ بعض مثقفي الطائفة في عقدي السبعينات والثمانيات من القرن السابق الى الدراسات والكتب الاجنبية للاطلاع على ادبهم الديني وعلى البحوث والدراسات التي كتبها المختصون الالمان والانكليز في الشأن المندائي ، وقام بعضهم بترجمة هذه الكتب ، كما هو الحال مع كتاب الليدي دراوور (صابئة ايران والعراق) ، الذي قام بترجمته غضبان رومي ونعيم بدوي . كما قام بعضهم بتأليف الكتب عن الطائفة لانهم شعروا بأنهم اقدر على تقديم صورة عن طائفتهم من الاخرين ،وانتجوا كتباً مهمة في مجال التعريف بالطائفة مثل عبد الفتاح الزهيري وناجية مراني وغضبان رومي . ولم يكن للطائفة في تلك المرحلةفترة دوريات خاصة بها ، لذا لجأ هؤلاء الكتاب الى الدوريات الموجودة في الساحة الثقافية العراقية يكتبون فيها دراساتهم عن الطائفة ، مثل الجرائد اليومية (الجمهورية ، طريق الشعب ،التآخي ...الخ) بالاضافة الى المجلات مثل ومجلة التراث الشعبي ومجلة افاق عربية وغيرها. .

وبعد تبلور الهوية الدينية العصرية للطائفة على يد الناشطين من ابنائها وعبر تشكيل المجالس التي تديرها ، تم عقد المؤتمر الاول للطائفة في بداية عقد التسعينات وتم التخطيط لاصدار دورية خاصة بالطائفة ، وفعلاً تم التحرك على الموضوع واستحصال الموافقات لاصدار

مجلة افاق مندائية عام ١٩٩٢ ، وقد كانت نشرة دورية داخلية بسيطة تم العمل على تطويرها بعد ذلك حتى اصبحت اليوم دورية ممتازة في اخراجها وطباعتها ورصانتها العلمية. .

كذلك تم تأسيس مركز البحوث والدراسات المندائية ، وكانت من اهم واجباته العمل على انفتاح الطائفة وتعريف الاخر بها بشكل حقيقي من خلال الدوريات والترجمات والندوات .

وفي عقد التسعينات ومع الهجرة الملحوظة لابناء الطائفة الى المهاجر نتيجة الضغوط الاقتصادية ، تكونت جاليات مندائية كبيرة في تلك المهاجر ،ما لبثت ان نظمت نفسها في جمعيات واندية كان دافعها الاساس هو الحفاظ على الهوية الثقافية والدينية لابناء الطائفة في المهجر ، ونشطت هذه الجمعيات في الوسط الاوربي والامريكي في مجال انفتاح الطائفة على العالم ، واصدر ابناء الجاليات مجلات ودوريات وانشأوا اكثر من ست مواقع على الانترنيت واكثر من اذاعة .

بعد ذلك جاءت مرحلة تنظيم الجهود عبر اتحادات دولية مثل اتحاد الجمعيات المندائية في المهجر والذي يعد موقعه على الانترنت من اهم المواقع المشغولة بالتعريف بالمندائية بشكل حقيقي دون تشويهات ، فضلا عن بالاضافة الى موقع (العالم المندائي) (Mandaean World) في الولايات المتحدة ،والموقع الرسمي لرئاسة الطائفة في بغداد (مندائي).

لقد كان هناك خطين متفاعلين يصبان متفاعلين في بلورة اهتمام ابناء الطائفة بتراثهم من ناحية وبانفتاحهم على الاخر من ناحية الاخرى .

وقد تمثل الخط الاول تمثل في ترجمة الادب الديني المندائي ، اذ حيث قامت لجنة مختصة بأصدار الكتب المقدسة المهمة باللغة العربية مثل "كنزاربا" الكتاب المقدس للطائفة و"دراشة اد يهيا" تعاليم يحيى بن زكريا (ع) ، و "نياني" كتاب الصلوات المندائية، و"قلستا" ترانيم الزواج المندائية ، و"حران كويثا" كتاب حران الداخلية ،كما صدر اول قاموس (مندائي – عربي –إنكليزي) مؤخراً في بغداد ،وكل ذلك سهل على شباب الطائفة الاطلاع على ادبهم الديني والتمسك والاعتزاز به .

اما الخط الثاني فهو اعادة احياء اللغة المندائية ، وذلك بتحيث أسيست المدرسة المندائية، اذ ،حيث يقوم بعض الاساتذة الذين يجيدون اللغة المندائية بتدريس هذه اللغة وقواعدها فضلا عن بالاضافة الى بعض الدروس الدينية ، وقد افتتحت هذه المدرسة في نهاية عقد التسعينات من القرن الماضي وقد تخرجت فيها دورات بعد ان اتمت الصف السادس ، لان الدراسة في هذه المدرسة تصل الى هذا الحد . ،وتجدر الاشارة هنا الى ان مشروع المدرسة المندائية يعاني من الكثير من المعوقات والمشاكل ربما وقف في مقدمتها المعوقاتاسباب المالية وعدم توفر المكان الملائم لصفوف المحاضرات لضيق المجمع الموجود في منطقة القادسية في بغداد كما اشرنا سابقا.

لم تعد الطقوس المندائية اليوم بالنسبة لابناء الطائفة تمثل تراثاً او تقليداً فلكلورياً بعيداً عنهم ، بل لقد لاحظنا ازدياد حالات الالتزام الديني لدى شباب الطائفة انطلاقاً من الاعتزاز بهوية دينية عصرية ، وتراث ممتد بجذوره العميقة المرتبطة بتراث وحضارة وادي الرافدين، اذ يعدتبر مندائيو اليوم انفسهم الاحق بتمثيله نتيجة عمقهم الحضاري وعراقة تراثهم .

منسّق:الخط: ٢٤ نقطة، خط اللغة العربية وغيرها: ٢٤ نقطة

ملحق الاشكال والخرائط والصور

منسّق:الخط: ٢٤ نقطة، خط اللغة العربية وغيرها: ٢٤ نقطة

منسّق:متوسط

منسّق:الخط: ٢٤ نقطة، خط اللغة العربية وغيرها: ٢٤ نقطة

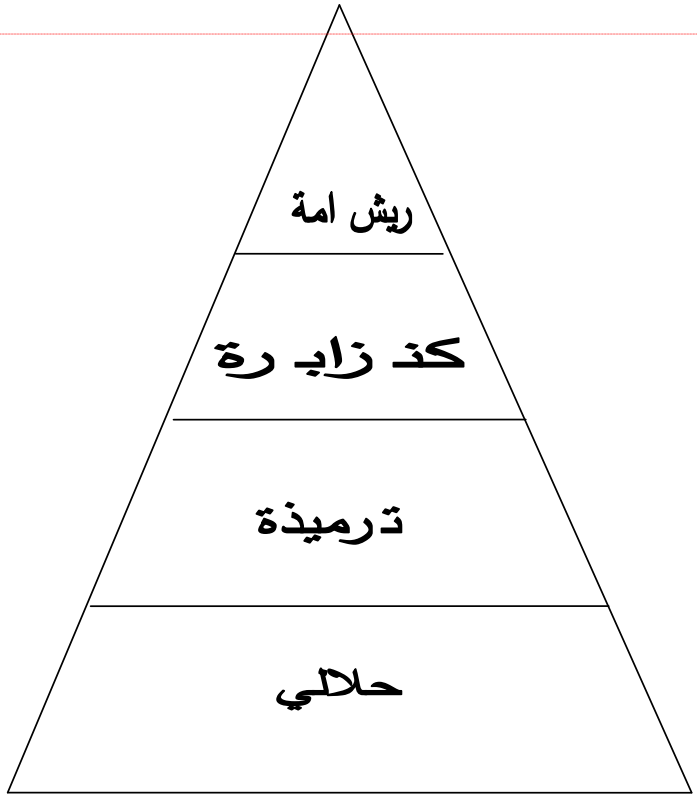

منسّق:(العربية وغيرها) العربية (العراق)

منسّق:عادي، المسافة البادئة: السطر الأول: 0 سم

شكل رقم (١) هرم (الهيئة الكهنوتية)

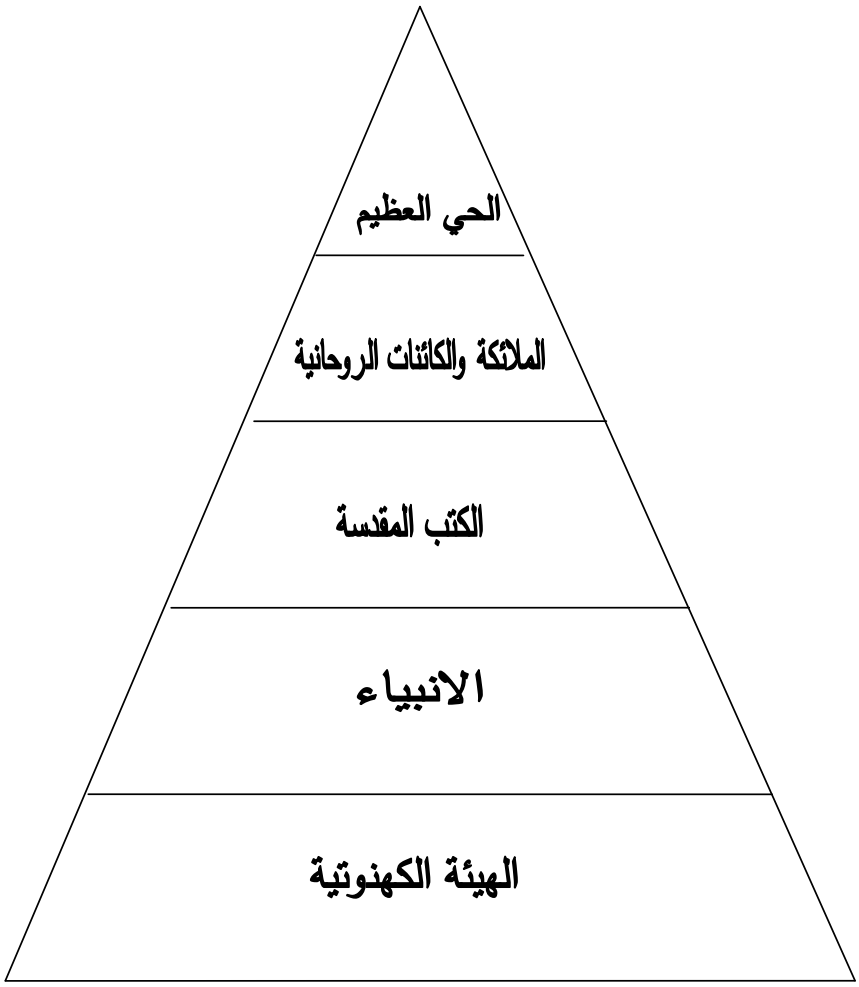

شكل رقم (٢) هرم (القدسية)

منسّق:يمين، المسافة البادئة: السطر الأول: 71.4 سم

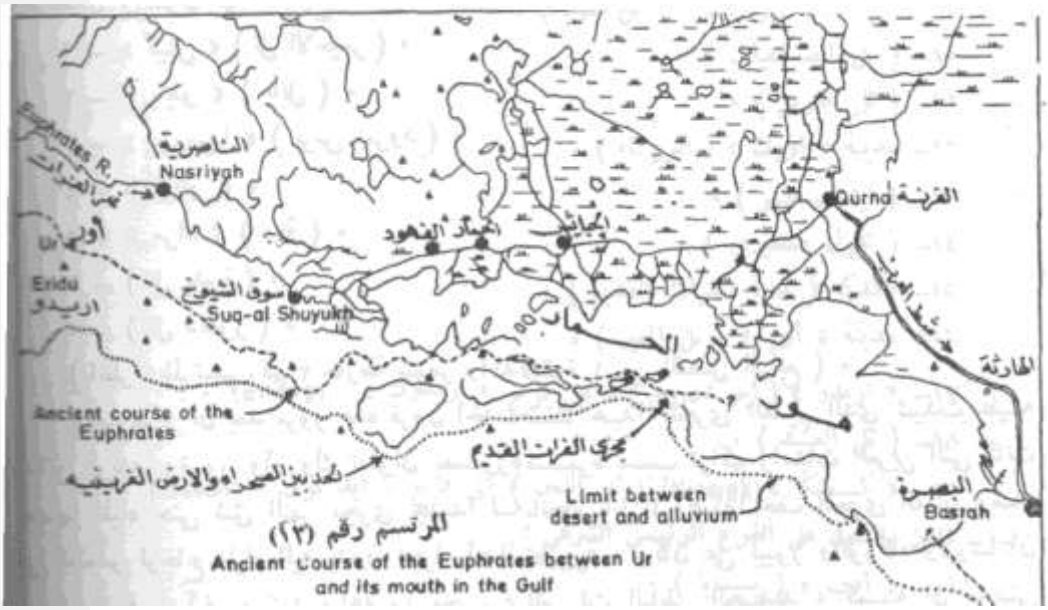

خارطة (١) خارطة تأريخية لاهوار جنوب العراق

منسّق:الخط: غامق، خط اللغة العربية وغيرها: غامق

منسّق:متوسط

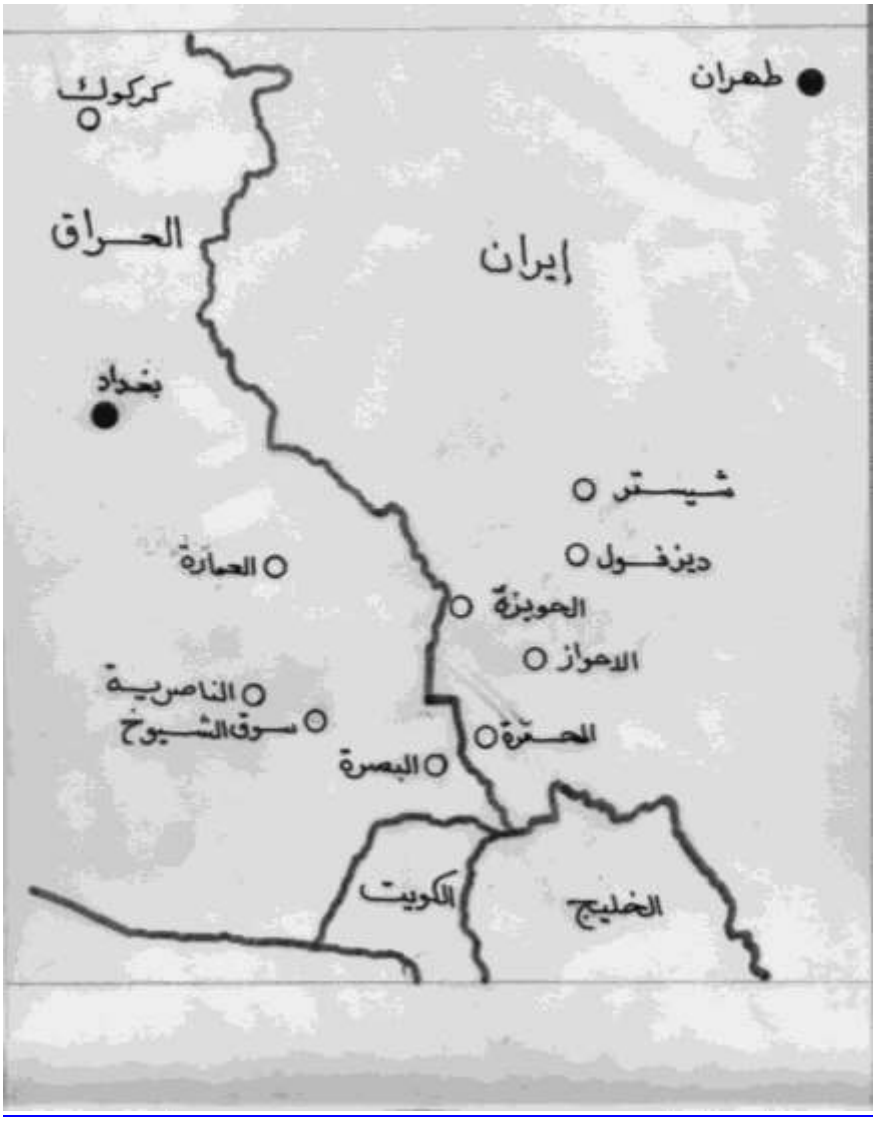

خارطة (٢) مدن الصابئة الاصلية في العراق وايران

خارطة (٣) الانهار المقدسة

منسّق:خط اللغة العربية وغيرها:
cibarA deifilpmiS

منسّق:خط اللغة العربية وغيرها:
cibarA deifilpmiS

زهرون ملا خضر مع والديه أسمر وناجي في الثلاثينات من القرن العشرين

صور (١) المهن التقليدية

صور (٢) ادوات التعميد

صور (٣) الطقوس

صور (٤) الطقوس

صور (٥) بيئات الصابئة التقليدية

منسّق:الخط: غامق، خط اللغة العربية وغيرها: غامق

منسّق:متوسط

الاستنتاجات

تتلخص ان الاستنتاجات التي توصلنا اليها بعد هذه الدراسة الانثروبولوجية لطائفة الصابئة المندائيين في العراق يتمثل في عدد من النقاط وهي :

١. سلوك افراد الطائفة المشابه او المتساوق مع السلوك التقليدي لافراد الاقليات والمتمثل في التماسك الاجتماعي الشديد تجاه الضغوط الخارجية على الاقلية ، ومحاولة ابراز سلوك موحّد للاقلية ، وقد توضح ذلك بشكل جلي بعد تأسيس المؤسسات الممثلة للطائفة (مجلس العموم،مجلس شؤون الطائفة،والمجلس الروحاني) ووقوف هذه المجالس بوجه التهديدات التي تمس افراد الطائفة.

٢. تفرد مايز الفرد المندائي بسلوك مميز له عن بقية ابناء الاقليات ، اذ حيث يكون شديد الانطواء والانغلاق على نفسه وعائلته وطائفته وحياته الدينية في اوقات الازمات المهددة لكينونته ، بينما نجده فعالاً ومتفوقاً ودؤوباً ومجداً في العمل ، ويحصل على افضل مكانة اجتماعية وسياسية واقتصادية في اوقات الانفتاح والتسامح ، وقد توضح ذلك في تأثير الطائفة في المجتمع العراقي رغم حجمها السكاني الصغير ، اذ نجد افرادها منتشرين في كل مفصل من مفاصل المجتمع العراقي ، وكذلك فأننا اذا ما دققنا النظر في اوضاع المهاجرين من ابناء الطائفة مع وجو الانفتاح في المهاجر الذي وفر لهم فرص مناسبة ، نجدهم وقد ابدعوا من خلالها ووصلوا الى مكانة ممتازة في دول المهجر.

٣. الاستقرار العالي في الجانب الطقوسي من الديانة المندائية ، اذا ان الطقوس التي تمارسها الطائفة اليوم تكاد تكون هي نفسها الطقوس التي مورست منذ مئات السنين، وقد لاحظنا بعض التغيرات الطفيفة التي حصلت في الطقوس لتتلاءم مع التغيرات التي حدثت في حياة ابناء الطائفة ، ولاسيما خصوصاً بعد هجرتهم الكبيرة من مواطنهم الاصلية في مدن وقصبات جنوب العراق المطلة على الانهار والمسطحات المائية الى المدن الكبرى في العراق(بغداد والبصرة).

٤. التغيرات الاجتماعية الكبيرة التي طرأت على طبيعة حياة افراد الطائفة ، والتي جعلت منهم افراداً فاعلين في حياة المجتمع الكبير ، ويتضح ذلك في تأثيرات نمط الحداثة في الحياة وطبيعة العلاقات الاجتماعية التي تبلورت منذ منتصف القرن العشرين.

٥. تأثير التيارات الايديولوجية على ابناء الطائفة في عقدي الخمسينات والستينات والذي تجلى في ابتعاد ابناء الطائفة عن هويتهم الدينية ، التي ما لبثت ان عادت بقوة في مرحلة البحث عن هوية ثقافية عصرية قائمة على الخصوصية الدينية للطائفة ، وقد مثل العقدين الاخرين في القرن العشرين مرحلة تبلور لا لهوية الدينية العصرية لأبناء الطائفة.

٦. ان وجود الطائفة اليوم في العراق مهدد بشكل كبير من قبل تيارات ظلامية تكفيرية اضطهدت ابناء الطائفة ، مما دفعهم الى الهجرة وبأعداد كبيرة الى انحاء العالم المختلفة المنافي.

التوصيات والمقترحات

ان التنوع العرقي والديني والطائفي الموجود في العراق ، يتطلب القيام بالعديد من الدراسات الاكاديمية الجادة، وذلك لاشاعة روح التسامح وفهم الاخر وتقوية اواصر العلاقات بين مفردات الطيف العراقي ، هذه التقوية لابد وان تكون القائمة بالاساس على بحوث موضوعية علمية خالية من روح التعصب ومحاولات التهميش التي اصابت الكثير من مكونات الفسيفساء العراقي على مدى العقود المنصرمة.

ويمكن ان احدد عدداً من التوصيات التي خرجتُ بها من دراسة طائفة الصابئة المندائيينة دراسة حقلية انثروبولوجية اكاديمية، وهذه التوصيات هي:

١. ان لطائفة الصابئة المندائيين اهمية خاصة في فهم الكثير من الاديان والمذاهب في العراق والمنطقة، ولها دور مهم في التطور الفكري والحضاري في وادي الرافدين، لذا فهي تحتاج الى اكثر من دراسة في مجالات مختلفة، مثل الاديان المقارنة واللغات القديمة فضلا عن ودراسات اركيولوجيا اللقى المندائية في مجال الاثار.
٢. تعاني الطائفة وفقاً لما لمسته في دراستي من احتياجات مادية، فهي فقيرة في هذا الجانب ولا تملك اوقافاً يمكن ان تساعدها ، -فهي تعتمد على تبرعات ابناء الطائفة في الداخل والخارج، لذا فهي تحتاج الى دعم وتعضيد للجهود من جهات مختلفة تقف في مقدمتها الدولة في العراقية ، -وكذلك -يمكن ان يتم ذلك من خلال مراكز البحوث والجامعات والمؤسسات الثقافية في العراق.
٣. لاحظنا النقص الحاد في دراسات الطوائف والاديان في العراق مع العلم ان العراق يحوي تنوعاً هائلاً منها ، لذا اقترح اقامة تجمعات بحثية في اقسام الاجتماع والانثروبولوجيا لاثراء هذا الجانب من البحث العلمي.
٤. ترسيخ وترصين مشاريع العمل في مجال حوار الاديان وحوار الثقافات بما يمثله من افق مفتوح، واشاعة لروح التسامح من خلال دعم واقامة المؤتمرات واللقاءات التخصصية في هذا الشأن لفتح كوة في ظلمة شيوع الفكر التكفيري المتشدد الذي يعاني منه العراق والمنطقة اليوم.
٥. ترسيخ مبادئ المواطنة القائمة على احترام هوية الاخر المختلف عرقياً او دينياً او مذهبياً، وذلك من خلال نشر وعي التسامح والروح العلمية الموضوعية في البحث.

المستخلص

من هم الصابئة المندائيون ؟

(الصابئة) كلمة ذات اصل ارامي ، وهي مشتقة من الجذر المندائي "صبا" الذي يعني (تعمد) او ارتمس في الماء ، و (المندائيون) كلمة مشتقة من الجذر المندائي "مندا" التي تعني بالمندائية (المعرفة) ، وبذلك يكون معنى (الصابئة المندائيون) هو : (المتعمدون الذين يعرفون الدين الحق) .

وللدين المندائي مجموعة من الاسس او المبادئ التي يقوم عليها وهي :

١-التوحيد.

٢-التعميد.

٣-الصلاة.

٤-الصوم.

٥-الزكاة.

والمندائيون يؤمنون بالله وبوحدانيته ، ويطلقون عليه في كتبهم المقدسة اسم (الحي العظيم) و(الحي الازلي) ،ويعتقدون ان آدم (ع) هو اول انبيائهم ، وهو المعلم الاول الذي نزلت عليه تعاليم الدين الحق – الدين المندائي – ثم ارسل بعده عدد من الرسل لتعليم البشرية تعاليم الدين ؛ وهم شيت (ع) ويسمى بالمندائية "شيتل" ، ثم سام بن نوح (ع) ، واخر انبيائهم هو يحيى بن زكريا (ع) وهو الرسول والمعلم الكبير الذي جدد الدين المندائي .

وللصابئة المندائيين عدد من الكتب المقدسة ،يقف في مقدمتها كتاب الـ "كنزاربا" (الكنز العظيم) ، وهو صحف ادم التي انزلت من الحي العظيم على ادم (ع) ، وفيها تعاليم الدين الحق ، ويقع الكتاب المقدس "كنزاربا" في جزئين :-

الجزء الاول : "كنزاربا" اليمين ،ويحوي هذا الجزء على قسم مهم من الادب الديني المندائي وتعاليمه ، كما ويحوي على قصص وميثولوجيا دينية تصور صراع قوى الخير وقوى الشر ، قوى النور وقوى الظلام ، ويقص علينا عملية الخلق ،خلق الكون والسماوات والانسان الاول ادم (ع) ، ونزول النفس من مستقرها السماوي عند الحي العظيم الى جسد ادم الطيني .كما يحتوي هذا الجزء على الكثير من التعاليم والصلوات والادعية الدينية .

الجزء الثاني : "كنزاربا" يسار ، وهو الجزء الخاص برحلة عودة النفس الى بارئها بعد الوفاة، وعمليتي العقاب والتطهير التي جرت لها في هذه الرحلة .

اما الكتاب الثاني من الكتب المقدسة فهو "دراشة اد يهيا" ، اي (تعاليم النبي يحيى بن زكريا (ع)) ، ويحوي تعاليم واقوال النبي المعلم "يهيا يهانا" كما يسمى بالمندائية .

وكذلك فأن هنالك عدداً كبيراً من الكتب المقدسة في الادب الديني المندائي ، مثل الـ"قلستا" وهو (كتاب ترانيم وادعية الزواج) وكتاب الـ"نياني" وهو كتاب (الادعية والصلوات المندائي).

والمندائيون يتوجهون في صلواتهم وفي جميع طقوسهم باتجاه الشمال ، ويكون دليلهم في ذلك النجم القطبي لثباته ، وذلك لاعتقادهم بأن "المة اد نهورا" (عالم النور) او الجنة المندائية تقع في المكان المقدس الذي هو في الشمال ،وان الانفس ترحل بأتجاه الشمال ، والخير ياتي من الشمال ، على عكس الجنوب الذي تأتي منه كل الشرور ، وهم يؤدون الصلاة ثلاث مرات في اليوم ، ويأتون الزكاة ، ويصومون (٣٦) يوماً متفرقة على ايام السنة، اذ يمتنعون عن اكل اللحوم، الا ان الصوم الكبير هو ان يكف الانسان شرورة عن الاخرين بالقول والعمل .

وللزواج والانجاب اهمية دينية كبيرة في الدين المندائي والعزوبة محرمة ،ولاترهب في الامتناع عن الزواج بالنسبة لرجل الدين المندائي . اما طقوس الزواج المندائي فهي من الطقوس المتميزة التي تؤكد على الايجاب والقبول بين العروسين وعلى شهادة الاهل والاصدقاء وعلى اشهار و اعلان الزواج في جو طقسي احتفالي ، تصاحبه طقوس التطهر والتعميد بالماء الجاري المقدس "يردنا" كما ان لعذرية العروس اهمية خاصة في شروط الزواج .

ويُشهدنا التاريخ على شخصيات مندائية مرموقة حازت مكانة عالية في مجالات العلم والادب والفلسفة والرياضيات والطب ، ومن هذه الشخصيات على سبيل المثال لا الحصر :

١. **ابراهيم بن سنان** : المهندس المشهور الذي عاش في العصر العباسي .
٢. **البتاني** : الرياضي والفيلسوف والفلكي العباسي .
٣. **ابو اسحق الصابي** : الشاعر والاديب والفيلسوف صاحب الرسائل المشهورة مع نقيب الطالبيين الشريف الرضي .
٤. **ثابت بن قرة** : الفيلسوف والرياضي والفيزياوي والمترجم المشهور في البلاط العباسي .
٥. **سنان بن ثابت** : شيخ الاطباء في بغداد العباسية في عصر المأمون .

لقد عاش المندائيون لمئآت السنين في قرى وقصبات جنوب العراق وايران ،على ضفاف الانهار واطراف الاهوار ، وبقيت منطقة دلتا دجلة والفرات جنوب وادي الرافدين مناطق الطائفة التقليدية حتى منتصف القرن العشرين . فبعد الاحتلال الانكليزي وتأسيس الحكم الوطني في العراق وفي الحقبة ما بين الحربين ، حدثت هجرات كبيرة قام بها ابناء الطائفة من مناطقهم الاصلية الى المدن الكبرى في العراق مثل بغداد والبصرة ،وقد احدثت هذه الهجرات تغيرات

منسقة: تعدادات نقطية ورقمية

جوهرية في البناء الاجتماعي للطائفة تمثل في تغير نمط العيش من التقليدية الى الحداثة ، كما وتمثل في تغير نمط القيادة ومراكز القوة في المجتمع المندائي .

وعند مطلع عقد الثمانينات من القرن العشرين حدث تحول واضح في بنى الطائفة الاجتماعية والسياسية والثقافية ، تمثل في حركة جادة ودؤوبة لبلورة الهوية الثقافية الدينية والعصرية ، وقد تمثلت جهود الساعين من ابناء الطائفة في هذا المجال في تشكيل النظم الجديدة المتمثلة في ثلاثة مجالس تقود الطائفة وتمثلها في التعاطي مع الاخر ،وهذه المجالس هي :

منسقة: تعدادات نقطية ورقمية

١. **مجلس العموم** : وهو برلمان الطائفة الذي يتم فيه تمثيل الافراد لعشائرهم /عوائلهم عن طريق الانتخاب الحر .
٢. **المجلس الروحاني** : وهو مجلس يضم كل رجال الدين المندائيين ،واجباته رعاية الشؤون الدينية لابناء الطائفة .
٣. **مجلس شؤون الطائفة** : وهو المجلس الذي يدير كل الشؤون الحياتية للطائفة في المجالات الاجتماعية والثقافية والترفيهية والتعليمية عبر عدد من اللجان التي يشرف عليها .

ان التغير الذي حدث في مجتمع الطائفة المندائية طال كل انساق البناء الاجتماعي. ففي النسق الاقتصادي ،كان ابناء الطائفة في مناطقهم الاصلية يمارسون حرفاً تقليدية اتقنوها وبرعوا فيها مثل الحدادة والنجارة والصياغة فضلا عن صناعة واصلاح الزوارق ، وقد ابدع المندائيون في فن الصياغة وعلى الاخص اعمال المينا السوداء المنقوشة على الفضة. بينما نجد ابناء الطائفة بعد هجرتهم الى المدن الكبرى ودخولهم المدارس الحديثة والجامعات قد ولجوا الى كل مجالات المجتمع ، فنجد اليوم منهم المهندس والطبيب والضابط والاستاذ الجامعي ..الخ .

أن ثقافة وبناء المجتمع المندائي هي جزء وثقافة فرعية من المجتمع العراقي ، وقد عانى ابناء الطائفة ما عاناه الشعب العراقي من ويلات وحروب وازمات ، وربما كان اثر ذلك على ابناء الطائفة المندائية اكثر وضوحاً بحكم كونهم اقلية دينية صغيرة ، مما دفع أعداداً من نخبة ابناء الطائفة الى الهجرة خارج العراق بحثاً عن الامان والرزق الحلال وهامش الحرية، الا ان صِلاتهم بوطنهم الاصلي لم تنقطع ، كما وان سعيهم للحفاظ على هويتهم الدينية والثقافية والاجتماعية بقي حاضراً رغم كل شئ.

ان لدراسة ثقافة مجتمع طائفة الصابئة المندائيين ، اهمية خاصة لما تمثله هذه الطائفة وهذا الدين من دور مهم في فهم نشوء وتطور وتداخل الاديان والحضارات والثقافات على ارض الرافدين ، فأبناء هذه الطائفة هم بحق ورثة هذه الحضارات العريقة .

منسّق:متوسط

المراجع والمصادر العربية

١. القرآن الكريم .

٢. الكتاب المقدس –العهد القديم .
٣. الكنز العظيم "كنزاربا" او صحف ادم ،الكتاب المقدس لطائفة الصابئة المندائيين .
٤. ابن النديم ،الفهرست ،دار المعرفة ، بيروت ١٩٧٨ م.
٥. احمد ابو زيد ،البناء الاجتماعي ، الجزء الاول .المفهومات ،الطبعة الخامسة ،القاهرة ١٩٧٦ .
٦. احمد ابو زيد ،البناء الاجتماعي ،الجزء الثاني ، الانساق ،دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ،الاسكندرية ،١٩٦٧م .
٧. اشلي مونتياغو ،البدائية ، ترجمة د.محمد عصفور ،عالم المعرفة ،الكويت ١٩٨٢ .
٨. اميل دوركايم ،الطوطمية كدين بدائي ،ترجمة ثائر ديب ،في كتاب موسوعة تأريخ الاديان ،الجزء الاول ،تحرير فراس سواح ، منشورات دار علاء الدين ، دمشق ٢٠٠٣ م .
٩. امين فعيل حطاب ،"الرشامة والبراخه" (الوضوء والصلاة) ،اعداد لجنة النور المندائية، بغداد ٢٠٠٣م .
١٠. امين فعيل حطاب ،(يهيا يهيانا) في النصوص المندائية (كراسات مندائية) ، بغداد، ٢٠٠١ م.
١١. ايفانز بريجارد ،الانثروبولوجيا الاجتماعية ،ترجمة احمد ابو زيد ،منشأة المعارف، الاسكندرية، مصر ١٩٦٠.
١٢. ايفانز بريجارد ،نظريات الدين البدائي ،ترجمة حسن قبيسي ،دار الحداثه ، بيروت الطبعة الاولى ،د، بيروت ١٩٨٦ .
١٣. البيروني ،ابو الريحان محمد بن احمد ،القانون المسعودي ،ج١ ،حيدر اباد اباد ، الهند ١٩٥٤م .
١٤. جان–بول ويليم ،الاديان في علم الاجتماع ،ترجمة بسمة بدران ،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،الطبعة الاولى ، دمشق ٢٠٠١ .
١٥. جون ب. نوز ،اهم الخصائص المميزة للدين في المجتمعات البدائية ، ترجمة غادة جاويش، فيكتاب –موسوعة تاريخ الاديان ،تحرير فراس سواح ،منشورات دار علاء الدين ال،طبعة الاولى، دمشق ،٢٠٠٣م .
١٦. حسين فهيم ،قصة الانثروبولوجيا ،فصول في تاريخ علم الانسان ،الكويت ،المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، عالم المعرفة ، الكويت ١٩٨٦ –.
١٧. حنا بطاطو ،العراق ،الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية ،ترجمة عفيف الرزاز ، ،مؤسسة الابحاث العربية ،الطبعة الاولى ،بيروت ١٩٩٠ .

١٨. حيدر ابراهيم علي ،الاسس الاجتماعية للظاهرة الدينية ،ملاحظات في علم اجتماع الدين، بحث في ندوة (الدين والمجتمع العربي) ،مركز دراسات الوحدة العربية ،الطبعة الثانية،٢، بيروت ٢٠٠٠ م بيروت.
١٩. خالد فرج الجابري ،الضبط الاجتماعي ،محاضرات منهجية للمرحلة الثالثة في قسم الاجتماع، بغداد ١٩٨٠، بدون تاريخ.
٢٠. خالد كامل عودة والشيخ خلف عبد ربه ،القاموس المندائي ،دار انهر ، بغداد ٢٠٠٤م .
٢١. د. احمد الخشاب ،الاجتماع الديني ،مفاهيمه النظرية وتطبيقاته العملية ،دار الحمامي للطباعة ،القاهرة .
٢٢. "دراشه اد يهيا" ،تعاليم يحيى بن زكريا (ع) ،قام بترجمته لجنه الترجمة في مركز البحوث والدراسات المندائية ،الطبعة الاولى ،بغداد ٢٠٠١ .
٢٣. ديوان حران كويثه (حران الداخلية) ،اعداد لؤي زهرون حبيب ،ترجمة امين فعيل حطاب ،بغداد ٢٠٠٣ .
٢٤. ر.جودفري لينهارت ،الدين ، في كتاب الانسان والحضارة والمجتمع ،تحرير هاري ل. شابيرو ،ترجمة عبد الكريم محفوض ، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق١٩٧٨ .
٢٥. الرازي ،محمد بن ابي بكر ،مختار الصحاح ،دار الرسالة ،الكويت ١٩٨٣ .
٢٦. رالف بيلز ،هاري هويجر ،الانثروبولوجيا العامة ،ترجمة محمد الجوهري واخرون، الجزء الثاني ،مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ،القاهرة . نيويورك ١٩٧٧ .
٢٧. رشيد الخيون ،الاديان والمذاهب في العراق ،منشورات دار الجمل ،المانيا ٢٠٠٣ م .
٢٨. روجيه باستيد ،مبادئ علم الاجتماع الديني ،ترجمة د. محمود قاسم، القاهرة،المكتبة الانجلو –مصرية ، القاهرة ١٩٥١ –.
٢٩. سليم برنجي ،الصابئة المندائيون ،ترجمة جابر احمد ،دار كنوز ادبية، بيروت ،١٩٩٧.
٣٠. سيغموند فرويد ،الطوطم والحرام ،ترجمة جورج طرابشي ،دار الطليعة ،بيروت ١٩٨٣ .
٣١. شاكر مصطفى سليم ،الجبايش ،دراسة انثروبولوجية لقرية في اهوار العراق ،مطبعة الرابطة ،بغداد ،١٩٥٧ .
٣٢. الشيخ رافد الشيخ عبد الله ،التعميد المندائي ،شركة التايمس ،بغداد ،١٩٩٠ .
٣٣. الشيخ رافد الشيخ عبد الله ،الصلاة المندائية وبعض الطقوس الدينية ،الطبعة الاولى الاولى،بغداد ١٩٨٨ .
٣٤. عادل مختار الهواري وعبد الباسط عبد المعطي ،في النظرية المعاصرة لعلم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ،١٩٨٦ .

٣٥. عبد الباسط عبد المعطي ،اتجاهات نظرية في علم الاجتماع ،الكويت ،المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب ، الكويت ١٩٨١ .
٣٦. عبد الحميد عبادة ،منداني او الصابئة الاقدمين ،تقديم وتحقيق رشيد الخيون الخيون، دار الحكمة ،لندن الطبعة الاولى ، لندن ٢٠٠٣م .
٣٧. عبد الرزاق الحسني ،الصابئون في حاضرهم وماضيهم ،الطبعة الخامسة، بغداد -١٩٧٩ = بغداد .
٣٨. عبد الفتاح الزهيري ،الموجز في تأريخ الصابئة المندائيين (العرب البائدة)، الطبعة الاولى ،بغداد ،١٩٨٣ .
٣٩. عزيز سباهي ،اصول الصابئة (المندائيين) ،معتقداتهم الدينية ،دار المدى ، دمشق ١٩٩٦ .
٤٠. علاء الدين البياتي ،علم الاجتماع بين النظرية والتطبيق ،دار التربية ، بغداد ١٩٧٥م .
٤١. علي سامي النشار ،نشأة الدين ،النظريات التطورية والمؤلهة ، الاسكندرية دار نشر الثقافة ، الاسكندرية ١٩٤٩ .
٤٢. غضبان رومي ،الصابئة ،مطبعة الامة ،بغداد ، ١٩٨٣م .
٤٣. فلانين ،الحاج ريكان او عرب الاهوار ،ترجمة د.جميل سعيد ،د. ابراهيم شريف ،بغداد ١٩٦٦ .
٤٤. فيصل دراج ، الثقافة الشعبية في سياسة غرامشي ،بحث في كتاب غرامشي وقضايا المجتمع المدني ،مركز البحوث العربية ،ندوة القاهرة ،١٩٩٠ .
٤٥. فيليب حتي ،تأريخ سورية ولبنان وفلسطين ،ترجمة جورج حداد وعبد المنعم رافق، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ،دار الثقافة ، بيروت ١٩٥٨ .
٤٦. "قلستا" ،ترانيم الزواج المندائية ،ترجمة امين فعيل حطاب ،بغداد ٢٠٠٣م .
٤٧. كلود–ليفي ستروس ،الانثروبولوجيا البنيوية ،ترجمة د.مصطفى صالح ،وزارة الثقافة والارشاد القومي ،دمشق ،١٩٧٧ .
٤٨. كورت رودولف ،النشوء والخلق في النصوص المندائية ،ترجمة صبيح مدلول السهيري مطبعة الاديب البغدادية ،بغداد ١٩٩٤ .
٤٩. كوندوز ،معرفة الحياة (دراسة حول اصل الصابئة المندائيين) ،ترجمة د.سعدي السعدي ،مركز الحرف العربي ،السويد ،١٩٩٦ .
٥٠. لوسي مير ،مقدمة في الانثروبولوجيا الاجتماعية ،ترجمة د. شاكر مصطفى سليم ،دار الشؤون الثقافية العامة ،بغداد ١٩٨٥ .

٥١. لوي ماسينيون ،سلمان الفارسي والبواكير الروحية للاسلام في ايران ،نشرات جماعة الدراسات الايرانية رقم (٧) ،باريس ١٩٣٤ ،ترجمة عبد الرحمن بدوي في كتابه شخصيات قلقة في الاسلام ،دار النهضة ،القاهرة ١٩٦٤ .
٥٢. الليدي دراوور ،الصابئة المندائيون ،ترجمة نعيم بدوي وغضبان رومي ، الطبعة الثانية، بغداد ١٩٨٧
٥٣. ماجد فندي المباركي ،دراسات مندائية ،تأريخ ومعتقدات ،سدني ،استراليا ٢٠٠٠م .
٥٤. ماكس فيبر ،الاخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية-الرأسمالية ، ترجمة محمد علي مقلد ،مركزالانماء العربي .
٥٥. محمد الجوهري وعلياء شكري ،علم الاجتماع الريفي والحضري ،دار المعارف ، الطبعة الاولى ، القاهرة ١٩٨٠ .
٥٦. محمد رشيد الفيل ،الصحين ،دراسة انثروبولوجية ،بغداد ،١٩٦٦ .
٥٧. محمد علي محمد ،تاريخ علم الاجتماع ،الرواد والاتجاهات المعاصرة ،دار المعرفة الجامعية ،القاهرة ،١٩٨٦ .
٥٨. ناجيه مراني ،مفاهيم صابئية مندائية (تأريخ ،دين ،لغة) ،مطبعة شركة التايمس ،بغداد ١٩٨١ .
٥٩. النظام الداخلي المعدل لطائفة الصابئة المندائيين ،بغداد ،٢٠٠٠م .
٦٠. نيقولا تيماشيف ،نظرية علم الاجتماع ، طبيعتها وتطورها ،ترجمة محمد عودة وزملائه ،دار المعارف ،القاهرة ،الطبعة الثامنه ،١٩٨٣ .

الدوريات ومواقع شبكة المعلومات (الانترنت)

. .

١. بحزاني ،جريدة يومية الكترونية تعني بالعلمانية الاقليات موقعها على شبكة الانترنت هو www.bahzani .org.

٢. جريدة الزمان اللندنيه الصادرة في ٢٠٠٤/٦/٢٢ .

٣. حوليات كلية الاداب ،جامعة الكويت ،العدد الاول ١٩٨٠ ،الكويت .

٤. عالم الفكر ،المجلد الثالث ،العدد السادس –يونيو ١٩٧٢ ،الكويت .

٥. مجلة افاق مندائية ،العدد (١٣) ايار ٢٠٠٠ ،والعدد (١٧) تموز ٢٠٠١ ،والعدد (٢٤) شباط ٢٠٠٣ .

٦. مجلة عالم الفكر ،المجلد الثامن ،العدد الاول ،١٩٧٧ ،الكويت .

٧. موقع اتحاد الجمعيات المندائية في المهجر على شبكة الانترنت ،عدد من المقالات ~~تحت~~ تمت الاشارة لها www.mandaeain union .org

منسقة: تعدادات نقطية ورقمية

REFERENCES :

1. Boas , Frans,Tthe methods of Ethnology ,in Race, Languge, and Culture, Newyork , 1948 .
2. clock , Charles y.,the sociology of Religion :Robert Merton (eds) , Sociology Today ,problems and perspects ,Newyork ,Evanstor Harper,Tarch book ,1959 .
3. Dalton , G.,Economic theory and primitive socity ,Amercian Anthropologist, LXIII,1961 .
4. Drower , E.S ,DIWAN ABATUR ,or progress through the purgatories ,CITTA DEL VATICANO ,1950 .
5. Drower , E.S , Haran Guaita and Bapitizm of Hibil ziwa . London ,1955
6. Freidle, John & Pfeiffer John ,Anthropolopgy ,harper and Row Publishers ,newyork ,1977 .
7. kuper,Adam & kuper , Jassica (eds) ,The social science Encyclopedia ,Routledge & kegan paul ,London ,Boston and Henley,1985 .
8. Maguch , Rudolf , Handbook of classical & modern mandiac , walterde Gruter &co. ,Barlin,1965 .
9. Malinowski , Bronislaw ,Crime and custom in savage socity ,London Routledge & kegan paul ,1962 .
10. Malinowski , Bronislaw , Ascientific theory of culture ,Chaple Hill,University of North carolina press ,1944 .
11. Merton , R.K.,Social theory and social structure ,the Free press of Glenco III,1962.
12. Nisbet, R.A ,The sociological tradition ,puf ,Paris ,1984
13. Radcilffe –Brown , A.R.,On the concept of function in social Science,in Structure and Function in Primitive Socity ,Glencoe III ,Free press,1952 .
14. Radcilffe –Brown, A.R.,The Andaman Islanders ,Glenco III ,Free press ,1948 .
15. Radcilffe –Brown, A.R, & Daryell Ford , African systems of Kinship and Marraige ,Oxford University press ,landon , 1960
16. Tyler, Stephen (eds) ,Cognitive Anthropology ,Rinehart and winston,1969 .

المستخلص

من هم الصابئة المندائيون ؟

(الصابئة) كلمة ذات اصل ارامي ،وهي مشتقة من الجذر المندائي (صبا) والذي يعني (تعمد) او ارتمس في الماء ،و (المندائيون) كلمة مشتقة من الجذر المندائي "مندا" وهي تعني بالمندائية (المعرفة) ،وبذلك يكون معنى (الصابئة المندائيون) (المتعمدون الذين يعرفون الدين الحق) .

وللدين المندائي مجموعة من الاسس او المبادئ يقوم عليها هي :

١-التوحيد

٢-التعميد

٣-الصلاة

٤-الصوم

٥-الزكاة

والمندائيون يؤمنون بالله وبوحدانيته ويطلقون عليه في كتبهم المقدسة اسم (الحي العظيم) و(الحي الازلي) ،ويعتقدون ان ادم (ع) هو اول انبيائهم وهو المعلم الاول الذي نزلت عليه تعاليم الدين الحق –الدين المندائي – ثم ارسل بعده عدد من الرسل لتعليم البشرية تعاليم الدين وهم شيث (ع) ويسمى بالمندائية (شيتل) ثم سام بن نوح (ع) واخر انبيائهم يحيى بن زكريا (ع) وهو الرسول والمعلم الكبير الذي جدد الدين المندائي .

وللصابئة المندائيون عدد من الكتب المقدسة ،يقف في مقدمتها كتاب "كنزاربا" (الكنز العظيم)،وهو صحف ادم ،انزلت من الحي العظيم على ادم (ع) وفيها تعاليم الدين الحق ،ويقع الكتاب المقدس "كنزاربا" في جزئين :-

الجزء الاول : "كنزاربا" اليمين ،ويحوي هذا الجزء على جزء مهم من الادب الديني المندائي وتعاليمه كما يحوي على قصص وميثولوجيا دينية تصور صراع قوى الخير وقوى الشر ، قوى النور وقوى الظلام ،ويقص علينا عملية الخلق ،خلق الكون والسماوات والانسان الاول ادم (ع) ونزول النفس من مستقرها السماوي عند الحي العظيم الى جسد ادم الطيني .كما يحوي هذا الجزء الكثير من التعاليم والصلوات والادعية الدينية .

الجزء الثاني : "كنزاربا" يسار وهو الجزء الخاص برحلة عودة النفس الى بارئها بعد الوفاة وعملية عقوبتها وتطهيرها في هذه الرحلة .

والكتاب الثاني من الكتب المقدسة هو "دراشة اد يهيا" وهو (تعاليم النبي يحيى بن زكريا (ع)) ويحوي تعاليم واقوال النبي المعلم "يهيا يهانا" كما يسمى بالمندائية .

وكذلك هناك عدد كبير من الكتب المقدسة في الادب الديني المندائي مثل "قلستا" وهو (كتاب ترانيم وادعية الزواج) وكتاب "نياني" وهو كتاب (الادعية والصلوات المندائي).

والمندائيون يتوجهون في صلواتهم وفي جميع طقوسهم باتجاه الشمال ويكون دليلهم النجم القطبي لثباته ،وذلك لاعتقادهم بأن "المة اد نهورا" (عالم النور) او الجنة المندائية تقع في المكان المقدس الذي هو في الشمال ،والانفس ترحل بأتجاه الشمال والخير ياتي من الشمال على عكس الجنوب الذي تأتي منه كل الشرور ،وهم يؤدون الصلاة ثلاث مرات في اليوم ويأتون الزكاة ويصومون (٣٦) يوماً متفرقة على ايام السنة ،حيث يمتنعون عن اكل اللحوم، الا ان الصوم الكبير هو ان يكف الانسان شرورة عن الاخرين بالقول والعمل ،وللزواج والانجاب اهمية دينية كبيرة في الدين المندائي والعزوبة محرمة ،ولاترهب في الامتناع عن الزواج بالنسبة لرجل الدين المندائي ،وطقوس الزواج المندائي من الطقوس المتميزة التي تؤكد على الايجاب والقبول بين العروسين وعلى شهادة الاهل والاصدقاء وعلى اشهار و اعلان الزواج في جو طقسي احتفالي تصاحبه طقوس التطهر والتعميد بالماء الجاري المقدس "يردنا".

ويشهدنا التاريخ على شخصيات مندائية مرموقة حازت مكانة عالية في مجالات العلم والادب والفلسفة والرياضيات والطب من هذه الشخصيات على سبيل المثال لا الحصر :

١. **ابراهيم بن سنان :** المهندس المشهور الذي عاش في العصر العباسي

٢. **البتاني :** الرياضي والفيلسوف والفلكي العباسي

٣. **ابو اسحق الصابي :** الشاعر والاديب والفيلسوف صاحب الرسائل المشهورة مع نقيب الطالبيين الشريف الرضي .

٤. **ثابت بن قرة :** الفيلسوف والرياضي والفيزياوي والمترجم المشهور في البلاط العباسي .

٥. **سنان بن ثابت :** شيخ الاطباء في بغداد العباسية في عصر المأمون .

لقد عاش المندائيون لمئات السنين في قرى وقصبات جنوب العراق وايران ،على ضفاف الانهار واطراف الاهوار ،وبقيت منطقة دلتا دجلة والفرات جنوب وادي الرافدين مناطق الطائفة التقليدية حتى منتصف القرن العشرين ،فبعد الاحتلال الانكليزي وتأسيس الحكم الوطني في العراق ،وفي فترة ما بين الحربين حدثت هجرات كبيرة قام بها ابناء الطائفة من مناطقهم الاصلية الى المدن الكبرى في العراق مثل بغداد والبصرة ،وقد احدثت هذه الهجرات تغيرات جوهرية في البناء الاجتماعي للطائفة تمثل في تغير نمط العيش من التقليدية الى الحداثة كما تمثل في تغير نمط القيادة ومراكز القوة في المجتمع المندائي .

منسقة: تعدادات نقطية ورقمية

وعند مطلع عقد الثمانينات من القرن العشرين حدث تحول واضح في بنى الطائفة الاجتماعية والسياسية والثقافية تمثل في حركة جادة ودؤوبة في بلورة هوية ثقافية دينية عصرية ،وقد تمثلت جهود الساعين من ابناء الطائفة في هذا المجال في تشكيل النظم الجديدة المتمثلة في ثلاث مجالس تقود الطائفة وتمثلها في التعاطي مع الاخر ،وهذه المجالس هي :

١. **مجلس العموم** : هو برلمان الطائفة ،يتم فيه تمثيل الافراد لعشائرهم /عوائلهم عن طريق الإنتخاب الحر .

٢. **المجلس الروحاني** : وهو مجلس يضم كل رجال الدين المندائيين ،واجباته رعاية الشؤون الدينية لابناء الطائفة .

٣. **مجلس شؤون الطائفة** : وهو المجلس الذي يدير كل الشؤون الحياتية للطائفة في المجالات الاجتماعية والثقافية والترفيهية والتعليمية عبر عدد من اللجان التي يشرف عليها .

ان التغير الذي حدث في مجتمع الطائفة المندائية طال كل انساق البناء الاجتماعي،ففي النسق الإقتصادي ،كان ابناء الطائفة في مناطقهم الاصلية يمارسون حرف تقليدية اتقنوها وبرعوا فيها مثل الحدادة والنجارة وصناعة واصلاح الزوارق والصياغة ،التي ابدع فيها الصاغة المندائيون وعلى الاخص اعمال المينا السوداء المنقوشة على الفضة ،بينما نجد ابناء الطائفة بعد هجرتهم الى المدن الكبرى ودخولهم المدارس الحديثة والجامعات ،قد دخلوا الى كل مجالات المجتمع فنجد اليوم منهم المهندس والطبيب والضابط والاستاذ الجامعي ..الخ ان ثقافة وبناء المجتمع المندائي ،جزء وثقافة فرعية من المجتمع العراقي ،وقد عانى ابناء الطائفة ما عاناه الشعب العراقي من ويلات وحروب وازمات ،وربما كان اثر ذلك على ابناء الطائفة المندائية اكثر تأثيراً واكثر وضوحاً يحكم كونهم اقلية دينية صغيرة مما دفع أعداد من نخبة ابناء الطائفة الى الهجرة خارج العراق بحثاً عن الامان والرزق الحلال وهامش الحرية،الا ان صلاتهم بوطنهم الاصلي لم تنقطع وان سعيهم للحفاظ على هويتهم الدينية والثقافية والاجتماعية مستمر .

ان دراسة ثقافة مجتمع طائفة الصابئة المندائيين له اهمية خاصة لما تمثله هذه الطائفة وهذا الدين من دور مهم في فهم نشوء وتطور وتداخل الاديان والحضارات والثقافات على ارض الرافدين ،فأبناء هذه الطائفة هم بحق ورثة هذه الحضارات العريقة .

منسّق: المسافة البادئة: معلقة: 9.2 سم، بعد: 0 سم، تعداد رقمي + المستوى: ١ + نمط الترقيم: 1، 2، 3، ... + بدء الترقيم بـ: ١ + المحاذاة: أيسر + محاذاة عند: 0 سم + علامة جدولة بعد: 36.0 سم + مسافة بادئة: 36.0 سم

منسقة: تعدادات نقطية ورقمية

منسّق: المسافة البادئة: السطر الأول: 0 سم

منسّق:عادي

منسّق:الخط: ٣٠ نقطة، خط اللغة العربية
وغيرها: Roman weN semiT، ٣٠ نقطة

منسّق:الخط: ١٦ نقطة، خط اللغة العربية
وغيرها: ١٦ نقطة، (العربية وغيرها) العربية
(العراق)

منسّق:الخط: ١٤ نقطة، خط اللغة العربية
وغيرها: Arabic deifilpmiS، ١٤ نقطة،
(العربية وغيرها) العربية (العراق)

ABSTRACT:

Stability and Change in Mandaean Sabians Sect

Master degree thesis .

This thesis is aiming to investigate the nature of the social and religious life of the Mendaean Sabians sect in Iraq and its stability and change .

Who are the "Mandaeans Sabians" ?

The "sabian" is a word derived from the Aramaic –mandic verb "saba" which means (baptised) or (dyed), (immersed in water) "mandaeans" is derived from "menda" which means in the mandiac lauguage (knowledge) .Thus , 'mandaean sabians' means those who are baptized and who know the religion of God .

There are many aspects of the mandaean religion like :

1. Monotheism
2. Baptism
3. Praying
4. Fasting
5. Alms-giving

Mandaean sabians believe in God and (His monotheism)
God is called in their holy book and other religions sources, the great life or the eternal life. Also, they believe that Adam was their first prophet and teacher. Their second prophet was Sheet who is named "Shetel" in Mandaiac; followed by Sam son of Noah and Yahya son of Zakarias (John the babtisetd) .

The Mandaean Sabians have many holy books, the main holy book is "Ginza Raba" (the great treasure) :
Which contains the book of Adam, Sheet and Sam. It consists of 600 pages and falls into two parts:

Part one: from the right hand, includes the book of Genesis ; the teachings of the great life ,the everlasting struggle between good and evil, light and darkness, it relates details of how the "soul" came down into Adam's body.

The book contains prayers to the creator and religious and theological rules .

Part two: from the left-hand deals with the soul, reward and punishment .

The second holy book is "Drasha id Yahia" which includes the teachings and wise sayings of the prophet Yehia son of Zakarias, and also there are many other books like "Kilesta" the hymns of marriage rituals and "Niani" the book of prayers .

The Mandaeans direct their faces northwards while practising their religious rites because "Alama id Nahawra" (the world of light) (paradise) lies in that sacred place of the universe to which souls go when the journey of life ends. There they enjoy immorality alongside their God.

Besides all of this, the Mandaean religion recommends alms giving moral and material it recommends also the great fasting which means the abstinence from anything that distorts man's relation with his God, while the small fasting means abstinence from slaughtering animals and eating meat on certain days of the year. This religion stresses the importance of marriage (including the marriage of the clergyman) marriage rites are performed by the clergyman, attended by witnesses and a crowd of people in a happy festivivities.

Mandaeans have been well known throughout history for their interest in knowledge and literature. They were also well known in the fields of astronomy and medicine. some of them were concerned with history like :

1. Ibrahim bin Sinan: who was a famous engineer during the Abassid period .
2. Al Butani: who was a mathematician and astronomer .
3. Abu Is'hak al-Sabi: Minister of letters during the Abassid era .
4. Thabit bin Qura: who was a physician philosopher and mathematican during the Abassid era .
5. Sinan bin Thabit: who was the chief doctor in Baghdad during the Abassid era .

The Mandaeans inhabit mainly in the southern towns of Iraq near the river banks and the marsh regions. They have been there for hundreds of years until 1950s when large scale imigration took place to the big cities of Iraq such as Baghdad and Basra. This imigration drive brought many changes in the social structure of the Mandaeans' community and also brought social changes upon the traditional central social leadership and social forces .

In the 1980s, a big movement was born in the Mandaean community, this movement is the search for a new identity. The religious

cultural identy was born at this period, and we can see that in the new command system which consists of:

1. The general council of the community: which involves representation of Mandaen families or tribes. It is the general board of the community.
2. The general spiritual council: Includes all clergymen concerned with religious affairs.
3. The council of the general affairs: this council is concerned with non-religious affairs of the community.

Since ancient times, the Mandaens have practiced certain professions such as jewellery making which became their own trademark. They practised other jobs such as smiths and carpentery and boat-making.

The Mandaean community is part of the Iraqi society. They have shared with the Iraqis their happiness and suffering especially from the beginning of the embargo since 1990 and until now. The community produced a large number of outstanding intellectuals, doctors, engineers, professors, men of letters, artists, tradesmen and industrialists who contributed actively to the development of Iraq.

Mandaean Sabians, being part of Iraqi people, have taken part in all the situations and problems that faced Iraq through its history. They presented sacrifices and martyrs for the sake of their homeland like any other Iraqi sect. The Mandaens are still ready to defend their country and are proud of their love for their homeland and its ancient civilization, seeking to maintain its unity and territorial integrity .

This thesis is consisting of two main parts . The first is the theoretical which comprises the following chapters : The first chapter which is entitled The nature of the theories of religion and the attitude of anthropology towards it .This chapter consists of two sections ,the first section is dealing with the nature of the theories of religion , whereas the second section considers the anthropological attitude towards the theories of religion and its approach of studying religion .

منسّق:مضبوطة

While the second chapter discusses the ~~(~~scope of the research methodology~~)~~ and it falls into three sections ; the first section studies the ~~s~~Structural F~~f~~unctionalism , ~~where as~~ the second section deals with t~~t~~he attitude towards history , and , the third talks about E~~e~~thno~~–~~science (Cognitive -Anthropology) ~~,~~ and the importance of cultural structure .

The third chapter concentrates on the general meaning of Sabian. ~~,~~ I~~i~~t's first section investigates a historical tracing , in the second I come through the ideas and thoughts of researchers on Sabians , while , in the third section I give P~~p~~hysical A~~a~~nthropology study on Sabian race .

The second main part of this thesis is the empirical part which consists of six chapters and begins by the 4th chapter of the thesis.

Yet this chapter talks about the fields of investigation and the reality of human Eecology.
Its first section gives an idea about the time and place of the empirical study, while the second section focuses on the fieds and Eecology of the Sabian sect , whereas the ,
The second section pinpoints on the demographical characteristics.
The 5th chapter talks about the religious system .; Iit falls into three two sections ; Tthe first section pinpoints the Iideology and world view, whereas the second emphasizess on the hollies , and, the third illustrates the religious clothes and festivals.
The 6th chapter deals with the religious rituals, and it falls into 5 sections; the first is the role of planets, water and angels ,. tThe second is fasting and praying, the third is baptism, the 4th is the marriage rituals, and, the 5th is the death rituals.
The 7th chapter studies the social structure; its first section talks about the nature of social structure, the second entitled the marriage system,. tThe 3ed is kingship system , while ,and the 4th is social control system.
The 8th chapter discusses the economic system and it is classified into threewo sections; the first deals with the economic activities in the traditional ageras, yet the second deals with the careers in the traditional era , yet the third talks about economic reality in the cities.
Finally,, tthe 9th chapter considers the social change; the first section discusses the change in residences , whereas the second discusses the new reality of social forces and leadership , the third discusses the change in the status of women , while the 4th section illustrates the change of attitude towards the new society .……
This in addition to the conclusions and recommendations.

منسّق:الخط: ٣٦ نقطة، خط اللغة العربية وغيرها: ٣٦ نقطة

منسّق:متوسط

منسّق:الخط: ١٤ نقطة، خط اللغة العربية وغيرها: Arabic deifilpmiS، ١٤ نقطة، (العربية وغيرها) العربية (العراق)

منسّق:عادي

منسّق:متوسط

منسّق:متوسط

Stability and Change in Mandaean Sabians Sect

Master degree thesis

By :Sadiq Sh. Al-Taai

Supervised by Khalid Al-Jabiry (Ph.D)